176033

حول الكرة الأرضية

الجزء الاول

طبعة ثانية

تقدمة من
الدكتور إبراهيم أبو لغد

لحنا خباز

رئيس كلية حمص الوطنية

SPC
G
445
.K43
1920
RBK

21338

مكتبة جامعة بير زيت
45392
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY

مطبعة جريدة « الوطن » في سنتياغو (تشيلي)

Digitized by Birzeit University Library

— للقارىء —

اتبعت في تأليف هذا الكتاب المباديء الاتية :

الاول : التحقيق والاعتماد على الاختبارات الشخصية

الثاني : العدول عن التعليق والاقتصار على سرد الحوادث تاركاً للقارىء الحكم

الثالث : قصر الكلام عن البلدان التي زرتها والمدن التي دخلتها

الرابع : اعتمدت في الاحصاءات على احدث ما وصل اليَّ من التقارير

الخامس : ليس في هذا الكتاب تحيز مذهبي ولا سياسي ولا وطني

فهو كتاب يتكلم من الجو ، ويصف الحوادث بكل نزاهة

السادس : كتب كل فصل في موضعه ، فكنت اؤلف في المدن ، والقطار ، والبواخر الخ . . .

بيضته ورتبته في يابان . نقحته وصححته في نيويرك

Digitized by Birzeit University Library

عزيزي القارئ،

سلام

كتابي هذا صلة بين دماغي وبين روحك
فاستحق منك الترحم بعد موتي ؟

Digitized by Birzeit University Library

تقدمة الكتاب

للوجيه خليل سيدي

التاجر الشهير في ٨٥ شارع واشنطون نيويورك

استاذي وصديقي

السلام عليك

ان ثلاثين سنة مرّت لم تكن الا لتزيدني شعوراً بفضلك وانسانيتك فاقدم هذا الكتاب لك تخليداً لذلك الفضل وهذا الشعور

تلميذك واخوك

حنا

Digitized by Birzeit University Library

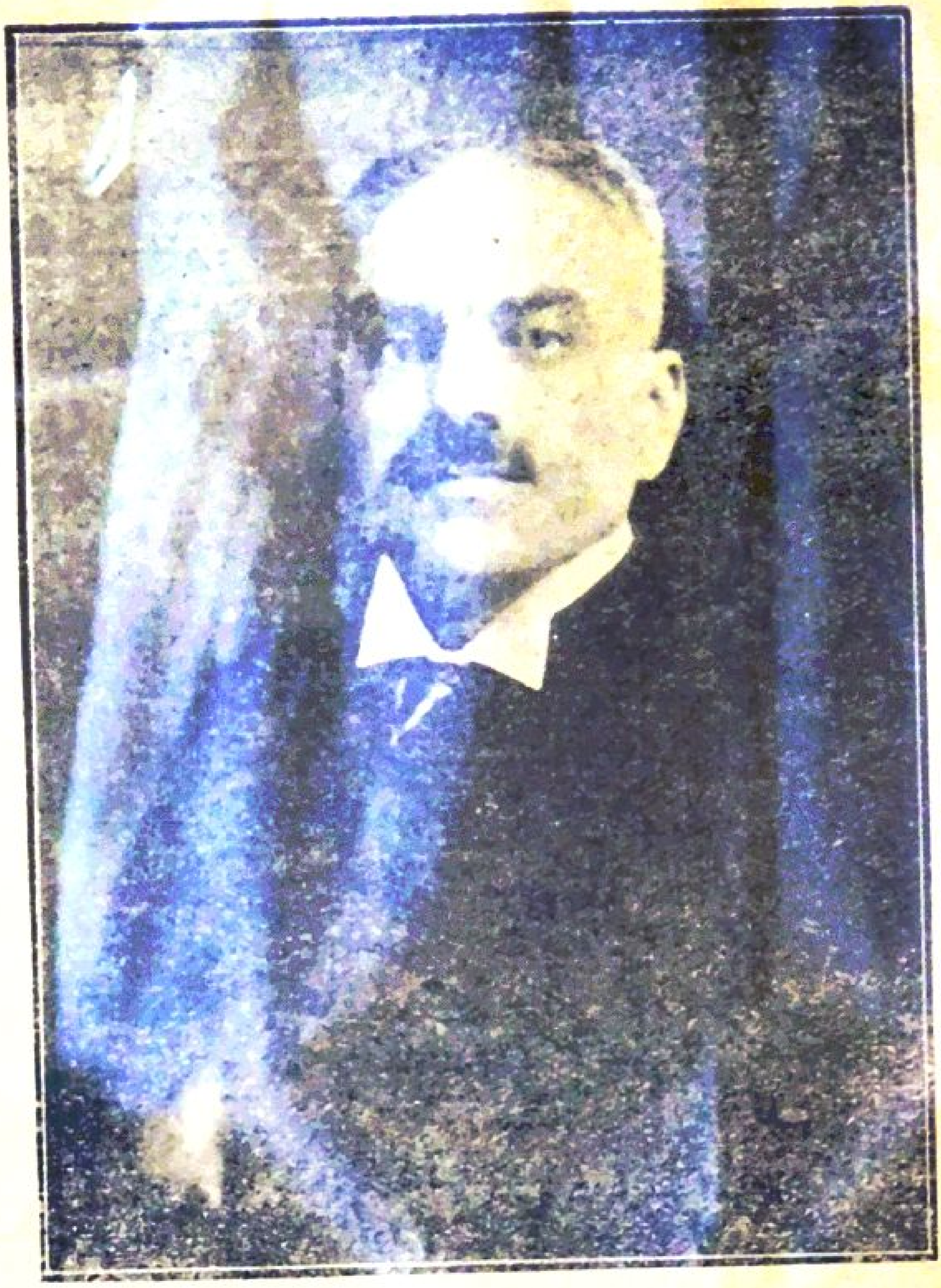

مقيم على عهدي وان شطّ معهدي وعقد الولا باق وان بان معقدي

وان حاق بي داجٍ من العسر سادلا فعزمي في حل الصعاب مهندي

اطوف رحاب الارض طلاب حاجة واقتحم الاخطار دون تردد

فان مت كان الموت راحة مضنك وان فزت طاب العيش في نيل مقصدي

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الاولى

— بدء السفر —

١ — لم يخطر على بالي فيما سلف انني سوف اطوف حول الارض . فقد كنت في القطر المصري ، في اثناء الحرب الاهلية ، اتوقع فتح سوريا والعودة اليها ، ولم اتصوَّر ان مدة الحرب ستطول بهذا المقدار ، ولا سيما على حدود سورية . وفجأة رأيتني امام سفر طويل ، لا يعلم نهايته الا علاَّم الغيوب ، وكان ذلك في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٧

٢ — الجواز . سعيت للحصول على جواز للخروج من القطر المصري الى الولايات المتحدة . . وحسب اشارة السلطة العسكرية تعين سفري بطريق الشرق الاقصى

حصلت على الجواز بسرعة لوفرة الاصحاب في نظارة الداخلية ، على ان الكاتب قال لي لما سلمني الجواز عليك ان « توشر عليه » من وكالة اميركا اولاً ثم من الوكالة الانكليزية ثم من وكالة اليابان — لانك ستمر في ارضها — وبعد ذلك تعود الينا فنشرح عليه ونرسلك ، او نرسله ، الى السلطة العسكرية ، فاذا صدقته هذه سافرت والا فلا »

فتوجهت نوا الى الوكالة الاميركية في مصر . فقال مدير قلم الاجوزة « انه بناء على الاوامر الحديثة من واشنطون لا يجوز لنا ان نوشر على جواز الى الولايات المتحدة الا برخصة من نظارة خارجيتها ، فاذا كان بامكانك انتظار الجواب اربعة اشهر فبه ، والا فتدفع لنا خمسين ريالاً تحت الحساب ونرسل الى

Digitized by Birzeit University Library

واشنطن برقية بالاستئذان » فدفعت وانتظرت « ١٥ يوماً » ولما عدت الى وكالة امريكا قال الوكيل « ورد الجواب سلباً فلا سفر » فعدت الى ادارة الجوازات واخبرت الكاتب بما حدث وسألته تحويل الجواز الى المكسيك ، قاصداً التسرب منها الى الولايات المتحدة برّاً ، فذهب الكاتب واخبر المأمور وأتى بالجواب ان « عد غداً » فعدت في الغد ، وبعده وبعدهما . . . واخيراً عرفت ان المأمور الانكليزي كتب الى وكيل امريكا السياسي في مصر يخبره بامري وانني عازم على التسرب الى الولايات المتحدة من المكسيك ، وسأله هل يأذن لي بالسفر ؟

لا ريب في انه ليس لمعتمد امريكا صلاحية للجواب ، واظن انه لم يجب ، وكان عمل المأمور هذا استثنائياً ، حملته عليه رغبته في اغتنام فرصة سانحة للقيام بخدمة النصوح لصديقة الحلفاء وناصرتهم على العدوّ الهائل ، ولكنه نسي انني انا ايضاً شريكهم في الميل !

ولما التمست مقابلة المأمور اوجب عليّ مخاطبته بالورق ، فكتبت له التماساً غاية في الرقة ، ابنت فيه خلوصي ورجوته ان لا يعوقني عن سفر قضى به عليّ اقدس الواجبات ، اما اذا كان عنده مانع يمنعه من الاجازة لي بالسفر الى المكسيك فليأذن لي به الى غيرها في احدى القارتين

٣ — السلطة العسكرية . وكان الكاتب قال لي : انه اذا كان هنالك مانع فانما هو من جانب السلطة العسكرية الانكليزية فاذا تداركت الامر بالحصول على رضاها فالنتيجة مضمونة ، فاخذت اليها توصية من احد وجهاء الانكليز ، فقابلني صاحب الختم (الملازم كنتغهام) بكل انسانية ووعدني بتسهيل الامر

متى خرج الجواز من عند المأمور . فعدت الى صديقي غاردنر واخبرته بما حصل وسألته مقابلة المأمور ففعل وقضى معه وقتاً طويلاً خرج بعده يائساً وقال : ان المأمور مستاء منك لشدة الحاحك وقد علم ان مقصدك التسرب الى الولايات المتحدة من المكسيك ، فاذا اجاز لك الخروج من مصر يكون قد مهد لك السبيل الى كسر ارادة الولايات المتحدة . فسألته ما رأيه في الامر ؟ فقال : « اظن لا رجاء » فرأيت من الحزم ان أقرع باباً اخر

٤ — حداد باشا . ذكرت انني كنت قدمت طلباً في الاسكندرية في شهر اذار سنة ١٩١٧ للحصول على جواز الى الارجنتين وقدمت مزكيين احدهما جبرائيل بك حداد — وهو اليوم حداد باشا في الشام — ولكنه اشار عليّ بالتريث لان لي في فلسطين عملاً مهماً متى تمّ فتحها . وفي نفس الوقت بلغني ان اخي وقع اسيراً في قبضة الجيش الانكليزي فانتقلت الى مصر وسعيت في اخراج اخي من الاسر وقضيت الصيف معه صحبة ولدي الكبير « ناجي » وهو في خدمة رئاسة اركان حرب اللنبي في مصر

ولما سدّت في وجهي المسالك عدت الى الاسكندرية فعلمت ان ادارة الجوازات قررت السماح لي فحصلت على الجواز في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٧ الى الارجنتين بطريق الشرق الاقصى وأشر عليه القناصل والسلطة العسكرية كل بدوره . ولما عدت الى مصر لاتمام معدات السفر علمت ان المأمور أباح لي السفر الى يابان او بونس ايرس ، ولما كان ذلك نفس ما حصل معي لم ار حاجة الى مراجعته

٥ — وداع مصر . كنت اظن ان الصعوبات انتهت بقضاء الاثنة وثلاثين

Digitized by Birzeit University Library

يوماً في امر الجواز . الا ان ذلك لم يكن الا براعة استهلال كما سترى . الاحد في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٨ الساعة ١٢ نهاراً كنت في محطة مصر قاصداً بورت سعيد . وقد وصلت الى المحطة والقطار على وشك المسير ، وحالما دخلتها — والشيال ورائي يحمل حقيبتي ثيابي وصندوق كتب صغير — صاح الحفر رافعاً يديه « لا يجوز دخول المحطة بكل هذه الاشياء ! فقلت له من فضلك لا وقت الان للمناقشة . فازداد صياحاً كأنني وجهت نحوه مسدساً . فقلت له حسناً دع الشيال يدخل بالحقيبتين وانا اذهب لشحن الصندوق . وهكذا فعلت ظاناً ان الحقيبتين في القطار ولما عدت الى قاعة الشحن كان القطار قد تحرك للمسير فاسرعت واخذت اول عربة وصلتها على امل الوصول منها الى عربات الدرجة الثانية ، وكان الشيال يرافق القطار ماداً يديه من الشباك لقبض الاجرة . وفيما انا ادفعها له سمعت رفيقه يقول « ان الحقيبتين لا تزالان خارج المحطة » وهكذا كان . فبعد ذهاب الشيال لم اجدهما وكان القطار يجر ١٣ عربة فتشتها ثلاثاً ولم اجدهما

وكان بين العربات اثنتان تحملان جنوداً الى خط القتال في فلسطين ، وكانوا في العربتين كالقطيع الرابض ، وقد كوموا اسلحتهم وعفشهم في وسط العربات وتمددوا فوقها وملأوا المقاعد والممشى والمجازات ، فكان مرور الجمل من ثقب الابرة ايسر من مروري بينهم ثلاثاً على انني كنت قد خبرت اخلاق الجيش الانكليزي مدة خدمتهم في مصر والاسكندرية وعرفت مآخذهم فكنت الاطف هذا واجامل ذاك تسهيلاً للمهلة ولكنني لم اجد ما فتشت عنه . ولما بلغنا بنها انحدرت من القطار وراقبت النازلين منه فلم ار لحقيبتي اثراً . وعملاً

باشارة البوليس طيرت برقية الى مدير المحطة في مصر اخبره بالامر وارجوه ان يرسل حقيبتي الى بورتسعيد

٦ — الدكتور حسن بك توفيق

ولما استأنفت الركوب من بنها التقيت باحد الاخوان الاماثل وهو الدكتور حسن بك توفيق طبيب الصحة في سلخانة بورتسعيد فاحسن رعايتي في القطار وفي بورتسعيد فاستحق ذكري وشكري وطمأنني بان الحقيبتين ولا شك محفوظتان في المحطة وغداً تكونان في بورتسعيد حسب رغبتي ، وانما لاجل زيادة الاطمئنان يحسن بي ارسال برقية ثانية الى امين المخازن مع الرد . ففعلت واخذت الجواب في بورتسعيد ليلاً ان الحقيبتين موجودتان وسترسلان مع قطار الصباح . وهكذا كان ، وكان مجموع الخسارة بين اجور وبرقيات ليرة فرنساوية كان يمكن توفيرها بدفع نصف فرنك الى خفر المحطة في مصر . فكتبت لمعاون المدير واخبرته بالامر راجياً منه توصية الخفر — البوليس — ان لا يتعرض للركاب على هذه الكيفية ولا ريب في انه فعل لانني اعرف حسن اخلاقه

ولهذه الحادثة نظائر اذكرها في سياق الكلام عن مصر ، التي رأيتني فيها كالانسان في الدنيا - يدخلها ويبرحها باكياً ، فهل شعور مصر معي في دخولي وخروجي شعورها مع الانسان ؟

****

كانت المشاهد في اول الطريق عادية يعرفها كل من زار القطر المصري . دارت الاحاديث طبعاً في الاحوال الحاضرة ، وكان معنا في الغرفة شاب

Digitized by Birzeit University Library

مصري من طلبة الطب ، هذا كان عابس الوجه ، احمر العينين ، بادي القنوط ولدى السوءال تجلى لنا السبب : وهو انه « لم يبرح سريره » ليلة واحدة في كل حياته واليوم ارغم على ذلك في خدمة الصحة وهو ناقم جداً على والده لانه المسبب . والظاهر ان الشاب من الحزب الوطني ، فينفر من خدمة انكلترا ولو في عمل انساني كهذا . واظن ان والده رجل عاقل سعى في اخراج ولده من القاهرة مخافة ان يعلق باحد الاشراك باغراء اترابه . وعبثاً كنا نشجع الافندي ونحبذ عمل ابيه ، وانه وان فارق سريره فسيجعل ذلك حياته غنية بالاختبارات واشرنا الى ابناء انكلترا على جانبي الطريق كيف تركوا اسرتهم وغادروا اهلهم واوطانهم في خدمة الدولة ، فزاده ذلك نفوراً . فتركته لرعاية حسن بك لانه ادرى مني بمعالجة داء كهذا — ولكن الشاب أبى ان يتعزّى عن كارثته التي هي " ترك السرير " لانها فريدة في بابها !

٨ — الاسمعيلية . — شغلتنا الاحاديث كل الطريق من بنها . ولما بلغنا محطة الاسمعيلية — وهي بلدة جميلة جداً قرب ضفة القنال الغربية وسكانها نحو ١٥،٠٠٠ نفس اكثرهم موظفون وعمال — انتبهت بغتة لانقلاب المشهد حولي من مدني الى حربي من الطبقة الاولى : فقد كانت المحطة غاصة بالضباط والقواد الانكليز والاوستراليين بجزمهم الطويلة ، وسيوفهم اللامعة ، فخلتني في ميادين الطعن والجلاد — ولكن لطّف المشهد كثيراً وجود بعض الرشيقات القوام ، الغر الشمائل ، اللائي كنّ بين تلك الاشباح المخيفة كازهار لطيفة بين الاشواك ، او كالنجوم الزواهر في لمّة الدجى . فكنّ ملازمات للجندي حذو القذة بالقذة ، والنعل بالنعل في كل اقطار الدنيا

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الثانية

— بورتسعيد —

١ — طوملنسن . الساعة ٤ مساء كنا في بورتسعيد ، وهي اول محطات سفري ، فتوجهت حالاً الى نادي جمعية الشبان المسيحيين وسلمت الخواجا طوملنسون كتاب التوصية من الدكتور كندي كاتب جمعية الشبان في الاسكندرية . فاستقبلني على الرحب والسعة وعاملني بالرعاية والاكرام ووعدني بكل مساعدة فكنت اتردد عليه مدة اقامتي في بورتسعيد وكان من افضل رجال الجمعية في كل الارض وابسطهم قلباً

٢ — الجنود . كان النادي يغص بالجنود كل يوم وكل ليلة ولا سيما في وقت عرض الصور المتحركة ليلاً . فكانوا كالفراخ تحت جناحي الدجاجة — وهم من كل امة وشعب ولسان — صينيين . هنودا . فرنسويين . انكليز . ايطاليين الخ . . . هكذا كانت الحال في اندية جمعيات الشبان المختصة بالجيش في مشارق الارض ومغاربها فكانت الجمعية تبيعهم اشياء رخيصة وتقيم لهم حفلات خطاب وتسلية وتقضي لهم الحاجات المتنوعة فيجد الجندي الغريب في ناديها وطناً ثانياً

٣ — بورتسعيد . عروس افريقيا وزهرة وادي النيل : تكتنفها المياه من الجهات الثلاث فتلطف اقليمها . فهي بذلك اقرب الى اسيا واوربا منها الى افريقيا . ثم انها مدينة اوربية بنقودها وتجارها ومظهرها وعاداتها . فهي في القطر المصري ولكنها ليست منه

Digitized by Birzeit University Library

تقسم بورتسعيد الى قسمين اوربي وعربي يصل بينهما خط مركبات تجرها البهائم وهو احقر الخطوط التي رأيتها على وجه الكرة واقلها انتظاماً على انه في وسط جزيل الاهمية والنفع — والحقائق في الدنيا نسبية — فالقسم الاوربي محور الاهمية ومظهر الارتقاء نظافة وفخامة ونظاماً وفيه الفنادق والاندية والادارات. اما القسم العربي فصحي بفضل الاقليم. ولا يقل سكان القسمين مع الجنود بينهم عن مئة الف نفس

٤ — انظلام. عهدت بورتسعيد في ما سلف آية البهاء ومجلى الصفاء. وكانت مجالي بشرها ليلاً اوفر منها نهاراً. تتجلى اقمارها السواطع كل مساء وتظل سوابح في أفلاكها الى قرب الصباح. اما الان فقد انعكست الاية. فمتى ازف المغيب حاقت بنا ظلمات بعضها فوق بعض اذ توصد كل النوافذ والرواشن بامر السلطة العسكرية — خوفاً من الطيارات والغواصات. وتسدل على زجاجها الستور السوداء وتجلل مصابيح الشوارع بالسواد منعاً لها من الاشعاع. وهكذا يفعل بالقهاوي والاندية وكلها تقفل الساعة العاشرة مساء. وبذلك كانت بورتسعيد كمدينة شرقية في القرن الثامن عشر — تراها ليلاً خاوية خالية بلا روح ترف على سطوحها

٥ — ندرتهن. كانت بورتسعيد وكنّ، كان ما كان في قديم الزمان، فسبحان من يغير ولا يتغير، وقد فهمت ان الحكومة بعثت بهنّ الى خارج المدينة وحظرت الجنود على الذهاب الى هناك حرصاً على صحتهم فملن الاقامة فبرحنها الى حيث يرتزقن فاختلفت بورتسعيد عن اختيها الاسكندرية ومصر حيث امتزجن بالجنود امتزاج الخمر بالخل فتفشت بينهم الامراض الوبيلة

Digitized by Birzeit University Library

واصابهم منهن ما لم يصبهم من الالمان

٦- البواخر. لم ار في كل حياتي ثلاثين باخرة تمخر في عرض البحر معاً الا في هذه المرّة في بورنسعيد. رأيتها خارجة من الحوض شمالاً في صفين : اولها في الرصيف واخرهما في قلب البحر ماراً بتمثال دى لسبس على مدخل القنال. وظننتها اولاً بوارج خارجة لقتال الاساطيل الالمانية والعثمانية الني ذاع البارحة خبر خروجها من الدردنيل واختراقها نطاق الحصر قادمة الينا. على ان هذه تجارية لا حربية واساس الاشاعة عن اساطيل الدردنيل خروج الطراد غوبن الذي حطمته بوارج انكليزية

امام هذه البواخر وقفت احدّث نفسي كيف يقولون « لا بواخر » قال لي احد المأمورين ان البواخر ليست بقليلة ولكن السلطة احتكرتها

٧— صعوبة السفر — قد يتبادر الى الذهن سهولة السفر نظراً لكثرة البواخر والواقع عكس ذلك على خط مستقيم فقد قصدت كل الشركات اسأل عن باخرة وكان جواب كلها واحداً « لا بواخر ولا سفر » فشكوت الامر الى موظف انكليزي في الجمرك فاشار عليّ ان اسأل الذين يمونون البواخر واعطاني اسماءهم ومنهم الخواجا رزق الله. فافادني هذا ان عنده باخرة اسمها « راميوطاكا » تخص انكلش كولن كمبني وانها على اهبة السفر الى كولمبو في سيلان. وقد سأل القبطان اخذي معه بصورة استثنائية — لان الباخرة للفحم لا للمسافرين — فوعد القبطان مشترطاً ان نأذن له الشركة

فذهبت الى ادارة الشركة ورجوتهم السماح للقبطان باخذي معه فانكر رجالها وجود باخرة ولما ذكرت لهم اسمها ووجهتها — راميوطاكا كولمبو —

Digitized by Birzeit University Library

تبادلوا النظرات وجمدوا كأن على رؤوسهم الطير . ثم دخلت غرفة المدير ارجوه — مع انني مستعد لدفع الرسم مضاعفاً — وعرضت عليه جوازي لنزع المخاوف من قلبه بأنني لست جاسوساً ولا بأس من ركوبي فخامته . وان الباعث على ذلك انما هو عدم وجود بواخر . فأخذ الجواز من يدي وجعل يقلبه كأنه يحل رموز طلسم او لغزاً واخيراً قال « ان هذا الجواز الى امريكا لا الى كولمبو » فأبنت له ان الجواز الى الارجنتين بطريق الشرق الاقصى ، وكولمبو في طريق الشرق الاقصى . قال : ولكن ليس على جوازك " تأشير " من قنصل انكلترا في بور تسعيد . قلت ان " تأشير " قنصل انكلترا في الاسكندرية كاف . ومع ذلك اذا كان هذا هو المانع الوحيد فانا مستعد لان " اوشر " عليه من قنصلاتو بور تسعيد ايضاً . قال حسناً . وهو يظن انني لا انجح في ذلك ولم يدر انني كالبرق " اشرت " عليه وعدت راجعاً وهو يظن انني لم ابرح الادارة بعد . والسر في ذلك هو انني خرجت من الادارة راكضاً فرأيت القنصل في باب القنصلية ولما عرضت الجواز عليه اومأ بيده الى الكاتب " ليوشر " عليه ففعل باخف من لمح البصر وللحال كنت في ادارة شركة الفحم الانكليزية ولما عرضت الجواز على رئيسها دهش واية دهشة وعاد يقلب الجواز — كأنه ظن انني زورت الاشارة — الا انه لم يكن له بد من الاعتراف بصحة التأشير — وكان ختم القنصلاتو هذا اوضح ختم رأيته في حياتي — اخيراً ارسلني الى حافظ القيود فذهبت مسروراً واحلام الفوز تملأ دماغي وانا معجب ببراعتي وعلو همتي على ان حافظ القيود اخذ يسألني ويغالطني وحركاته تدل على برودة تامة . فقلت له وماذا تروم من كل هذه الاطالة اما قيد اسمي واما اصرفني

Digitized by Birzeit University Library

فقال اصبر خمس دقائق . فصبرت خمساً وخمساً وعشراً . ولم ادع . ودارت المباحثة بين الموظفين والروساء كأنهم يحلون المسألة الشرقية . واخيراً احاط بي ثلاثة منهم كأنهم رجال خفية وحدقوا بي واكثروا من الفحص والتدقيق وهم يسألونني كيف ، ومتى ، ولماذا ، فذكروني بالمولود الاعمى الذي شفاه الرب . على ان ذلك نوقش كثيراً بعد نيله البركة . واما انا فاناقش اكثر ولا بركة بعد .

فقلت لهم ما لكم والاطالة اما اقطعوا لى ورقة في الباخرة او دعوني وشأني . فقالوا انت وشأنك فانه ولو قطعت اصابعنا واعناقنا لما اقدمنا على ذلك . نعم ؟ أهذا الحد المسألة مهمة ؟ ثم خرجت من عندهم خروج الناموسي من لدن المسيح — حزيناً جداً — لا لانني ذو اموال كثيرة بل لانني ذو اتعاب جزيلة وآلام ثقيلة

٨ — سعادة القنصل

ثم عرفت باخرة فرنساوية ذاهبة الى مداكسكر ، فسرّني خبرها رغبة مني برؤية اخواني المهتدين في تلك الجزيرة ، فقد اعتدت ان اقرأ عن تنصّر ملكتهم « رانفالونا » منذ نعومة اظفاري ، واملت ان امرّ بعدها برأس الرجاء الصالح حيث رفات كروجر الرئيس الصالح ، وسرّني ايضاً ان الارجنتين اقرب الى جنوبي افريقيا منها الى شرقي اسيا . آه ! يا ليت الباخرة تمر بمباسا في شرقي افريقيا الانكليزية فادرس فيها بوغندا المحبوبة ، وما احلى مرورها بزنجبار الاسكلة العربية التاريخية وجارة الالمان اصدقائنا قبل سنة ١٩١٤

ولكن تحقيق كل هذه الرغائب منوط « بتأشير » القنصل الفرنساوي على الجواز . وللحال كنت في باب القنصلاتو . فقابلني شاب اروع هو الترجمان — والقى عليّ أسئلة عديدة ، ثم دخل وصحب رجلاً ضخم الجثة ، اشقر اللون منتفخ

Digitized by Birzeit University Library

الخدين ، واسع الاشداق ، جاحظ الاحداق ، عالي الكرش ، شديد الصوت اذا تكلم ، سريع الغضب اذا نوقش . هذا اكثر التساهل والفحص وانا اوكد له محبتي للحلفاء واحترامي وحرصي على مصالح فرنسا الخالدة وان الاحوال القاهرة اضطرتني الى المرور بمدا كسكر وانني لن امكث فيها الا ريثما اجد باخرة منها الى دلاكوا - او رأس الرجاء الصالح - فحملق بي وقال : واذا لم تجد باخرة ؟ فاكدت له اني ساجد بعون الله . فقال حسناً ، خذ هذه الاوراق الثلاث واملأ فراغاتها بالاجوبة اللازمة وعد بها اليَّ وانا ساعطيك الجواب سلباً او ايجاباً بعد ١٥ يوماً

١٥ يوماً ؟ ويلاه ! هـذا هو الوقت المشؤوم عليَّ . فان مدير الجوازات في وكالة امريكا السياسية في مصر اجابني نفس هـذا الجواب . فانا انشاءم بهذا العدد . ثم قلت له بلطف زائد : يا مولاي ، امرك حق وواجب ولكن الباخرة مسافرة غداً ولست ادري اذا كنت اتوفق لايجاد غيرها بعد ١٥ يوماً . فغضب صاحبنا ، وانتفض كعصفور بلله القطر ، وقفل راجعاً وهو يلتفت اليَّ وشفتاه اسرع من ومض البرق وانا لا افهم مـاذا يقول . فسألت الشاب عن وظيفته فاجاب انه « سعادة القنصل »

٩ — على هذا النمط قضيت ثمانية ايام ، يملأ وصفها مجلداً ضخماً . واخبرني وكيل كوك ان عنده ركاباً ينتظرون باخرة الى الشرق مدة ستة اشهر . فيا للفوز . واخيراً عرفت ان باخرة فرنساوية لشركة مساجرية ماريتيم قاصدة كولمبو في سيلان تقل جنوداً فرنساوية واسمها بول ليكا او « بوكا » ومن الممكن قبولي بينهم . فاسرعت الى ادارة كوك راجياً احراز محل لي فيها . فالتفت

Digitized by Birzeit University Library

الوكيل الى التلفون يخابر الشركة ، وانا امامه كالخاطىء امام الكاهن يملي عليه شروط الحال . قال :

اولا — رسم الدرجة الثالثة ٣٢ جنيهاً مصرياً . والدرجة الثانية ٤٥ جنيهاً والاولى ستون جنيهاً

قلت له نعم سيدي — قبول افندم . قال :

ثانياً : وعليك ان تدفع رسم الرجوع فتحفظه الشركة معها فيما لو رفض حاكم كولمبو قبولك قلت : نعم سيدي

ثالثاً : ولا تقطع لك ورقة ما لم يؤخذ رأي الناخوذاة (القبطان) في الامر

قلت : نعم سيدي

رابعاً : عد غداً للجواب . فان القبطان الان يشرب ولا يجوز ازعاجه قبول افندم

فعدت الى مخدعي اركع واصلي لاجل القبطان ، وهو يشرب ، ليحل عليه روح الاله العلي لكي يقبلني في ملكوته . وما كان اعظم سروري لما سمعت تلك الكلمة « مقبول »

نعما ايها العبد الصالح المسكين ، ادخل توليكا

١٠ — مشكل جديد . وعند المساء هددني بعضهم بان التفتيش عن الكتب والمكتوبات دقيق جداً . وقال الظاهر ان معك كتباً كثيرة فسيفتشونها بكل دقة ، واذا وجدوا بينها ما يلقي عليك اقل شبهة يوقفونك . ويلاه ويلاه !

ان معي اشياء كثيرة لا اريد ان يراها احد : منها يومية خمس سنين فيها كثير من الانتقادات على سياسات الحلفاء وحركات الجيوش

Digitized by Birzeit University Library

ومنها مكاتيب سرّية لابني . اكتب منها كل ستة اشهر واحداً وقد مر على ذلك نحو عشر سنين فمعي منها عشرون كتاباً — كلها اسرار . وقد عنونت كلا منها بهذه العبارة « لا تفتح قبل موتي » فماذا افعل الان ؟ أأموت ام اكسر وصيتي ؟ لا هذا ولا ذاك . بل افعل هكذا — وقد فعلت — ذهبت الى الفاحص وسلمت عليه بتأدب زائد — وهو شاب في سن اولادي ، واخبرته انني مسافر يوم الاحد القادم صحبة بوليكا ، ومعي صندوق كتب فارجو فحصه مقدماً وعزل كل ما يمنع حمله وختم الصندوق بعدها لكي لا يبقى عائق في سبيل خروجي من مصر

فرفع الشاب نظره الي وقال : ألست حنا خبازِ صاحب كلية حمص الوطنية ؟ بسم الله الرحمن الرحيم ، نعم انا هو ، فمن اين تعرفني ؟ قال من كلية الامريكان في بيروت ، فانت خادم البلاد والانسانية ، وعلينا ان نأخذ بيدك . يا الله ما احلى كلام هذا الرجل الصالح وما الطف روحه . فيا ليت « سعادة القنصل » كان من طلبة تلك الكلية

بل ليت انكلش كولن وراميوطاكا والاوقيانوس الهندي وكل الشركات من طلبة كلية بيروت فيعرفون « حنا خباز » ويعطفون عليه . لُف هذا الشاب الكريم . بارك الله فيك يا اخي بركته في لا ولا

وللحال اخذ الصندوق وختم عليه بالشمع الاحمر هكذا :

« اجازة المراقب »

وودعني قائلاً « اياك وكسر الختم ، فانه يضمن مرورك في كل الممالك الانكليزية — وهي تحيط بالكرة الارضية ويقيك ثقلة التفتيش . فشكرته

Digitized by Birzeit University Library

كثيراً . وكان كل همي المحافظة على الختم . ولكن الشيال اراحني من ذلك الهم لانه كسر الختم من اول يوم . . .

١١ صاحبنا السمسار

الاخير وليس بالصغير

عند المساء وقد علم صاحب الفندق انني سانزل الى البحر عن يد كوك وليس عن يده هاج وماج وملأ صياحه السبع الفجاج وحملق وفنّق — والرجل جبلي — ضخم الجثة كث الشعر غليظ المتن والعنق ، ومن قوله « يجب ان تعدل عن هـذه السفرة والا ندمت ولات ساعة مندم فانك سترغم على العودة بعد نصف سنة وقد خسرت دراهمك — وهو لا يعلم كم معي من الدراهم — هذا شغلنا . نحن ادرى منك به . على هذه الصورة كان يصيح وانا صامت امامه كأنني تحت البطرشيل . ولما انهى كلامه رفعت رأسي بكل رصانة وشكرت الطافه ولم ازد على ذلك

فاذا كانت هذه حملات السماسرة على مثلي فكم يصنعون بالاميين والبسطاء ؟ ولما بلغ هندستان كنت اقرأ يومياً عشرات من الاعلانات التي تنشرها الشركات البحرية في كل الصحف للسفر « الى كل قارات الدنيا »

المقالة الثالثة

قناة السويس وفعال انكلترا

١ — بوليكا . باخرة كبيرة الحجم حديثة الطراز . محمولها . . . ١٢ طن سرعتها ٩ اميال في الساعة . فيها جهاز لاسلكي وغرف واسعة وقاعات رقص

Digitized by Birzeit University Library

وحمامات وغرف تدخين يغسلها الخدم كل صباح وتنشر برقياتها كل مساء. فكنا نقف فيها على اخبار الحرب الاوربية ونحن في البحر الاحمر والمحيط الهندي ومعظم ركابها جنود عائدون من ميدان فرنسا بينهم كثيرون من رعايا فرنسا في الشرق والغرب. فكنا نمثل جنسيات عديدة

٢ — الجنود الفرنساوية. اطفاء غالباً مهلهلو المراس مزاحون يوماكلون الصينيين ولا ريب في انهم الفوا ذلك في الميادين والخنادق. ولاحظت فيهم بعض الدارسين منهم رجل يحسن الانكليزية وهو من اهالي كلكتا. واخر كان من طلبة كلية السياسة يستعد للقنصلية — وهذا حدثني كثيراً عن الحرب والجنود وغير ذلك. قال:

راتب الجندي الفرنساوي سبعة فرنكات شهرياً وفي الميدان ثلاثون فرنكا يدفعون له نصفها ويحفظون النصف الاخر لذويه اذا هو مات او له اذا هو نجا من غوائل الحرب. وكان يصف ساحات الحرب بكل اعتدال قائلاً: لا ادري هل يتمكن الحلفاء من اخراج الالمان من فرنسا او لا — كان ذلك في شباط سنة ١٩١٨ — ثم قص علي كثيراً من انباء الجنود في الميدان وكيف كانوا يحملون الى المستشفيات بسبب تجاد الاطراف وان الذي يراهم غائصين في الوحول والثلوج يظن انهم لن يحاربوا ولكنهم متى صدر اليهم الامر كانوا يحاربون. وكان يتكلم عن الانكليز بكل تحفظ. وقد قال ان الالمان مدافعين اقدر منهم مهاجمين. — وكان احد الجنود مسروراً لخسرانه احد اطرافه لانه بذلك اقيل من الحرب فاطمأن على حياته على نحو القول «خير لك ان يهلك احد عضائك من ان يهلك جسدك كله»

Digitized by Birzeit University Library

وحين لا تسألهم عن الحرب لا يذكرونها . وكان بعضهم يلبسون وسماً او شرائط تدل على اشتراكهم في المعارك وكانوا يتألبون ليلياً حول دكة الخطابة والغناء . وفيهم شاب لقبته « ميرابو » لكثرة خطابته وكانوا يقيمون حفلة عمومية كل اسبوع يدعون اليها ركاب الدرجات العالية ويلعبون نهاراً بالكين . وندر فيهم المطالع او الذي يعنى بالاخبار

٣ — الطنكنواه . كنت اول ايام السفر في رواق الدرجة الاولى . فأتت سيدة شرقية الملامح لطيفة المحيا والروح وقعدت الى جانبي فسألتها : أتعرفين الانكليزية ؟ قالت لا . أأنت انكليزي ؟ قلت كلاً وجعلت اخاطبها بالافرنسية فسألتها : أأنت صينية ؟ قالت لا بل طنكنواه . فخرت في امري : « جوسوي طنكنواه » وللحال ذكرت ولاية طونكين وانها تحت سلطة فرنسا . ففهمت ان اهلها يدعون طنكنواه وان ذلك ما تعنيه السيدة . سألتها عن جنسها فاجابتني عن تابعيتها . واذ رأيت معها ثلاث بنات شقر الالوان (بين الرابعة والسابعة) سألتها أزوجك فرنساوي ؟ قالت نعم وهذاك هو . رجل في غاية الهدوء والرقة كان يعاملها كأفضل المتمدنين ويجول معها بين اقوامها الجنود وعلى الدوام يحمل بناته لاراحة زوجته

٤ — الصينيون . كنت اظن انهم خدم ثم عرفت بعد انهم جنود وفيهم ضباط كانوا وسخين جدا جدا حقيري المناظر مقامرين من الطبقة الاولى . وكانوا يباهون بلفظ بعض كلمات انكليزية ولبس البدلات الملكية الاوربية تدفع فرنسا لهم رواتب اوفر مما تدفع لابنائها . ومع ذلك كان خدم الباخرة يعاملونهم معاملة العبيد

Digitized by Birzeit University Library

٥ — البحارة . كان شبانهم حسني البنية بسطاء القلوب سهلي القياد بخلاف السودان بينهم فانهم صعاب المراس . اما كهولهم فضخام مزاحون وكلهم بلا استثناء يختلطون بالجنود . اما ضباطهم فمتزوون وفيهم اصحاب طمع اشعبي . صحبت فقيراً الى القومسير وقد سرق دثاره عن ظهر السفينة فلم يلتفت القومسير اليه ولا كلمه بلطف . واخيراً ذهب الى ناظر الدرجة الثالثة وسأله حراماً يتدثر به بضعة ايام فشارطه «عشرون فرنكا» وهو لا يساوي نصف المبلغ وفي حادثة كهذه في باخرة يابانية كان الناظر شكوراً اذ قبض فرنكين اجرة الدثار

٦ — المطبخ . كنت اتردد كثيراً على المطبخ وادرس كل شيء وهو واسع جداً منظم كثير الاواني وكان خدمه الصينيون الطف من الفرنسيين وفيه فرن يصنع خبزاً جيد جداً . وكان طعامه فاخراً ولا سيما لركاب الدرجة الاولى على انه غاية في الاسراف . فقد سمعت الطباخ يصيح برجل اعتذر له ان طعامه كثير « اذهب واطرحه في البحر ولا ترد شيئاً » — وهكذا كان . وكانت الكسر المبعثرة على ظهر الباخرة تكفي عشرات من الناس لو جمعت . ولست ادري ان كسرة واحدة من الخبز او حبة واحدة من الارز كانت تطرح على سطح اخرة يابانية

٧ — القناة . فتح القناة المهندس دي لسبس الفرنساوي في عهد سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٨٦٩ وقد سخرت لها الحكومة المصرية ثلاثين الف عامل طولها ٩٧ ميلاً وعرضها ١٢٠ وعمقها ٢٦ قدماً تمر ببعض البحيرات في الصحراء منها بحيرة الاسماعيلية وبحيرة التمساح والبحيرة الكبيرة وهي تصل بين بحر

Digitized by Birzeit University Library

الروم عند بورتسعيد وبين البحر الاحمر عند السويس ولذلك دعيت قناة او ترعة السويس

باعت الحكومة المصرية اسهمها فيها للحكومة الانكليزية سنة ١٨٧٥ يبلغ اربعة ملايين فرنك بواسطة نوبار باشا، فكان ذلك توطئة لاحتلال الانكليز وادي النيل ومقدمة لحل المسألة الشرقية

يبلغ دخل القناة سنوياً خمسة ملايين فرنك. يمر بها من البواخر سنوياً عشرات الالوف واكثر من نصفها انكليزية

لم احلم في ماضي حياتي بلذة السفر البحري الى هذه الدرجة. فقد كان يوم اجتزنا القناة من الطف الايام وابدعها اقليما: بليل النسيم، معتدل الحرارة محتجب الشمس، برقيق الغيوم. وكان سير بوليكا في وسط القناة يشوق ويروق فهي كالجبل الراسخ، والقناة كقلم من الماس في بيداء من زعفران. وكان يخال لي ان بوليكا واقفة في وسط القناة، لعدم حركتها، لولا رجوع البر سراعاً الى الوراء عن الجانبين

لما سارت بوليكا كانت البواخر المرابطة في مدخل القناة الوفاً من الجانبين بعدها مررنا بمحلة الارمن، وهي بلدة صغيرة الى شرق القناة، شادتها لهم الحكومة الانكليزية. وسكانها من بقايا الارمن الذين حملهم الطراد الفرنساوي سنة ١٩١٥ من جبل موسى في نواحي انطاكية بعدما حاربوا الاتراك ممتنعين في ذلك الجبل مدة خمسين يوماً، وانشأت لهم الحكومة مدارس للجنسين، والمعامل والمخازن للكبار. لقد اعجبت باستقامة القناة وصفائها — وحين تسفر الشمس كان سطح الماء يتحول الى مرآة صقيلة لا تتفتح بها الابصار. عبرتها بوليكا بمدة ١٦ ساعة

Digitized by Birzeit University Library

وكان الرقيب ليلاً في مقدمتها يرشد القبطان بالاشارات والانوار حذرا من جنوحها الى احد الجانبين

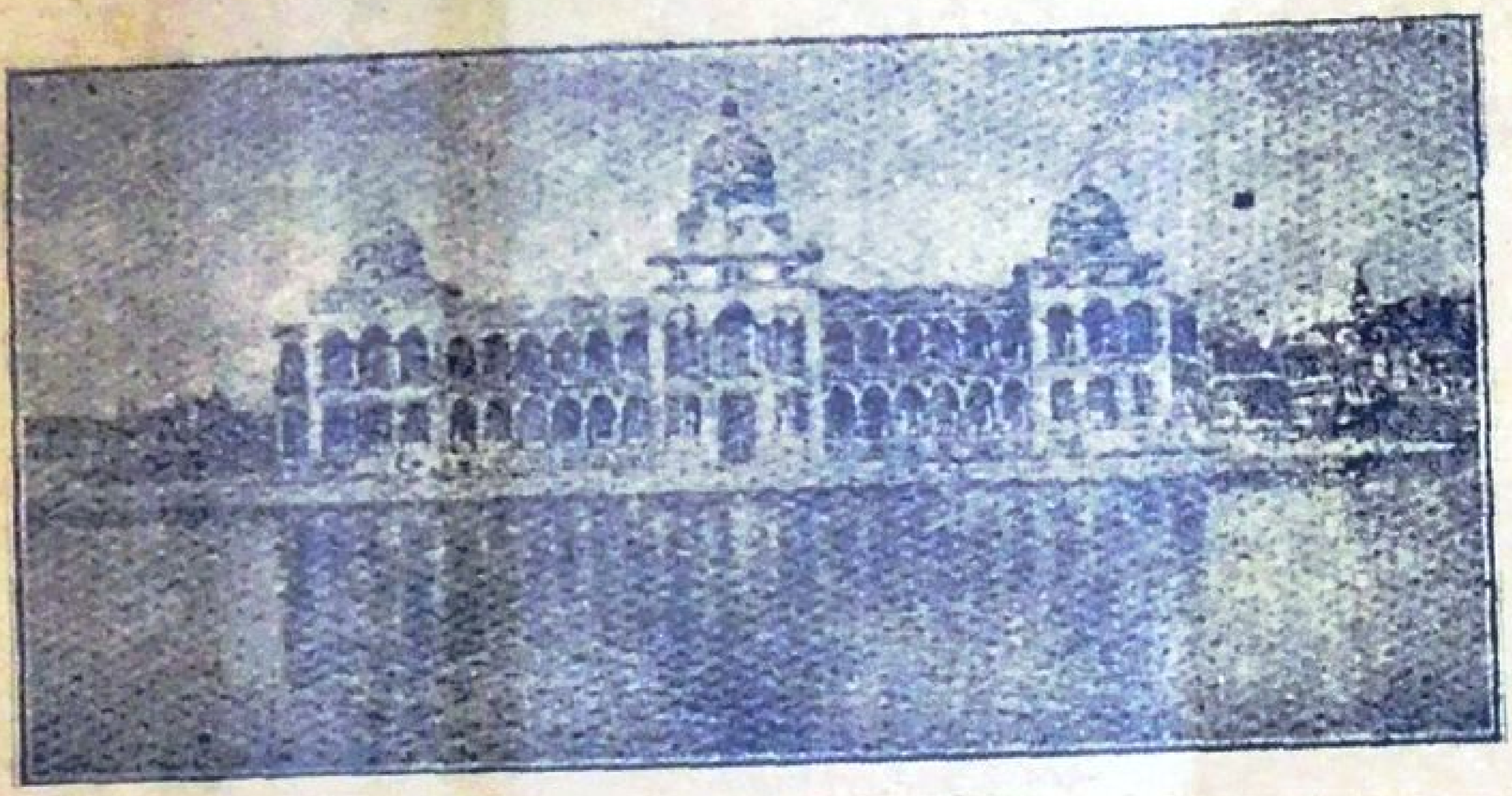

مجلس ادارة القناة في بورتسعيد

٨ — محطة القنطرة

لما دنونا من محطة القنطرة جلست على ظهر الباخرة الاعلى والقلم بيدي وطفقت اصف ما اراه واليكه حسب الترتيب :

١ — مساطب خشبية على الجانبين لنقل الاشخاص والبهائم والاشياء من البواخر الى الضفتين وبالعكس

٢ — البواخر الضخام والبوارج العظام الكثيرة العدد والعدد مجهزة بالمؤن والذخائر ، قائمة على حفظ المواصلات وحماية النقليات وتموين الجيش الزاحف على فلسطين

٣ — الاخشاب مرصوفة على جانبي القناة الواحاً ولاطاً ومراين مع ان الاخشاب في تلك الايام اندر من حجر الفلاسفة . فكنت اراني في حرج واسع

Digitized by Birzeit University Library

الاطراف او في معمل فيه مئات من العمال يعملون في القطع والنشر والصقل والاعداد، وكل تلك الاخشاب رهينة الجيش في القفر

٤ — المضارب والخيام حول القنطرة تعد بالالوف للجنود والاسرى، والمهمات الحربية، وقد غطت بادة القنطرة فلم ارَ منها الا قبة منارتها

٥ — عربات النقل، على جانبي القناة مئات معدة لحمل الاخشاب والحدايد والحجارة والكلس والتراب والفحم الى حيث تلزم

٦ — الابنية الخشبية الشاهقة، شادتها السلطة العسكرية في جوف الصحراء، وجهزتها بالاسلاك الكهربائية للانارة والمخابرات، مع انابيب الماء وكل وسائل الراحة فحولت برية سيناء الى مدينة واسعة الجناب حتى لو عاد اليها موسى النبي لما عرفها

٧ — محطة السكة الحديدية، في وسط المضارب والخيام كقمة بلانك في وسط جبال الالب لم ارَ اكبر منها في محطات سوريا ومصر وهندستان والصين والفيليبين واليابان

٨ — اكياس الحبوب والمأكولات تعد بعشرات الالوف، وقد رص بعضها فوق بعض كأسوار تدمر وبعلبك، فشغلت مسافات طويلة حول المحطة

٩ — رزم، بالات — التبن والبرسيم وقصب الذرة وقش الارز، مكبوسة بالمكابس البخارية لعلف البهائم وحاجات الجيش، وهي كسلاسل لبنان فوق سواحل طرابلس

١٠ — اكوام الفحم الحجري: وقد كاد ينعدم من القطر المصري لصعوبة النقل اراها امامي ككثبان الرمال وهي برسم سكة سيناء الحديدية وحاجات

Digitized by Birzeit University Library

١١ — صناديق الشوكالاتا والمكبوسات وسائر انواع المأكولات التي لا يصدق من لا يراها كم هي كثيرة

١٢ — براميل الزيوت والمشروبات والحدايد والدهونات ملقاة على جانبي القناة كصخور الوعور او كقطعان الغنم الرابضة على ضفاف الانهـار والغدران عند اشتداد الهجير

١٣ — الحدايد المتنوعة من صفائح وقضبان وشرحات وبراغ واسلاك ومسامير ومفصلات الخ . . . كأنك في معامل الفولاذ في بتسبرغ بنسلفانيا

١٤ — صفائح التنك الفارغة وخلافين النحاس تقول لو صبت فيها القناة لوسعتها

١٥ — مخازن الطيارات وميادينهـا — محطاتهـا — ومن يعرف مـا هي الطيارات يدرك سعة محطاتها ومخازنها

١٦ — المستشفيات العديده للانكليز والاوستراليين واسرى الاتراك والعمال والبهائم من جمال وخيول وحمير كل منها على حدة مشيدة بالاخشاب ومسورة بالقصب والقش والخيش يعمل فيهـا الوف من الاطباء والجراحين والممرضين والمساعدين والبياطرة والبكتريولوجيين

١٧ — الحمير والجمال الرابضة والمنقولة — مرَّ بي قطار فيه ١٣ مركبة مشحونة حميراً . فكنت ارى الحمير وانا اكتب هذه المقالة رافعة رؤوسها واذانها كأنها تتنسم اخبار الحرب والسياسة . ولا غرو فقد فتحت هـذه الايام ابواب السياسة حتى للحمير والكلاب

Digitized by Birzeit University Library

١٨ — العمال المصريون ، لم يجتمع منهم هـذا العدد ولا في بنـاء اهرام الجيزة فقد بلغ عددهم ٦٠٠ الف اكثرهم من ميدان سيناء وما وراءها

١٩ — السيارات والدراجات البخارية تخترق الصحراء على جانبي الطريق ذهاباً وايابآ في خدمة الجيش . اراها وانا اكتب تسابق الرياح ، وركابها كعفاريت سيدنا سليمان بن داود عليه السلام

٢٠ — المضخات الكبيرة لتعزيل القناة وتعميقها

٢١ — الحجارة الضخمة مقطوعة ومهيأة للبناء مرصوفة على الجانبين

٢٢ — المعديات لنقل البهائم والناس والاشـياء من احد جانبي القناة الى الجانب الاخر

٢٣ — الكباري المتحركة ممدودة على ظهر القناة

٢٤ — قساطل الماء تحمل ميـاه النيل الى فلسطين واسلاك البرق التي وصلت القدس بالقاهرة

٢٥ — جاء في التيمس الانكليزية بتاريخ ١٤ تموز سنة ١٩١٨ « قد تمَّ مد الكبري العظيم على قناة السويس وتمَّ اتصال سوريا بمصر ، وهو من آي الصناعة والهندسة »

تمتد هذه المذكورات مسافة ٢٠ او ٣٠ كيلومتراً . قضت الباخرة في اجتيازها نحو ثلاث ساعات . وكنت كل الوقت ارقبهـا . والقلم بيدي وقد امتد خيالي الى ميادين فرنسا وسالونيك وروسيا والعراق وافريقيا وايطاليا

****

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الرابعة

مجمع البحرين

مهما تكن لذائذ السفر البحري فهي تورث الملل اذا لم تتخللها حوادث جديدة. والذَّ الحوادث في اسفار البحار ظهور البر بعد احتجابه الطويل. فقد ازددنا شوقاً اليه لاحتجابه عنا بضعة ايام ولذا اقف هنا في مجمع البحرين الاحمر والعربي، وملتقى الخليجين العدني والحبشي لبسط بعض الحقائق والاختبارات

(١) باب المندب

هو اسم الزقاق المائي او البوغاز المؤدي من البحر الاحمر الى خليج عمان فالبحر العربي. والمندب او الندب كلمة عربية تفيد الحزن او البكاء. سمي بها الزقاق المذكور لما وراءه من ويلات بحر الهند. كان هذا قديماً في عهد الشراعيات اما اليوم فالبواخر تسير فيه آمنة. وقيل انه سمي بذلك لسبب الزلزال الذي فصل بين بري افريقيا واسيا

عرض هذا الزقاق عشرون ميلاً وفي وسطه جزيرة باريم او بريم فتقسمه الى زقاقين: الشرقي وهو باب اسكندر وعرضه ميلان وعمقه ٤٠ متراً وغربي وهو دكة الميمون وعرضه ١٦ ميلا وعمقه ٤٢٥ قدماً وفي هذا الاخير مرّت بوليكا

مساحة الجزيرة خمسة اميال وهي من املاك انكلترا

باب المندب مفتاح البحر الاحمر الجنوبي كما ان بوغاز جبل طارق مفتاح بحر الروم الغربي وقد قبض الانكليز على الاثنين فصارت البحار في قبضتهم. على ان سيادة انكلترا على البوغاز لا تتوقف على باريم وحدها بل على عدن

Digitized by Birzeit University Library

(٢) عدن

هي مدينة عربية سكانها خمسون الفاً . قائمة على نشز من الارض في اقصى الجنوب العربي غرباً ، ويذهب العلماء الى ان اصلها بركان ثار فكوّن شبه جزيرة عدن وخليجها . طول شبه الجزيرة خمسة اميال وعرضها ثلاثة يقسمها الخليج الى قسمين ، والمدينة على الجانبين

يبلغ ارتفاع اعلى نقطة في شبة الجزيرة ١٧٧٦ قدماً ، الا ان البرذخ وراءها منخفض تغمره المياه في وقت المد العالي فتصير الارض التي عليها عدن جزيرة وبما انني لم ادخل عدن فلا اصفها

تملكها الانكليز سنة ١٨٣٩ وكان السبب المتمم لذلك تعديات الشيخ فضلي على بحارة سفينة انكليزية تحطمت في جواره ، فابدى الشيخ في اثناء المفاوضات من الغدر والخداع ما حمل انكلترا على ارسال حملة عسكرية من بمباي احتلت عدن

ثم اشترت شبه الجزيرة سنة ١٨٦٨ ، والشيخ عثمان ١٨٨٢ ، وملكت سوقطره سنة ١٨٨٦ ووهبها امام مسقط جزر كوري الخمس تجاه الشط اليماني

واوفد الكولونيل وهاب ومستر ج . ه . فنزمورس ١٩٠٣ من الاستانة الى عدن لتسوية الحدود العثمانية الانكليزية . فتمّ الاتفاق سنة ١٩٠٥ على ان تكون مساحة املاك الانكليز هناك ٩٠٠٠ ميل مربع وترك الشط الشرقي وعليه قلعة الشيخ سعيد في يد الاتراك . ولما اتحد هؤلاء مع المانيا في محاربة الحلفاء سنة ١٩١٤ ضرب الانكليز القلعة بمدافعهم فدكوها دكاً وامضى البرلمان الانكليزي قراراً سنة ١٩٠٣ لا يدع دولة اخرى تتدخل في شؤون داخلية العرب

Digitized by Birzeit University Library

(٣) تجارة عدن

عدن موقع تجاري لتوسطها بين اوربا والهند . جعلتهـا انكلترا ميناء حرة سنة ١٨٥٠ فصارت محط رحال التجارة الافريقية . ولمـا فتحت قناة السويس سنة ١٨٦٩ اتسع نطاق تجارتهـا كثيراً فبلغت وارداتهـا سنة ١٩١٣ نحو ٣٧٥٦٩٦٤ جنيهاً انكليزياً وصادراتها ٣٢٦٧٢٨٣ وازدادت في اثناء الحرب فبلغت سنة ١٩١٦ نحو ٧٠٧٩٠٢٦ جنيهاً . ولعدن علاقات تجارية كبيرة بجيبوتي وبربرا ومباسا وسواكن ومصوع ومصر واوربا وبمبـاي . ظلت بحوزة بمباي الى سنة ١٩١٦ لما فشلت الحملة البغدادية وامر القائد طونزهند وجيشه في كوت العمارة ، حينئذ نقلت الى حوزة انكلترا واستلمت نظارة حربيتها قيادة الحملة

٤ الصومالي

تمتد بلاد الصومالي على شط افريقيا الشرقي من سواكن الى برافا على خط الاستواء ، وقد قسمت بين ايطاليا وفرنسا وانكلترا

وصومالي ايطاليا قسمان اريتريا وعادل

اريتريا . شقة من الارض الافريقية على البحر الاحمر تمتد من مصوّع الى اوبخ تجاه باب المندب . طولها ٦٧٠ ميلاً ومساحتها ٩٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٥٠٠٠٠٠ نفس . اسكاتها مصوع ويمتد منهـا خط حديدي الى اسمارا وغندا في الداخلية

يقابل مصوع على الشط الاسيوي العسير في البـلاد العربية وصاحب

Digitized by Birzeit University Library

الشوكة فيها محمد الادريسي ، وهو صديق ايطاليا التي احتلت مصوّع سنة ١٨٨٥ ،وتبسطت في البلاد جنوباً الى حدود صومالي الفرنساوية

اما عادل فهي شقة من الارض الافريقية على بحر العرب ،وموقعها على جانبي رأس غودفرى وتمتد الى خط الاستواء مساحتها ١٠٠،٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نصف مليون وتقسم الى ثلاثة اقسام وهي بناور واوبيا والمجيرتين. وقد ابتاعت ايطاليا بناور من سلطان زنجبار سنة ١٩٠٥ بمبلغ ١٤٤،٠٠٠ جنيه ولها فيها قوة عسكرية ومحطة لاسنكيه ، وفي تلك السنة اختطت مدينة لييج

وكانت ايطاليا قد ازمعت على اجتياح الحبشة فانكسرت امامها سنة ١٨٨٩ كسرة رنّ صداها في الخافقين وثلت قواعد وزارة كريسبي وعقدت محالفة بين الفريقين سنة ١٩٠٧ لتعيين الحدود

٥ الصومالي الانكليزية

هي قسمان الاول بربرا وزيلع ، والثاني شرقي افريقيا الانكليزية

وضعت انكلترا يدها على زيلع ١٨٨٤ ومساحتها ٦٨،٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٣٠٠ الف نفس .وهي بين ايطاليا وفرنسا وقد رسمت الحدود بينها وبين الاولى سنة ١٨٩٤ والثانية سنة ١٨٩٧

وكان الملاّ محمد يلقب الملاّ المجنون ، وقد ناوأها سنة ١٩٠٨ و١٩٠٩ ولكنه سقط فاستراحت البلاد بموالاة شيوخها للدولة الانكليزية وقد بلغ دخلها سنة ١٩١٥ نحو ٢٩٠٠٠ جنيه وخرجها ١٢٤٠٠٠ وصادراتها ١٩٠٠٠٠ ووارداتها ٢١١٠٠٠

Digitized by Birzeit University Library

اما مستعمرة شرقي افريقيا الانكليزية فليست صومالية ولكننا اوردنا ذكرها هنا لاستكمال البحث

تمتد هذه البلاد على شاطىء المحيط الهندي من نهر اومبا الى اوغندا ومساحتها ٢٤٨٠٠٠ وعدد سكانها اربعة ملايين نفس وهم اعراب وصوماليون وسواحليون. دخلتها انكلترا سنة ١٨٨٧ ومدت فيها سكة حديدية من ممباسا الاسكلة الى سانت لورانس على بحيرة فكتوريا نيانزا، وعاصمتها نيروبي سكانها ١٣٠ الفاً. وفيها شركات انكليزية زراعية تزرع الدخان والكاوتشوك والقطن والارز والذرة والخضارة والبطاطا

٦ — صومالي الفرنساوية. احتلت فرنسا اوبخ شمالي الخليج سنة ١٨٦٢ وبنت جيبوتي سنة ١٨٦٦ ومساحة مستعمرتها كلها ٦٤٠٠٠ الف ميل مربع وسكانها ٢٠٨٠٠٠ نفس وقصبة المستعمرة واسكلتها مدينة جيبوتي

٧ — جيبوتي. هي عند خليج اوبخ تجاه باريم سكانها عشرون الفاً اكثرهم اعراب وصوماليون وفيهم بعض الاوربيين وبضعة سوريين اكبرهم اسكندر غالب صاحب شركة كليتون وغالب

وصلتها باخرتنا يوم الاحد في ٣ شباط الساعة السابعة ونصف ونزلنا اليها يوم الاثنين الساعة الثامنة صباحاً، لها رصيف يمتد في البحر نصف كيلومتر، ويعلوه بضع عشرة درجة بسبب المد والجزر، والى جانب الرصيف الغربي بيت الحاكم الفرنساوي والى الجانب الشرقي بناية الجمرك

رأيت عشرات من القوارب جانحة في الوحول تجاه الرصيف فتذكرت حالاً المد العظيم والجزر الشديد في خلجان البحر الاحمر فسألت ولداً صومالياً

Digitized by Birzeit University Library

كان بجانبي : أكلّ يوم يحدث هذا ؟ اجاب نعم وبعد الظهر تعود المياه . وهكذا حدث ، ولما عدت من المدينة ظهرا كانت المياه قد اخذت ترتفع

جيبوتي بلدة صغيرة نظيفة منخفضة البيوت الا الاجنبية منها ، مستقيمة الشوارع غير مرصوفة ، يتعاطى الاعراب من سكانها الخياطة وغيرها من الصنائع والصوماليون خدم وشيالون وفعلة . كانت صادراتها قبل الحرب ١،٧٠٠،٠٠٠ جنيه ولكنها هبطت في مدة الحرب كثيراً . دخلتها وقد حاق بها الكساد وخيم الغم على قلوب من فيها لانقطاع البواخر وموارد الرزق عنها . سألت في ثلاثة مخازن عن صندوق كبريت فقيل لي غير موجود ، وتردد الرابع مرتين قبلما سلمني اياه وذلك دليل على ندرة البضائع هنالك

واذ كنت اجول في جنباتها سمعت صياحاً يصم الاذان — وهو صوت طلبة يقرأون عربياً . فتبعت الصوت حتى وصلت الى مصدره وهو غرفة واسعة قليلة النور عديمة الاثاث كثيرة الاقذار معلمها غائب وفي ايدي طلبتها ، وهم ستة لا غير ، مخطوطات روحية يقرأونها باصوات عالية . وقفت امام الباب أتأمل فدلني مظهر المدرسة على حال المحيط ومحيط المحيط

سألت احد السوريين : أتعامل الحكومة الاهلين بلطف ؟ اجاب انها تعاملهم بلطف زائد الى حد التدليع . وسألته عن آداب القوم فاجاب انها في منتهى الانحطاط بالرغم من « التخييط » ولم انتبه الى هذه الكلمة — التخييط — حتى اعادها فسألته ماذا يعني بالتخييط ؟ اجاب ان الاحباش والصوماليين يخيطون فروج البنات ولدى الزواج تعمل لهن القوابل عملية جراحية . فاستغربت ما قال ولكن سورياً اخر اكد لي ذلك

Digitized by Birzeit University Library

٨ — الصوماليون. قوم سود البشرة عراة الابدان، الاوزرة على الوسط سواء في ذكورهم واناثهم. اكثرهم مسلمون وهم سليمو النية لينوا العرائك يتكلمون باللغة العربية ولهم رطانة خاصة بهم. وهم اكثر سكان تلك الشطوط من مصوع الى مباسا. والساحليون منهم اقل همجية من اهالي الداخلية

سألت اعرابياً: اية الدول الثلاث يوثر الصوماليون — أانكلترا ام فرنسا ام ايطاليا؟ اجاب: يوثرون الدولة الاسلامية. قلت واذا لم يكن هناك من دولة اسلامية؟ اجاب يوثر كل الدولة التي تحكمه. فافهمني بذلك كل ما اردت ان افهمه منه

ولما اتى فتيانهم الى الباخرة اخذ الركاب يرمون لهم الصلادى في البحر فيغطسون وراءها كالسمك ويخرجونها. وكانوا يراعون خوفاً من الجنود الفرنسية كانما قد علمهم الاختبار ذلك

جيبوتي في افريقيا كعدن في آسيا، قصدت فرنسا ان تجعلها اسكلة الحبشة فمدت منها خطاً حديدياً الى اديس ابابا قصبة الحبشة طوله ٧٨٤ كيلومتراً يمر بمدينة شوا تجري عليه القطر يومياً بين جيبوتي وبين الداخلية

صادرات جيبوتي: الذهب والعاج والريش والفول السوداني والجلود والبن والكبريت والتمر. وارداتها: السكر والاقمشة والمعادن والبترول والزجاج

ربحت عدن وخسرت جيبوتي في الحرب لزيادة الحركة التجارية في تلك ونقصها في هذه

****

Digitized by Birzeit University Library

- ٩، الحبشة -

واذ كنت في جيبوتي في ارض حبشية رأيت ان اثبت خلاصة بي كتابي عنهـا — والعهدة على الراوي قال : الحبشة بلاد واسعة الاكناف تمتد بين السودان والصومالي . سكانهـا ٨ ملايين نفس منهم ربع مليون يهودي . واكثر سكان تيغري في شمال الحبشة مسلمون والباقون مسيحيون ومسيحيتهم فرع من القبطية وهم يعتبرون بطريرك الاقباط رئيس كنيستهم وخليفة ماري مرقس ويمارسون الختان والمعمودية ويغسلون موتاهم قبل الدفن

اسكلتهم جيبوتي على خليج اوبخ وقد مرّ بك وصفها . يأتون اليها بحاصلات بلادهم ويستبدلونها بالبضائع الاوربية على انهم في الشمال والغرب يتجرون مع السودان

ويؤمها الهنود من بومباي ولهم فيها تجارة كبيرة

تقسم بلاد الحبشة الى ممالك — او ولايات — يسمى رئيس كل منهـا الرأس كرأس تيغري ورأس شوا ورأس غندار ورأس الروس هو الامبراطور وكرسيه في ادبس ابابا

كان منليك امبراطور الحبشة اعدل ملوك زمانه : عم الأمن في البـلاد حتى صار حامل الذهب يجوب الافاق غير هياب . واذ لم يكن لمنليك ابن يخلفه على العرش حمل رأس تيغري على اعتناق النصرانية وسماه الرأس ميخائيل وزوجه ابنته شوجاس واوصى بالملك بعده لحفيده ياسو بن ميخائيل هذا . فلما مات منليك كان ياسو هـذا قاصراً ولكن بايعه الاحباش عملاً بوصية منليك جده واقاموا عليه وصياً عاقلاً من شيوخهم . فلما بلغ سن الرشد واستقل بالامر

Digitized by Birzeit University Library

احاط عرشه باقوام لا يلائمون عواطف الامة واخذ يتردد بين الاسلامية وبين المسيحية. ولما كان ذلك مغايراً لتقاليد الاحباش خلعوه وولوا بعده خالته وازيرو زوديتو (او الاميرة زوديتو) وعينوا زوجها الداز ثمانس نائباً عنها. فهب الرأس ميخائيل لنصرة ولده ياسو وجيَّش في تيغري عاصمته جيشاً كبيراً وزحف به على اديس ابابا فلاقاه انصار زوديتو على الطريق وكسروه شرَّ كسرة واعتقلوه وهو اليوم مع ابنه ياسو في السجن. هذه خلاصة المسألة الحبشية

ذهب كثيرون من ركاب الباخرة بوليكا الى ادارة البريد وصحبتهم وهناك رأيت لاول مرة في حياتي السيدات في وظائف الحكومة. الادارة واسعة نظيفة نخمة هادئة فابتعت بعض طوابع البريد لحفظها وعدت الى الباخرة

فمررت بمئات فتيان الصوماليين العراة الابدان يحومون حول الاوربيين كالكلاب لاجل كسرة خبز. هذا هو ديدنهم في الحياة فهم كالبهائم — لا عمل ولا امل — الى ان يموتوا فيخرجون منها كما دخلوها، عراة جهلاء — وكم من حياة في هذه الدنيا بداءتها كنهايتها، وجودها كعدمها لا يدرك الحكمة فيها الا مبدعها

المقالة الخامسة — على صفحات الماء

١ — البحر الاحمر

يمتد هذا البحر من بريه سيناء شمالاً الى جايج جيبوتي جنوباً. طوله نحو ١٢٠٠٠ ميل وعرضه يتراوح بين ١٠٠ و ١٣٠، ينتهي شمالاً بخليجين هما خليج العقبه شرقاً وخليج السويس غرباً والدلتا بينهما هي شبه جزيرة سيناء واخر نقطة في الدلتا «رأس محمد»

Digitized by Birzeit University Library

وينتهي جنوباً بخليجين هما خليج جيبوتي — اونج — ومضيق باب المندب

بدأت بوليكا سيرها في البحر الاحمر صباح الاربعاء في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٨ الساعة ٤ ونصف صباحاً من السويس. وبلغت مرفأ جيبوتى في الحبشة مساء الاحد الساعة السابعة ونصف في ٤ شباط فتكون قطعت المسافة بمدة ١١١ ساعة كانت هادئة في سيرها يكاد من فيها لا يشعر بحركتها مع شدة النوء احياناً فكانت كصخرة في وسط المياه لا تزعزعها العواصف والرياح، وقد انهالك علينا امطار غزيرة في القناة ثم انقطعت منذ برحناها. وكان البرّ الافريقي يلوح لنا عن بعد بسلاسل جباله القاحلة

٢ — عمان

استأنفت بوليكا سيرها الساعة الخامسة من مساء الاثنين في ٥ شباط وكان برّ زبلع الى يميننا فاجتزنا الخليج بمدة ٤٨ ساعة ورأينا رأس غودفري — منتهى البر الافريقي — الاربعاء ظهراً الى اليمين وجزيرة سوقطرة مساء الى اليسار. ثم دخلنا بحر العرب — الموصل بين افريقيا وهندستان

واجتزنا المسافة بين رأس غودفري وسيلان وهي نحو ١٦٥٠ ميلاً بمدة ثمانية ايام وسبع عشرة ساعة

ينتهي الاوقيانوس الهندي شمالاً بخليجين هما بحر العرب غرباً وخليج بنكالا شرقاً وبين الخليجين شبه جزيرة هندستان

٣ — ابدع مجالي السرور

في بحر العرب شهدت ابدع مجالي السرور وذلك في صباح ١٠ شباط اذ كنت على مقدّم الباخرة ارقب البحر على جاري عادتي واذا وجه الماء تغير

Digitized by Birzeit University Library

فجأة من سطح كثير التجعدات الى لوح زجاج تام الصقالة دون اقل تغضن ، فخلت سطح البحر كقرص السماء ولبثت اتمتع بذلك المنظر الشائق واذا الشمس قد برزت من وراء الحجاب فنشرت على ذلك المستوى بساطاً برتقالياً - بلون الذهب تماماً - هكذا كان مرآه من الافق الى الافق ثم اخذ هذا البساط الصقيل يتلون باللون السندسي فالبنفسجي وتتماوج فيه الالوان دون المياه

هناك خلت الارض ابدع من السماء على انني لم انس ان السماء مصدر الجمال وحينئذ طفح السرور على نفسي وقلت مع المرنم :

« ما اعظم اعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت »

ونسيت كل هموم الحياة وذقت لذة الطبيعة لاول مرة في حياتي . فكما ان الانسان ليس حراً ان لا يحزن اذا توفرت دواعي الحزن فهو ايضاً غير حر ان لا يفرح اذا توفرت دواعي السرور

٤ — السمك الطيار

وفي ذات يوم لمحت شيئاً يطير على وجه الماء وبغتة اختفى ، وكان ذلك قرب الغرب . ففركت عيني لاتحقق الامر وفتحت الاطلس الذي لم اتركه مدة السفر لارى هل من بر بالقرب منا فرأيت اننا بعيدون عن كل بر . فما هذا الذي رأيته يطير ؟ فلبثت اترقب متوقعاً تكرار المنظر وللحال خفق قلبي خفوق المسرة وشعرت بلذة الاكتشاف اذ نشبت سمكة من الماء الى الجو وطارت افقياً ثم عادت الى قلب الماء فصحت على الفور « السمك الطيار »

كنت فيما سلف اظن ان السمك ينشب من الماء مقلداً الطير ولم ادر ان له جناحاً . اما الان فظهر انه طائر حقيقي . عندئذ تراكمت التصورات في

رأسي وتجسمت لي علاقة الاسماك بالطيور وان الحياة بدأت بالماء ومن ذلك الحين صرت ارى الاسماك تطير فرادى وجماعات واكبرها جسماً اطولها اقامة في الهواء

ورأيت سرباً كبيراً من السمك الطيار جنوبي هندستان وفي بحر بنكالا على انني ما رأيت قط في ذلك البحار اثراً لكاب الماء الذي كان يداعب لوتيس في بحر الروم

٤ — ميناكوي

لقد شاقنا البر بعد احتجابه وذلك يوم الاحد في ١١ شباط ظهراً اذ برزت جزيرة ميناكوي في الجنوب الغربي من بر الهند . وكانت الخضرة تكسوها كانها جنة عدن . ولست انسى اجتماع مئات الركاب على سطح الباخرة يحدجونها بالانظار . ومثل ذلك حدث لنا في صباح ١٣ شباط لما ظهرت جزيرة سيلان . واجتمع الركاب على المقدم والنواظير في ايديهم يرفعون انظارهم الى جبال سرنديب

وزاد سرورنا الساعة ١١ صباحاً لما دخلت الباخرة الحوض وصعد البوليس الى ظهرها لفحص الجوازات فكان الركاب يتسابقون اليه وكل يروم ان يكون الاول في النزول الى القارب . على انهم بعد ساعات فقدوا تلك الاشواق وانبثوا في عرض الجزيرة تتنازع قلوبهم شواغل اخرى وعتب مسرات بعضهم آلام — شأن المرء في الحياة — يسعى وراء الافراح وهو يجهل ما خبأته له الاقدار . والذي اذكره بالسرور انه لم يكن احد منا مرفوضاً وقد عوملنا بالملاطفة والاكرام . في كولمبو ودعت بوليكا وما عشت لن انسى خمسة عشر يوماً على متنها

مكتبة جامعة بيرزيت البيرزة

Digitized by Birzeit University Library

قضيت باعظم المسرات . وكانت اصوات اللاعبين والمغنين والخطباء تطن في اذني ايامًا عديدة بعد تركها

٥ — خليج بنكالا

هو الفرع الشرقي من الاوقيانوس الهندي يسمى بر الهند الى غربيه قورمنديل وما الى شرقه بورما ويحده جنوبًا جزر هولندا ويشبه هذا الخليج مثلثًا رأسه عند كلكتا حيث يصب نهر الكنغ وقاعدته ملامسة لجزر هولندا

دخلته الخميس مساء في ١٥ اذار سنة ١٩١٨ في الباخرة جنصن مارو اليابانية وخرجت منه الاحد في ٢١ منه صباحًا بعدما اقمنا في رانكون بورما يومين . وعندئذ دخلنا في المضيق الفاصل بين شبه جزيرة ملقا وبين سومطره

٦ — جنصن مارو — هي باخرة صغيرة فيها بضع غرف لركاب الدرجة الاولى فقط ، وتحمل على ظهرها مئات من ركاب الدرجة الثالثة ، وليس فيها درجة ثانية ، فهي تختلف كل الاختلاف عن بوليكا وكان مشهدها غريبا لان ركابها مؤلفون من طرفين لا جامع بينهما ، وكان اكثرهم هنودًا قاصدين بورما لانتجاع العيش ، وبعد بورما غلب فيهم العنصر الصيني

ومن اغرب مشاهد الحياة ذلك الخليط الهندي: عراة الابدان الا الوزرة على الوسط بيضاء الاصل سوداء الحال ، نحاسيو الجلد ، سود العيون والشعر ، واكثرهم هنود وفيهم بعض السيخ

٧ — صديقي المحمدي

وكنت اقرأ القرآن على ظهر الباخرة ، واذا بشاب هندي من كلكتا برقت اساريره اذ رآني فقال بصوت ممدود

Digitized by Birzeit University Library

السلام عليكم

فاجبته : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

هذا الشاب لم يسألني عن مذهبي ، اذ كان كلي الثقة بانني مثله . فصار يقصدني كل يوم ويرتدي لدى مقابلتي افخر ملابسه ، ويفاخر باجتماعه بي بين اولئك النور ، وكان يتكلم العربية الفصيحة ، فاذا خاطبته باللغة الدارجة كان يقول : هل تتكرمون بترجمة مـا قلتموه الى اللغة العربية ، فكنت اضطر الى اعادة الجملة بالنص الكتابي ، فيفرح اذ يفهمها ، وهو من طلبة كلية البرسيدنسي في كلكتا

٨ — الهنود

لقد كان ظهر « جنصن مارو » مظهر القذارة واللغب ، هنـا ظهر الهنود كما هم تماماً لا كما يصورهم بعض الكتاب . فكانوا ثرثارين من الدرجة الاولى ، يهيئون طعامهم الحقير على ظهر الباخرة ، وعند المساء يجتمع السيخ للصلاة — وهم طائفة هندية تسكن سفوح جبل حملايا ، وصلاتهم اشبه بصلاة المسلمين وهي ذات ركعة واحدة تتم بكل خشوع . يحيطون بعدها بامامهم ويتبعونه بالترنيم كما في حلقة الذكر

وكان بين الركاب جماعة من الصينيين ، وهم اوفر حشمة واقل ثرثرة وانظف ابداناً واكمل الباساً ومعهم صناديق وكراسي والات موسيقى وطاه يطبخ لهم الارز ، ويعد السلطة وغيرها من مأكولاتهم ويبيعها لهم بابخس الاثمان

وارقى جميع الركاب الشرقيين اليابانيون ، وهم ركاب الدرجة الاولى

وقد كنت الابيض الوحيد بينهم ، امثل ستمئة مليون من ارقى طبقات

Digitized by Birzeit University Library

البشر فلسفه وعلماً ودينا. فكنت قبلة انظارهم من القبطان الى اصغر نوتي. وكانوا يتسابقون الى محادثتي بالكيفية وكنت مرجعهم بينهم لا يفوقني بها احد الا القبطان وهو رجل بكل معنى الكلمة ومن اصدقاء الاميرال طوغو الشهير.

٩ – صديقي الهندو

عرفت في الركاب هندياً قاصداً سنغابور — هذا كان يشبه احد رفاقي في المدرسة هيئة واخلاقاً فارتاح قلبي الى عشرته وجرت لي معه احاديث طويلة مضحكة الخص بعضها. كان صديقي ككثيرين من الاسيويين مطلق الفكر من كل قيد الا الدين. فاذا حدثته في السياسة او الاجتماع كان حر الفكر سريع الخاطر ولكنك متى دخلت معه في شعاب الدين يتعقل في حصون البرهمية فلا ترى لذلك الحر البديه من اثر. ومع انه ليس من الكهنة فقد كان اشد تشبثاً بالديانة من الحبر تركابوشن الآتي ذكره. فكان يبرر عقائدها وعوائدها الى التمام وعنده ان كل شيء قابل النقد والفحص الا «البرهمية» كقول الشاعر:

بالعقل والدين له كل الرضا

سألته من اي الطبقات هو؟ فقال من طبقة الجند. على انني رأيت فيه كل الاوصاف الا الجندية. وكان جوابه عن كل مسألة واحداً وهو: — «هذه فلسفة عظيمة» هذا كل ما كنت اسمعه منه. سألته مرة ما هي الحكمة في طبقاتكم الاجتماعية؟ اجاب «هذه فلسفة عالية!»

وسألته لماذا تعتدون للشاب على فتاة قاصرة؟ اجاب «هذه فلسفة لا يدركها الا الكاهن!» قلت: وكيف ذلك؟ اجاب: «عند الكاهن سجلات مضبوطة يثبت فيها المواليد بتواريخها. فاذا عرضوا عليه خطبة احدهم لاحداهن

رجع الى القيود ابدى في اي يوم ولد كل من المرؤسين وفي اية ساعة من ذلك اليوم واية دقيقة — ثم كشر عن انيابه وخبط يده في الهواء وصاح قائلاً : وفي اية ثانية — وقد خفت ان يقول واية ثانية — فاذا تبين له صوابية العمل اجازه والا فلا...

فقلت له ومظاهر الاحترام تغشاني لفرط تلك الفلسفة « ألى هذا الحد يدقق كهانكم ؟» اجاب بل واكثر . وكنت اكتفي بجوابه تأدباً واتنكب عن الجدل رغبة في المزيد من المعلومات

وسألته مرة لماذا تمنعون زواج الارملة ؟ اجاب هذه فلسفة عويصة جدا !!

— ولماذا تحرقون الارملة وهي حية مع جثة زوجها ؟ فكشر عن شدقيه وقال بمزيد الجد : « هذه اعظم الفلسفات !» فقلت له : ما شاء الله على هذه الفلسفة !!!

واستأنف الكلام قائلاً : اعلم يا صاح ان الدولة الانكليزية حالت دون هذه العادة الهمجية على زعمها . واذ كان القوم مرة على وشك اتمام هذه الفريضة باغتتهم كوكبة من الفرسان الانكليز وحالت دون مرامهم فاخذت المرأة تصلي ورأس زوجها على ركبتها — وظلت تصلي وتصلي وتصلي — واذا نار التهمتها وجثة زوجها والناس يشهدون ذلك . هكذا اخبرني الذين رأوا الحادثة

وسألته رأيه في المجوسية والبوذية وغيرهما من المذاهب فاجاب : ان كل الاديان سواء وتلك الديانة انما هي البرهمية . فعنده الديانات كلها واحدة في في جوهرها مختلفات في اعراضها . وضرب مثلاً لذلك ان ثلاثة اولاداً كانوا يملكون فرشاً واحداً وقد اختلفوا في ماذا يشترون به — فكان احدهم يقترح ان

Digitized by Birzeit University Library

يشتري به بطيخة والاخر قربوس والاخر ملون وهم يجهلون انهم متفقون. وظلوا في النزاع والشحناء حتى مرّ بهم عاقل يحسن الانكليزية والتركية والعربية. هذا عرف انهم انما اختلفوا على الاسماء مع وحدة الطلب فهدأ روعهم ووعد كلا منهم ان يشتري ما اراد. فخضع الاولاد ودفعوا له القرش فذهب الى السوق واشترى بالقرش بطيخة. فلما رأوها فرحوا بها وضحكوا على اختلافهم الوهمي. فان البطيخة تدعى قربوس بالتركية وملون بالانكليزية

قال صديقي الهندي وهذا هو شأن الاديان

في سنغابور فارقت ذلك الصديق ولا اعلم هل اراه ثانية وقد تركني ولكنه قد شحن عقلي بالاراء والروايات الهندية التي كان يمليها عليّ اوردتها هنا دون تعليق عليها شأني في كل هذا الكتاب ومنها يعرف القارىء شيئاً عن افكار الهنود

١٠ — الحزينة في ليل الدجى

كان على ظهر الباخرة اخوان — مع احدهما زوجة لكل وولدان — ارغمهما على الهجرة الى رانكون بورما طلب المعاش. وحدث في ليلة وصولنا الى رانكون ان الزوج مات. فعلت ضجة الزوجة وولديها كل الليل — وقد مرّ بك ان ارملة الهنود لا تتزوج — فكانت احزان تلك الفتاة على قرينها اشد مما تتصور. لانها تبكي — ليس رفيق حياتها — بل حياتها التي ماتت وهي حية

ليس من مـات فاستراح بميت انمـا الميت ميت الاحيـآء

فكانت تندب وتعول كل الليل وشاركها في ذلك ولداها وولدا سلفها. وفي الصباح حضر طبيب الباخرة وبوليسها وطرحا جثة الميت في مياه بنكالا

Digitized by Birzeit University Library

وانتهى الامر . وكنا قد بلغنا مياه نهر رانكون في هدوء ذلك الصباح ومع شروق شمسه الشديدة الحر . وقفت افكر شاعراً بسوء حال الناس ورفعت عيني الى سماء بورما بسكوت واحترام

كيف تحتمل الالهة ذلك ؟

وما هي تعزية الذين لا يؤمنون ؟

كيف سمح بحلول هذه الكوارث بهؤلاء الناس ؟

وكيف تأذن بنكبة الارامل والايتام لغير ما ذنب جنوه ؟

بعد سنغابور لم يبق من الهنود الا عشرة ذاهبون الى هنغ كنغ للبوليسية اذ لا تستخدم انكلترا في بوليسها في الصين غيرهم وهم هناك يلبسون الثياب الاوربية والعمة الهندية

وكان الصينيون ابعد عني من الهنود واكثر نشوفة وكذا اقل مداخلة معهم واكثر دهشة من غرابة ازيائهم وسحنهم — وسيرد وصف ذلك في الكلام فيهم . — وكان بحر سيام قد هاج فقطع بيننا الاوشاج ولكني هنا وفي كل سياحتي الاسيوية لم يصبني الهدام (دوام البحر)

سيلان كولمبو

١ — جغرافية سيلان كولمبو

في الاقيانوس الهندي قرب رأس عمودين في الهند قطعة من الارض اليابسة في شكل القلب تدعى : « جزيرة سيلان »

طولها ٢٧٠ ميلاً وعرضها ١٤٠ ومساحتها ٢٥٤٨٠ ميلاً مربعاً وسكانها ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ نفس وهم :

Digitized by Birzeit University Library

٣٠٠٠٠٠٠	سيلانيون	٧٥٠٠	اوربيون
١١٠٠٠٠٠	هنود	١٤٠٠٠	خلاسيون
٢٦٦٠٠٠	موروس (مسلمون)	٥٠٠٠	اصليون
١٤٠٠٠	برغل (برتغاليون)	٩٣٥٠٠	بقية الانواع

ويقسمون حسب المذاهب هكذا:

٢٨٠٠٠٠٠	بوذيون	١٠٠٠٠٠٠	براهمة
٢٥٠٠٠٠	مسلمون	٣٣٠٠٠٠	كاثوليك
١٠٠٠٠٠	بروتستانت	٢٠٠٠٠	بقية المذاهب

٢ — الاقليم

ومع كون سيلان قرب خط الاستواء فان اقليمها لطيف ولا سيما ليلاً اذ يعتل النسيم ، اما على الجبال فيشتد البرد وتجلد المياه . وعلى قمة هورتن على علو ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر سهل فسيح اقليمه اوربي تماماً

واعلى قمم جبالها ٩٠٠٠ قدم وتصدر منها اربعة انهار تتوزع في انحاء الجزيرة وتكثر فيها الامطار ولذلك كسوتها الخضرة ، ولها مركز عمراني واقتصادي منيع جدا . وقد قال فيها كاتب اوربي ما نصه : « تكثر في سيلان الامور المستحبة واولها مركزها الاقتصادي ، فيؤمها الماليون لتشغيل اموالهم فيعود عليهم ذلك بالارباح الطائلة

وثانيها اقليمها الحسن ، فيقصدها الاوربيون هرباً من حر هندستان القادح وبرد اوربا القارس . ومن زارها مرة لا ينساها بل يود العودة اليها وهي فردوس سرور الاوربي المقيم في مفاوز الهند المحرقة فتجدد جبالها شبابه وتزيده نشاطاً

Digitized by Birzeit University Library

باقصر مدة وقل نفقة . اما الاغنياء وعشاق البذخ فنذكر لهم سيلان وكفى .

وكذلك المستشرقون وعلماء الدفائن والاثار ، وانه ليدهشنا اعراض واحد ممن يعرفونها عن زيارتها

٣ — جوز الهند

سيلان بلاد زراعية فيها ٦٥٠ الف فدان من الاراضي المستعملة يخصب فيها الشاي والارز والكاوتشوك واليهارات و . .

جوز الهند

وهذا الاخير محور حياة السيلاني ، كما ابان ذلك الاستاذ كبر في كتابه حيث قال : « ان شجرة جوز الهند للسيلاني كل شيء : فهي يبني بيته بجذوعها ويسقفه باغصانها واوراقها ويصنع من الياقها حبالاً لربط رفوفه وتسبيخ مزارعه وتعليق ارجوحته ويطبخ طبيخه على قشورها ويصنع من تلك القشور صحافه وملاعقه ويحوك اغصانها اطواقاً يركبها للصيد في البحيرات والانهار ، ويشرب ماءها اذا عطش ويأكل لبابها اذا هو جاع ويرتشف خمر اضنابها اذا قصد السكر ويدلك جسده بزيتها اذا هو مرض ويحلي قهوته بعسلها ويمزج شايه بلبنها ويصطنع من قشرتها مصباحاً ينيره بزيتها ويوضع منها على سريره حين يولد وعلى قبره حين يموت ، طاقات ازهار لطرد الارواح الشريرة عنه

وبمناسبة قوله « يشرب ماءها اذا هو عطش » اذكر ما حدث لي في ليل ١٦ شباط ١٩١٨ في قطار الهند — بين كولمبو ومدراس — فقد اكلت في القطار ، وانا شريب ، ولا ماء في القطار ، واخشى ان اتخلف اذا نزلت في احدى المحطات ، وانا اجهل رطانة اولئك الاقوام وارهب الدخول الى اكواخهم .

Digitized by Birzeit University Library

وفيما انا حائر وعطشان بلغ القطار محطة « رافيانغودا » واقبل فتيان الهنود ينادون على « الكوكو » فاشتريت احداها بانخس الاثمان وفيها اكثر من ثلاثماية غرام من الزلال الصافي كنت في ارتشافه مرتاح الضمير لانه صنع الطبيعة وخال من الجراثيم والافذار وعندئذ شعرت بقيمة جوز الهند

٤ — اقتصاديات وادبيات

في سيلان الخيل والبقر والمواشي ، ويكثر السمدان في اجامها وغياضها ، وفيها من المعادن والحجارة الكريمة : الصفير وعين الهر والياقوت والمرجان واللؤلؤ والبلومباج والملح . تجارتها واسعة النطاق يساعدها على ذلك موقعها الجغرافي فانها على ٣٥٠٠ ميل من السويس و ٣٨٠٠ ميل من رأس الرجاء الصالح و ٣٤٠٠ ميل من اوسترالیا و ٣١٠٠ ميل من هنغ كنغ و ٢٢٠٠ ميل من كلكتا وبباي ورانكون ، واكثر معاملاتها مع الاملاك الانكليزية . كانت صادراتها سنة ١٩١٥ — ٩١٨٤ ١٠٩ جنيهاً انكليزياً وواردآتها ١٨٢٢٥٠٦٦

تكاد حالتها العلمية لا تنقص عن حالة ممالك اوربا ، وتنفق حكومتها سنوياً على المعارف ١٤٠ الف جنيه ولها ٨١٧ مدرسة وتساعد ٣١ ٢ مدرسة اهلية وفيها الف وثلاثماية حرة وفي كل تلك المدارس اربعمئة الف طالب

اكتشف سيلان البرتوغاليون سنة ١٥٩٥ وملكوها سنة ١٦٥٦

انتزعها منهم الانكليز سنة ١٧٩٧ وهي في ايديهم الى اليوم . قسموها الى تسع ولايات اهمها الغربية قاعدتها وقاعدة الجزيرة كلها

٥ — مدينة كولمبو

وصلت هذه المدينة صباح الاربعاء في ١٣ شباط سنة ١٩١٨

Digitized by Birzeit University Library

ولا انسى ما عشت تأثيرات اختباراتي الجديدة فيها

موقعها على شط الاوقيانوس الهندي على بعد ١٧٥ ميلاً من بر الهند

عدد سكانها ٣٠٠ الف نفس ، لها مرفأ حسن مساحته ٦٦٤ فداناً مربعاً ،

وهو مصنوع بسدّين متينين وسلسلة جزر صغيرة

مدينة كولمبو واسعة الجناب فسيحة الرحاب مخضلة المروج قويمة المسالك

نظيفة الجنبات بديعة المناظر طيبة الماء عليلة الهواء وافرة المخازن غنية بالبضائع

فيها البيوت المالية والاندية العلمية والمتصدقات الصحية

كلياتها — ١ً — كلية التهذيب ٢ً — كلية سانت نوماس ٣ً — كلية

رويال ٤ً — كلية ولسلي ٥ً — كلية ماري يوسف ٦ً — كلية السيدات

٧ً — كلية فويان غودا البوذية . زرت هذه الاخيرة ، وهي في المدينة تضم ٤٠

طالب يدرسون فيها ديانة بوذا وفلسفة كنفوشو ولغة السنسكريت . ومدة

التحصيل فيها عشر سنوات ، يأكل طلبتها مرة واحدة في اليوم وذلك وقت

الظهر فقط ، ويمتاز رهبانها بلبس الاصفر ولا يقابل رئيسها احداً الا في اول

الشهر القمري ووقت البدر

وفي الكلية مكتبة انكليزية فيها قاموس سنسكريتي كتب عليه ادوارد

السابع اسمو يوم زارها سنة ١٨٧٨ اذ كان ولي عهد انكلترا . وفيها غرفة تختص

باثار بوذا فيها بعض اجزاء من جسمه وشعره ، وصورة زيتية لموسس المدرسة

الحبر سرّي منغرا وقبره في ساحة الدار تجاه

الهيكل البوذي

وهو اول هيكل بوذي زرته : صغير الحجم ، حسن الوضع ، متقن الصنع

Digitized by Birzeit University Library

كثير النقوش نظيف جداً. فخلعت نعلي ودخلته باحترام وفيه لبوذا ثلاثة تماثيل اكبرها تجاه الباب مضطجع على يمينه وثانيها الى اليمين واقف، يعظ وثالثها الى اليسار قاعد يعلم وهو في كلها بالملابس الصفراء يزينه الابتسام

وعلى جدران الهيكل من الارض الى السقف صور تمثل حياة بوذا في بيت ابيه، ولما تزوج، ولما ترك امرأته، وهجره البيت في طلاب الحكمة، ولما تبعه ابوه يلح عليه ان يعود الى بيته ومجده فرفض ولف ضفيرته دلالة على الزهد والانقطاع الى التدين والنسك، وصورة تلامذته الاثني عشر الذين ارسلهم ليكرزوا الخ..

وتقبل المدرسة احسانات من كل زائر

٧ — قطار الهند

كولمبو غنية بوسائل الراحة فيها اسلاك البرق والتلفون والكار ومستشفيات عديدة — خصوصية وعمومية — وقد زرت الاثنين وهي نقطة اجتماع الخطوط الحديدية في الجزيرة يسير منها القطار يومياً الى كلكتا في الهند وقد يستغرب القاريء ذلك والبحر يفصل بينهما وللبيان اقول:

يمتد من شمالي سيلان شبه جزيرة منار نحو البر الهندي وطولها ٢٦ ميلاً وكذلك يمتد من جنوبي بر الهند شبه جزيرة بمبام نحو سيلان

فمدت الخطوط الحديدية الى طلمناي في اقصى منار، والى دانشكودي في اقصى بمبام

والمسافة بينهما ٢٢ ميلاً تدعى «جسر ادامس» يجتازها الرفاص بمدة ساعتين. وقد وصل بنا القطار من كولمبو الى طلمناي صباح الاحد في ١٧

Digitized by Birzeit University Library

شباط وكان بحارة لرفاص بانتظاره كعادتهم كل يوم ، والمحال بادروا فنقلونا حسب درجاتنا الى الرفاص ، وغب فحص الجوازات سار بنا الرفاص في عرض البحر فبلغنا محطة دانشكودي في البر الهندي وهنا ايضاً كان البحارة بالانتظار فنقلونا وامتعتنا الى القطار بكل راحة واكرام

وقد ميزوا الاوربيين — وانا منهم طبعاً — على الهنود فوضعوهم في عربات على حدة حرصاً على راحتهم وفصلوا عنهم الهنود ووضعوهم في عربات صغيرة. هكذا يفعلون دائماً

على هذه الصورة يسير السفر يومياً من كولمبو الى كلكتا والمسافة بينهما برا وبحرا نحو ثلاثة الاف كيلومتر وذلك بمدة ٧٦ ساعة

ويمتد الخط الحديدي من كلكتا الى دارجلين في سفوح جبال حملايا الفاصلة بين هندستان وتيبت ولم نزرها حرصاً على الوقت وعدم الباعث

على ان الشركة لا تقطع الاوراق الى كلكتا رأساً بل الى مدراس ومنها ينتقل الراكب من محطة جيبور الى محطة سنترال ومن هذه يسير قطار الهند كل يوم الساعة ٥ مساء

وفي عزم حكومة الهند مد جسر بين طالمناي ودانشكودي فوق بحر الهند وقد اعدت الرسوم واللوائح والاموال لانشائه ، وسيكون من اغرب الاعمال البشرية . ولا يذكر جسر بروكلين بالنسبة اليه

****

Digitized by Birzeit University Library

٨ — عادات واخلاق

ليس في كولمبو قهوة ولا مكسلة، فمتى انهى القوم اعمال النهار انصرفوا الى بيوتهم، ولا ترى نساءوهم في الشوارع الا نادراً، ولا يأسف مثلنا على ذلك، وليس فيها خمارات ولا محلات للفحشاء. تكثر في شوارعها الاشجار. على ان بيوت الوطنيين غاية في الحقارة اذا جازت تسميتها بيوتاً فانها كأوجرة الثعالب خالية من كل معدات الراحة نصدر اكثر صحفها بالانكليزية وهي متينة الورق غزيرة المادة صريحة اللهجة صدرت احداها بهذه العبارة: «لا تخضعها القوة ولا يرشوها الزبج»

السيلانيون متخنثون من الطبقة الاولى فانهم يرخون شعورهم ويلفونها في قرص الرأس كنسائنا ويضعون عليها الامشاط على عكس وضع نسائنا بحيث يكون محدبه نحو الرأس. لدى وصولي كولمبو ذهبت الى ادارة البريد واذا في الباب سيدة حسنة القوام بديعة الهندام لفت شعرها في قرص الرأس فكان كسبيكة من الماس وقد تقرطت وتمخنقت وتسورت وتخزمت وتحجلت وتختمت ولكنها لما التفتت ما كان اعظم خفوق قلبي وروعي اذ رأيتها: — رجلاً كبير العارضين جاحظ العينين كأنه عنترة بن شداد في ساحة الطعن والجلاد لم اتصور التخنث حتى رأيته بعيني في كولمبو. — هذا هو زي السيلانيين:

هم عراة الابدان الا وزرة على الوسط وان زادوا على ذلك فملاءة على الاكتاف. وهم حفاة الاقدام مطردا سود الجلود والعيون سريعو العمل عديمو القحة تستخدم الحوذي فيجري امامك صامتاً واذ تدفع له الاجرة يقبضها باحترام ويحني رأسه دلالة على التشكر ويمضي صامتاً

Digitized by Birzeit University Library

اخـذت ركشا مدة ساعتين ونصف لزيارة المتحف ولما عدت دفعت الاجرة القانونية لصاحبهـا ويدي في جيبي منتظراً احتجاجه فازيده نوالاً كما اعتدت في مصر. فدهشت اذ احنى رأسه دلالة على الشكر ومضى صامتاً وانا جامد كالصنم حائر من ادبه وقناعته

ويسرّك ان تراه يجرّ الركشا بدلاً من الخيـل -- وساقاه السوداوان تسابقان الريح -- ولا تسمع له ولا للركشا ادنى صوت اذ هو حافي القدمين ومحيط الركشا كاوتشوك فلا تحدث صوتاً فتراه يعدو بهـا عدو الظليم وتظنه سابحاً في الهواء

٩ الركشاو

الركشاو عربة صغيرة تسع راكباً واحـداً وهي ذات دولابين لطيفين تصنع من عيدان الخيزران يطوقهما الكاوتشوك يجرها الآدمي بدلاً من الحيوان وهي كثيرة في الشرقين الاوسط والاقصى. فاذا خرج الرجل باهله للنزهة ركب كل عربة لوحده فيسير بهما السيلانيان متصافين اذا اتسع لهما المجال او متتاليين اذا ضاق

١٠ لغتهم

يتكلم السيلانيون باللغة السيلانية ويسميها الاوربيون سنغالية ويسمونهم سنغاليز. فلا تتوهم ملابسة ذلك باهالي سنغاليا في غربي افريقيـا فانهم انمـا يريدون بالاسم السيلانيين لا غير وهي فرع من اللغة السنسكريتية المعروفة. وقد سمعت الخطبـاء والوعاظ تتدفق الفصاحة من افواههم وهم في الشوارع والاندية والناس حولهم مئات فكدت انهم موضوعهم لفرط الفصاحة والبيان

Digitized by Birzeit University Library

١١ — المتحف على بعد ثلاثة اميال من كولمبو وكل هذه المسافة جنائن وبيوت — وحتماً لم اعلم اين تنتهي المدينة بمحيط المتحف مروج — وما اكثر المروج في كولمبو — وهو بناء متوسط الحجم ذو طبقتين واسع الرواشن تداركا لشدة الحر في تلك الاقاليم الاستوائية واكثر معروضاته وطنية — ولا سيما اثار السيلانيين والهولنديين — وهي تدل على تمدن لهم سلف ولا سيما في كندي قصبة سيلان السابقة في داخل الجزيرة

ولم ادخل متحفاً يطالب خدمه بالهبة الا هذا المتحف فقد طالبونا بها كحق شرعي فدفعنا لهم ما تيسر

١١ — موقف تأمل .

في ٢٠ شباط سنة ١٩١٨ — (يوم كتابة هذه المقالة)

ان العقل ليحار في امر هذا الوجود

هنا في المنطقة الاستوائية في اقصى الدنيا، في ابعاد البحار — تتجلى — بين هؤلاء العلوج السود — عرائس المدنية والارتقاء . وتخفق على رؤوسهم اعلام العدالة والمساواة وتنتشر بينهم رايات العلم والعرفان ولهم اشرف الحكومات وارقى المدنيات وابهى المجالي . وفي سوريا وارمينيا — مهد التمدن ومهبط الوحي — ومسقط رأس العمران — الارض التي تفيض لبناً وعسلاً — التي شهد باهلية ساكنيها الداني والقاصي — يموت اهلها جوعاً وتخيم في سماواتهم غياهب النحوس — صنع حكومة جاهلة غشومة ظلومة فساءت احوال العباد ودكت شوامخ المدنية في البلاد

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

Digitized by Birzeit University Library

بقي ان اقول انني لم اجد باخرة في كولمبو كما كنت اوٴمل وبعد البحث والتأمل تراءى لي ان لا امل بالحصول على باخرة قبل مضي شهور رفال وكيل كوك ان لا امل بالحصول على باخرة قبل سنة ، أفأمكث سنة في كولمبو ؟

وعملاً باشارة صديقي ومساعدي مستر غرين سكرتير نادي الشبان المسيحيين في كولمبو ذهبت في القطار الى مدراس على امل ركوب باخرة منها الى رانكون والا فبرًا الى كالكتا حيث يوٴمل وجود بواخر كثيرة

المقالة السابعة — هندستان

فوقها اعلى الجبال
تحتها اعمق البحار

وهي اوفر البلدان سكاناً واغربها عمراناً واكثرها لغات ومذاهب وعادات دخلتها في ٢٠ شباط وبرحتها في ٢٠ اذار

١ — جغرافية

مساحتها ١،٩٠٠،٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٣٥٠،٠٠٠،٠٠٠ نفس

حملايا اعلى جبال الدنيا يبلغ ارتفاع افرست ٣٠،٠٠٠ قدم فوق سطح البحر. — الغات : الشرقية توازي قورمنديل ، والغربية . بحر العرب وهي اعلى من الشرقية

انهارها — الكنغ وبراهما بوترا والسند شمالاً ، وكستنا وغودفري ومنهادي شرقاً وليس في الغرب والجنوب انهار تذكر

معادنها وحاصلاتها :

هندستان مشهورة بغناها الطبيعي ففيها الذهب والفضة والنحاس والحديد

Digitized by Birzeit University Library

والرصاص والمغنيسيا ، وينبت فيها الارز والقمح والذرة والقنب والشاي والافيون والبهارات والخيزران وجوز الطيب . وفيها الاسد والنمر والفهد والضبع والذئب والفيل والباك والغزال والبافو والبقر والماشية والتمساح والحيات والبوا والسمدان

٢ — اقسامها سياسياً

تقسم الى ثلاثة عشر قسماً رئيسية فالخاضع منها لانكلترا . — سكان :

٧٦٣٦٣٥٠	اسام
٤١٤١٢٠	بلوخستان
٧٧ ٤٥٤٨٣	بنغال
٨٤ ٣٤٤٩٠	بحار واوريسا
٣٥٧٨٥٦٨٤	بمباي
٣٥١٣٤٤٣٥	السند
١٢١١٠٢١٧	بورما
١٣٩١٦٣٠٨	الاقاليم الوسطى وبيرار
٤١٤٠٥٤٠٩	مدراس
٤٧١٨٢٠٤٤	ولايات الشمال المتحدة : اضا واغرا
١٩٩٧٤٩٥٦	بنجاب
١٣٣٤٦٧٦	حيدر اباد
٣١٩٦٩٣٣	كشمير ونواحيها

وتحت هذه الاقسام اجزاء مستقلة يحكمها اهلوها تحت حماية انكلترا . لا حاجة لذكرها

Digitized by Birzeit University Library

تزيد لغاتها على مئتي لغة يرجع اهمها الى اصلين :

١ً - السنسكريتية ومنها الهندية والاوردية والبنجابية

٢ً — الاصلية ومنها التاميل والتلجو واخواتها

اهم اتباعها ومذاهبها : ١

٢١٧٥٦١٣١٣	البرهمية
٦٠٨٤١٩١٨	الاسلامية
١٠٧٢١٢٢٨	الانامية (عبادة القوى الطبيعية)
٣٨٧٦١٩٦	المسيحية
٣٠١١٠٩٥	السيخية
١٠٠٠٠٠	المجوسية
٢٠٠٠٠	اليهودية — فهي اقل بلدان الدنيا يهود

وفيها ٢١ بيمارستاناً فيها ٨٩٧٨ مجنوناً

وعدد السجناء في كل هندستان ١٢٢٢٨٢ او نحو ١ ٣٠٠٠

٣ً -- حكومة الهند

اولاً ملك انكلترا امبراطورها

ثانياً غرفة الهند في لندن فيها ١٤ عضواً برئاسة وزير الهند وهو مستشار التاج ومرجع الشؤون الهندية

ثالثاً حكمدار الهند في دلهي

رابعاً شورى الهند - وهو مجلس تحت ادارة حكمدارها فيه سبعة اعضاء احدهم هندي

Digitized by Birzeit University Library

خامساً – مجلس نظار الهند، وفيه احد عشر ناظراً للداخلية والخارجية والمالية والحربية والمعارف والنافعة الخ

٤ – اقتصاديات . سنة ١٩١٨ كان دخل حكومة الهند هكذا

جنيهات انكليزية

٢٢٢٦١٥٠٠	من الاراضي
٣٣٨٩٣٠٠	من الافيون
٣٩٧٢٩٠٠	من الملح
٥٩٦٥٤٠٠	طوابع البريد
٩٢٩١٧٠٠	رسومات داخلية
٩١٩٤٨٠٠	جمارك خارجية
٨٥٥٤٩٠٠	غيرها شتى
٦٢٨٣٠٥٠٠	هذه المداخيل الرئيسية
٢٠٩٥٧٠٠	فوائض وارباح
٤٣٢٩٧٠٠	البريد والبرق
١٣٩١٠٠	دار سك النقود
١٧٠٦٣٠٠	دخل الدوائر الملكية
٧٤٣٠٠٠	شتى
٢٠٢٥٣٠٠٠	السكك الحديدية
٥١٢٥٣٠٠	سقيا الاراضي
٢٨٥٢٠٠	الاعمال العمومية

Digitized by Birzeit University Library

١٣٢٧١٠٠ دخل نظارة الحربية

٩٨٨٥٠٩٠٠ المجموع

وكانت صادراتها سنة ١٩١٧ — ١٠٩٦٧٦٦٦٦ وارداتها ١٦٤٨٥٨٨٦٦

اهم وارداتها: الارز والدقيق والذهب والقنب والشاي والافيون والجلود والفحومات والاخشاب والزيوت

٥ — تاريخها ملخصاً

١ - دخلها الدوريد في عصر مجهول فطردوا سكانها الاصليين امامهم الى قمم الجبال

٢ — تسرب الاريون اليها منذ ٥٠٠٠ سنة تقريباً فساقوا الدرويد جنوباً

٣ — اسكندر المكدوني سنة ٣٢٦ قبل المسيح

٤ — محمد الغزنوي ٩٩٧ مسيحية واسس فيها الدولة الغزنوية وانتشر فيها الاسلام

٥ — بابيرين سبكتجين سنة ١٥٢٦ واسس الدولة المغولية

٦ — البرتغاليون سنة ١٥١٥ ولا تزال جاوى بيدهم الى اليوم

٧ — الفرنسويون بعد البرتغال ولهم فيها بونديشري وشندناغور وكاليكوت

٨ — سنة ١٦٠٠ انشئت شركة الهند الانكليزية للاتجار مع هندستان فبدأت ببناء حصن جورج في مدراس ١٦٤٠ وحصن وليم في كلكتا سنة ١٧٥١ واستلمت بمباي من البرتغال سنة ١٦٦١

(٦) هول ول — الغرفة السوداء

اشترت الشركة قارة ارض كبيرة شرقي هوغلي سنة ١٧٠٠ وشرعت

نبني عليها حصن وليم سنة ١٧٥١ وسنة ١٧٥٦ تبوأ عرش الدولة المغولية في مرشد اباد سراج الدولة نواب ، ولم يكن راضياً عن عمال الشركة فارسل يأمر العمال بالتوقف فلم يحفلوا بأمره . فحمل عليهم بخيله ورجاله وارسل يتهددهم ، واذ كانوا يعلمون شراسته فرّ اكثرهم الى مدراس يخبرون بالامر ، وسلم الباقون مستأمنين وعددهم ١٤٦ فيهم ٢٣ نساء وكان ذلك في ٢٠ حزيران سنة ١٧٥٦ فسلمهم سراج الدولة الى وكيله هابوب فأمرهم هذا بالدخول الى غرفة (هول ول) المدعوة الغرفة السوداء فضحكوا من امره حاسبين انه يمزح اولاً لانها لا تسع ربعهم وثانياً لان سراج الدولة امنهم ؛ وهم ليسوا محاربين . على ان هابوب اكد لهم انه يقول الجد ولما ترددوا ارغمهم على الدخول بروس الحراب وللحال اغلق الباب وراءهم ومضى . فداس بعضهم بعضاً وعلا الصياح والعويل ، واستغاثوا بمراحم السجان فلم يكن من مغيث . فعرض هول الجابي على السجان مبالغ طائلة اذا هو فتح الباب لدخول الهواء النقي فأبى ، فالتمس منه ان يخبر الوكيل هابوب بامرهم فأبى ازعاجه في حال نومه ، واخيراً همدت اصواتهم وخلفتها حشرجة الصدور ، وكانوا في حال الموت يستغيثون بعذبهم لاجل قطرة ماء فلم يعطوهم بل كانوا يكشرون عن اسنانهم هزءاً وسخرية دون ادنى شعور . وفي الصباح امر هابوب بفتح الباب فلم يخرج احد ، فأمر بجر الموتى وتكويمهم على جانبي الطريق ، عندئذ تمكن الباقون احياء من التسلل وهم اقرب الى الموت منهم الى الحياة وعددهم ٢٣ شخصاً ، قيل انهم لو رأتهم امهاتهم لما عرفتهم

ولما مثلوا في حضرة سراج الدولة لم يرق لهم ولا كلمهم بلطف . بل امر

هول بالمثول امامه وهو لا تقوى على الوقوف لثقل قيوده واهوال الليلة البارحة فكلمه بمزيد القسوة واهانه وتوعده وامر بنقله ورفاقه الى الداخلية

هذا ما كان من سراج الدولة اما ما كان من الشركة الانكليزية فانها سيرت عليه الجنرال كلايف والاميرال وطسون

(٧) كلايف – ومعركة بلاسي

وكان مع الجنرال كلايف ٩٠٠ جندي انكليز والفان هنود ومع سراج الدولة خمسون الفاً فيهم خمسة عشر الف فرنساويون فالتقى الجيشان في بلاسي وكانت المعركة فاصلة فسقطت دولة سراج الدولة وامتلكت البلاد الشركة الانكليزية وكان ذلك اساس الامبراطورية الهندية. ومعركة بلاسي هذه من ايام الانكليز المشهورة فاز بها الفهم على خمسين الفاً من اعدائهم

ويحسبون حادثة الغرفة السوداء المار ذكرها من شر الفظائع التي لطخت التاريخ وقد خلدوا ذكرها في الكتب والانصاب – يرى زائر كلكتا نصب هول ول في زاوية دلهوسي سكوير تجاه شارع كلايف

على اثر سقوط سراج الدولة نصبوا على دولته الامير جعفرا ثم خلعوه وارسلوا عليها حاكماً انكليزياً هو امير بنكال ثم لقب حكمدار الهند سنة ١٨٣٤

وثار الهنود سنة ١٨٥٧ فاخضعهم الانكليز بشدة بأسهم وحسن قيادتهم وسنة ١٨٥٨ زالت الشركة عن الهند للدولة الانكليزية التاء مبالغ طائلة من المال وسنة ١٨٧٧ لقبت فيكتوريا ملكة الانكليز امبراطورة الهند ونقلت عاصمة الهند الى دلهي سنة ١٩١٢ على اثر تتويج الملك جورج الخامس الحالي امبراطوراً على الهند

Digitized by Birzeit University Library

(٨) الانكليز الهنود

اينما ذهب الهندي عومل معاملة الانكليزي لان عليه حماية انكلترا وكانت انكلترا للهند خير معوان ابان الكوارث كما في مجاعة سنة ١٧٩٩ وقد حالت دون استبداد قويهم بضعيفهم واوقفت الجميع امام القانون سواء وانشأت لهم المدارس الاتية:

١١ جامعة ... وطلبتها عشرة الاف

١٧٠ كلية ـ وطلبتها خمسون الفاً

١٨٩٥ مدرسة عالية ـ وطلبتها خمسمئة وخمسة وعشرون الفاً

١٣٩٠٨٩ مدرسة ابتدائية .. وطلبتها ٧٦٠٧٤٩٦

ومدت فيها ستة وثلاثين الف ميل من الخطوط الحديدية فجعلت هند. ستان كالشبكة يسافر المرء فيها من مدراس الى بمباي، ومن كلكتا الى كشمير وكولمبو بكل سهولة وبمدة وجيزة دون ادنى خطر او انزعاج. وكل ذلك كان في عداد المستحيلات لولا حماية انكلترا. فتسمع صفير القطارات اليوم في وادي الكنغ وعلى سفوح حمالايا وفي سهول بنجاب وشطوط فورمنديل

علاوة على ذلك

جعلت هندستان نقطة مواصلات لا نظير لها في الارض لتوسطها بين اجزاء الشرق. فحل عواصمها اكبر الشركات البحرية وسيروا منها المراكب يومياً الى يابان وامريكا وفيليبين واوستراليا وافريقيا واوربا

وجعلت الانكليزية لغة المدارس العالية والكليات وبذلك يمهد لهم السبيل للاتصال بعالم التأليف الغربي والتمكن من احراز الثراء والارتقاء وقد اتبعت

Digitized by Birzeit University Library

في اثناء اقامتي في الهند قاعدة لم تتخلف وهي متى رأيت هندياً مكسوّاً وثيابه نظيفة اخاطبه بالانكليزية فيجيب، واذا كان عارياً قذراً ادعه وشأنه لعلمي انه امي. وقد نظمت انكلترا لهم انفس المتاحف واشهر المعارض واكبر البنوك وانفع المتصدقات

على ان الهنود غير ممنونين من انكلترا على ما تقدم بل بالعكس، وقد شرعوا بمناوأتها طلباً للاستقلال، وتذرعوا لانفاذ غاياتهم بارتكاب الجرائم والفظائع كما ترى من الجدول الآتي نقلا عن تقرير الهند السنوي سنة ١٩١٨ بقلم الاستاذ ريد

سنة	شهر	
١٩٠٧	ك١	محاولة قتل حاكم بنكالا في نارنجارا
١٩٠٧	ك١	والمستر ب الن في غولاندو
١٩٠٨	اذار	تدمير قطار السر فريزر حاكم بنكال في شندناغور
١٩٠٨	اذار	رمي المرسل جمسن يوثام بالنار في كوشتيا
١٩٠٨	نيسان	رمي قنبلة على رئيس البلدية في شندناغور وقتل مسز كندي في مظفر بور
١٩٠٨	آب	رمي قنبلة على مستر كمسي في القطار واغتيال ناث غوسن في اليبور
١٩٠٨	ت٢	محاولة قتل حاكم بنكال في قاعة اوفرتون، وقتل القوميسير ناندو والمخبر سكوتير والمحضر سمو كومر في ديكا
١٩٠٩	شباط	اغتيال بابو في المحكمة في اليبور

Digitized by Birzeit University Library

١٩٠٩ حزيران – ضرب موهون الى حد الموت في ناتهنجا كبور

١٩٠٩ تموز – اغتيال السر وليم كرزون ويلي في المعهد الامبراطوري في لندن

١٩٠٩ ت٢ – انفجار قنبلة قرب عربة اللرد منتو حكمدار الهند في احمد اباد

١٩٠٩ ك١ – اغتيال مستر جكسن تحصيلدار ناسيك

وهكذا الى سنة ١٩١٦ اضرب عنها اختصاراً

(١٠) – مسز بيزانت

سنة ١٩١٧ اختار الحزب الهندي مسز بيزانت رئيسة له وهي – ارلندية مناوئة للانكليز – فجالت في البلاد تخطب ضدهم وتحث القوم في عواصم هندستان على طلب الهوم رول فاوقفتها الحكومة في مدراس وفاه اللرد فنتلاند حاكمها بخطاب صرح فيه باستحالة منح هندستان الحكم الذاتي لعدم الاستعداد الكافي

فثار الرأي العام الهندي ووردت الاحتجاجات من كل اقسام البلاد. فاضطرت الحكومة ان تطلق سراح مسز بيزانت وحضر اللرد مونتاغ وزير الهند من لندن سنة ١٩١٧ الى دلهي لمخابرة ذوي الشأن بالامر وجال في عواصمها يأخذ آراء الامراء فاجتمع الاوربيون اصحاب المصالح الكبرى في هندستان مع المسلمين والحزب المعارض وجهروا برفض الحكم الذاتي

(١١) – نضال الصحف – واليك مثلاً مما تنشره صحف الهند يومياً

جاء في صحف هذا الصباح (١٠ اذار ١٩١٨) في الاخبار المحلية خبر اجتماع مجلس الشورى في دلهي فرفع المستر شاستري اقتراحاً يلتمس فيه ان تسعى الحكومة لتوظيف الهنود في ادارتها العلمية والفنية بدل الانكليز. واورد لتأييد رأيه الارقام التالية:

Digitized by Birzeit University Library

في قلم الزراعة اثنان وستون مستخدماً فيهم هنديان فقط

في دائرة البيطرة اربعة وثلاثون كلهم غير هنود

في مصلحة الغابات والحراج مئتان وثلاثة عشر بينهم هنديان

في قلم المساحات واحد وعشرون موظفاً كلهم اجانب

فألحّ مستر شاستري ان تسعى الحكومة في جعل نصف هؤلاء وطنيين في السنتين القادمتين

وجاء في صحيفة التيمز الهندية في كلكتا بتاريخ ٦ اذار سنة ١٩١٨ ما نصه « في الهند اكثر من ثلاثمئة مليون عشرهم فقط يحسن القراءة بلغاتهم وقسم قليل منهم يعرفون اللغة الانكليزية ، مفتاح المعرفة والتمدن وذخيرة عقل الهندي ، فطلب الحكم الذاتي ليس من مصلحة العموم — لحكم الشعب بالشعب لاجل الشعب — كما قال لنكن ، بل رغبة الاقلية في استعباد الاكثرية ، او دوس الاقلية الاكثرية . وذلك استبداد تجب مقاومته ، وسنقاومه ولسنا وحدنا المقاومين فان الحزب يعلم من معنا ، معنا الاكثرية التي يرمي الحزب الى سحقها . اننا نرحب بمبدأ الحكم الذاتي تدريجاً مع اعداد الامة له بالعلم والتمدن ولكننا نكره ونرفض ونقاوم تحكيم اقلية مطلقة بمئات الملايين

ان غربي اسيا يحسد الهنود على نعمهم الغزار ، من امن وعدالة وعرفان ، ويتمنى كل منهم لبلاده امثال ذلك . ولكن من نال بركة لا يشعر بها كمن عدمها لا يعرف الصحيح قيمة لما كان من الصحة حتى يبتلى

****

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الثامنة — مدراس

هي اول اقسام هندستان جغرافية وانكليزية ، تشتمل على القسم الجنوبي في شبه الجزيرة ، مساحتها ١٤٢٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها واحد واربعين مليون نفس سنة ١٩١١ ويقدرون اليوم بخمسة واربعين مليوناً

تدعى هذه الامارة « جنة هندستان » دخلتها في ٢٠ شباط وهو وقت القيظ — فصل الصيف — فرأيتها جنة الله في خلقه ، ويعجب السالك في هضباتها ووهادها بوفرة نضارتها وفرط غياضها التي تكسوها من الحضيض الى الذروة . تخترق مروجها وجناتها الانهار الثلاثة : كريشنا وغودفري ومهنادي وقد مررت بكل هذه الانهار الثلاثة فادهشني قدر جسورها ولا سيما جسر غودفري طوله ثلاثة اميال . ومررت بكثير من شجر التمر الهندي والبنيان ، والخيزران اذكر جيداً انني في مديرا ومواضع كثيرة غيرها لم ارَ السماء لاشتباك الغصون فوق رأسي

(١) حركتها التجارية ضعيفة لسوء موانئها ، مع ذلك كانت صادراتها سنة ١٩١٥ — ٣٨مليون جنيه و٦٣ في المئة من تجارتها هي مع اقسام الامبراطورية و٤١ في المئة منها ينحصر في مدينة مدراس

تصدّر مدراس الجلود والقطن والبن والنيلة والزيوت والسكر وتستورد المنسوجاب والمعادن ، الا الذهب ، والآلات والبهارات

(٢) اهاليها اكثرهم من بقايا الدرويد ، واكثرهم هندو . وفيهم ٧ ملايين مسلمون ومليونان مسيحيون والحرية الدينية فيها كما في كل هندستان مباحة للجميع

Digitized by Birzeit University Library

ثلاثة ارباع سكان الامارة زراع ، وهم لا يملون من العمل في الارض ولا يشغلهم عنها شاغل ، وهم سود البشرة عراة الابدان رجالاً ونساء الا الوزرة على الوسط . يرخي الرجال شعورهم ويلفونها كالسيلانيين ولكن باقل لباقة ونظام . كنت اراهم في كل مكان على طول الخط الحديدي يدأبون على حراثة الارض كانهم خلقوا لذلك

(٣) المعارف ، كان فيها سنة ١٩١٤ ما يأتي :

٤٥ كلية للآداب والفنون

٥ كليات للتهذيب

٣ كليات للتعليم

٣ كليات للاناث

١٨٣ مدرسة عالية

٣٥ مدرسة عالية للاناث

٢٨١٦٦ مدرسة بدائية و ٦١٩٩ اهلية

(٤) اقسامها

في هذه الامارة ثلاثون ولاية معدل سكان الواحدة منها مليون ونصف ومنها آمالا بار على شط بحر العرب وتمتاز هذه الولاية :

اولاً — بوجود التوماويين فيها وهم نصارى يزعمون ان القديس توما بشرهم . عددهم ٣٣٥٠٠٠ نفس ولهم بطريرك في كوش يدعى ماري شمعون

ثانياً — بوجود عشيرة من الهنود تدعى نمبريز لا يتزوج منها الا اكبر الاخوة سناً ، وهذا وحده يرث والده ، وتدعى الطبقة العليا فيهم نمريز لا يرث

Digitized by Birzeit University Library

اهله منها الا الاناث وهم ينسبون الاولاد لامهاتهم فاذا مات الرجل ورثه اخته او عمته دون اخيه واولاده

(٢) ولاية نيروز في الداخلية تمتاز بمناجم الذهب يستخرج منها تسعة اعشار الذهب الصادر من هندستان . وفيها شركات كبيرة لاستخراج الذهب لا يقل راسمال الواحدة منها عن مليون ريال

(٣) ولاية مديرا وتمتاز اولاً بكون اكثر اهاليها نصوصاً ، وثانياً فيها اقدم هيكل براهمي ، وثالثاً ان قصبتها مديرا اكبر مدينة في جنوبي الهند

(٤) نتفالي ، وفيها رأس غمورين

(٥) حكومتها

في الهند ثلاث امارات ذات نظام واحد هي ميساي ومدراس وكلكتا وسيأتي بيانها في الكلام عن كلكتا

(٦) عاصمتها مدراس

هي ثالثة مدن الهند سكانها ٥٠٠٠٠٠ نفس وحكايتها من الذ حكايات المدن في الدنيا واليك هي :

نالت شركة الهند الانكليزية سنة ١٦٣٩ قطعة ارض كبيرة من رجا خندراجيري على شرط كوم فشادت فيها برجاً دعته برج جورج الثاني جد الملكة فيكتوريا فتألب الناس حول ذلك البرج للحماية

وشادوا اكواخهم وبيوتهم في ظله ، وزاد عدد اللاجئين الى اكنافه حتى كان من ذلك بعد ثلاثة اجيال « مدينة مدراس » طولها تسعة اميال وعرضها ثلاثة

Digitized by Birzeit University Library

مدارس عظيمة بامور وحقيرة بامور ، فهي عظيمة

اولاً بسعتها: مساحتها ٢٧ ميلاً مربعاً وسكانها ٢٥٠٠٠٠ نفس وفيها دوائر الحكومة والكليات والبنوك ، وفيها كثير من مدهش البنايات ولا سيما بناية البلدية التي لا تشبع العين من النظر اليها لفرط جمالها وحسن هندستها. وتزيد حقارة المحيط فخامة الصروح والقصور

ثانياً بمعارفها ففيها الكليات الاتية :

ا — كلية الحقوق طلبتها ١٠٠٠ ب — كلية البرسيدنسي طلبتها ١٥٠٠ ج — الكلية الاسكوتلندية د — الكلية المسيحية ه — كلية ولسلي و — كلية الاسقف ز — كلية التهذيب ح — الطبية طلبتها ٨٠٠ ط — كلية التعليم ي — كلية بنشي بازار البرهمية ك — كلية سانت ماري . احدى عشرة كلية عدا المدارس العالية والمتوسطة وهي كثيرة فيها

(٣) بمركزها الاقتصادي

وان نكن الولاية دون ما كان يتوقع منها في ما لو كان لها موانيء حسنة فمدراس قاعدة امارة اكبر من فرنسا ، فهي مرجع ٤٥ مليوناً وسوقهم وبنكهم ، يتبعها ثلاثون ولاية كل واحدة بقدر مجموع ولايتي الشام وبيروت

(٤) بزهوها وميادينها ، اما عن اشجارها فحدث ولا حرج . كنت يوماً في ادارة رئيس البوليس في جيبور ، في الطابق الثاني ، فارسلت نظري نحو المدينة فلم ارَ فيها شيئاً على الاطلاق اذ كانت الاشجار تغطيها فخلتني في غابة خالية . ان مساحة المروج حول برج جورج خمسون فداناً مربعاً عدا بقية المروج وكل ذلك في وسط المدينة

Digitized by Birzeit University Library

(٥) بمواصلاتها — لا مدينة في الهند تفوقها بذلك ، يمر فيها يومياً قطار كولمبو — كلكتا ، ويأتيها القطار من الغرب وتذهب منها البواخر الى رانكون وفيها عشرات الاميال من خطوط العربات الكهربائية " الكار " هذا ما يقال في عظمتها

— وهي حقيرة —

اولاً بمظهرها العمومي : اذا اعرضنا عن بنايات الحكومة وكليات الاجانب فليس في مدراس بناية تستحق الالتفات : بيوتها حقيرة مظلمة كأوجرة الثعالب ومخازنها ودكاكينها كأوكار الدجاج واسواقها ضيقة معوّجة يكثر في شوارعها المتسولون حتى صارت مضرب المثل بهم . تجارها عراة الجسوم حفاة الاقدام ونساءوها نوريات بكل معنى الكلمة يستثنى من ذلك المهذبات وهنّ قليل

ولولا الحكومة الانكليزية والمرسلون المسيحيون لكان اكثر من ٩٩ في المئة من اهاليها اميين

ثانياً بمدنيتها مدينة فيها نصف مليون من الناس ولها صلات مع ٤٠٠ مليون وقد اتصلت بقاعدة تمدن العالم مدة ٣٠٠ سنة ولا يزال اهلوها عراة الابدان يسترون عوراتهم بخرق الحمام القذرة تربط على اوساطهم بخيط كالاطفال يمشون في الشوارع كالبهائم . نساءوهم عاريات الابدان والجميع غاية في الضعة وصغر النفس والوساخة والجهل واولا خضوعهم القسري للقانون الصحي لمات اكثرهم بالامراض الوافدة

ثالثاً تجارتها — هي عظيمة بالنسبة الى محيطها وصغيرة بالقياس على امثالها .

Digitized by Birzeit University Library

مدينة هي عاصمة خمسة واربعين مليوناً من الناس ولا تبلغ مقطوعيتها من المنسوجات نصف مقطوعية مدينة بيروت . واكثرن نصف اهاليها خدم ، متسولون او في مستوى هذين الصنفين . وليس فيهـا اثر صناعي ولا متحف فني مع ان فيها عشر كليات . وليس فيها غرفة قراءة الا ما جادت به مكارم الاجانب

(٧) المعاون افندي

على ان في هوءلاء النور من سعة المدارك والادب واحترام القانون ما يعوز كثيرين من لابسي الاطواق المكوبة . واليك مثلاً من ذلك : كنت اليوم في ادارة البريد العمومية واذا جميع سعاتها حفاة الاقدام . دخلت قاعتها الكبرى وفيها مئات من الكتاب واذا كلهم كذلك حفاة . سألت احـدهم عن الطريق فبادر اليَّ برقة وقال مستفهماً : ارجو عفوك ! يعني اعد السوءال . وهكذا الجاويشية والبوليس وكل الموظفين

ذهبت الظهر الى ادارة البوليس العمومية وكان الخفير الرسمي خارج الباب في صحن الدار وهو كاخوانه حافٍ ، فأشار اليَّ بدون كلام يرشدني الى المقعد ، فقعدت انتظر دوري لان القومسير مشغول بغيري . ولما ملات الانتظار تحفزت للقيام فلحظني الخفير الخفيـان باخف من لمح البصر . فاعاد الاشارة بلطف — يعني استرح — فعدت قعدت الى ان جاءت نوبتي فاشار اليَّ حينئذ باصبعه ودل على الباب فقمت للحال ودخلت على البوليس . ولما خرجت من حضرته مررت بصاحبي هذا فحياني باليد وهو ساكت . هكذا تقضى مصالح ملايين من بني آدم والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير ومن لم يرَ لا يصدق

واغرب من كل ذلك حكايتي مع المعاون افندي وكاتبه

Digitized by Birzeit University Library

عند كل رئيس شرط معاون وقلم كتابة ، في هذه الدائرة كان شغلي اليوم دخلت الغرفة فقابلني رئيسها وسألني القعود امامه على الكرسي وشرع يسألني عن تابعيتي وجواز المرور بيدي ووجهتي الخ . وكان في اثناء السوءالات يحدجني بنظرات خلتها الشهب الثواقب كأنه يروم التوصل الى اعماق قلبي وكشف مكنوناته ، وطبعاً كان الكلام بالانكليزية واخيراً قال لي : « ولكن كيفما قلبنا وجه المسألة فانت عثماني ويجب تطبيق معاملتك على القانون » فسألته ان يرسلني الى مرجعه الاعلى . ففعل — وهذا انكليزي . ففهم حالاً من انا وما هو شأني ، فاستدعى المعاون وقال له على مسمعي : دعوا هذا الخواجا يمرّ بهندستان غير معارض ، فأبدى المعاون الخضوع وصحبني الى غرفته وجعل يحدثني بلطف وبشاشة زائدتين . وفي اثناء ذلك حضر الكاتب لتلقي الامر ولما عرف ماذا قال الرئيس اعترض بان لا مسوغ قانوني لذلك ، فقال له المعاون ارفع اعتراض نامه فرفع وانا عند المعاون . فلما بلغت الاعتراض نامه الرئيس ردها وقال لهم : اجيزوا هذا الرجل دون معاملة لانه غير قادم الى هندستان بل اضطر الى المرور بها فلا مساس لكم به . حينئذ اخذني الكاتب الى حضرته ثانية واعاد عليّ السوءالات والنظرات الانتقادية واذ حانت مني التفاتة الى قدميه رايته حافي القدمين ، فرفعت عينيّ الى السماء وشكرت الله لانه غير محذي . اذ لو كان محذياً لما عرفت ماذا اعمل . وبعدما انهى واجباته قام على قدميه وودعني باحترام انساني سماجة كاتب جوازات المرور في مدينة الاسماعيلية

فخرجت من حضرته وكلي احترام له ، لانه في كل مقاومته لم يخرج عن الادب والانسانية

Digitized by Birzeit University Library

قضيت مدة اقامتي في مدراس بالتجوال ليلاً ونهاراً ودرس اخلاق الاهالي. وحدث في اثناء اقامتي انهيار مطر غزير قطع مواصلات الناس وذلك في ٢١ شباط سنة ١٩١٨ وقال الحضور ان حدوث مثل ذلك في مثل ذلك الوقت يحسب من النوادر. في مدراس اربعون الف متنصر بعضهم في كليات المرسلين وهم مجيدون في الخطابة والوعظ لا يسبقهم فيها سابق. وفيها اربعون الف مسلم كذلك. خرجت من مدراس في سكة حديد كلكتا يوم الاربعاء الساعة ٥ مساء وذلك في ٢١ شباط

المقالة التاسعة — امارة بنغال

من مدراس مررت بالانهار الثلاثة على ما سبقت الاشارة وكان اعرضها غودفري. قضيت في القطار ٤١ ساعة. وكان صحبتي جنرال جيش الخلاص وزوجته، فلما برحا حل محلهما من لاريسا رئيس المعمدانيين في كلكتا وهو رئيس كولد ماك الذي علمناه العربية في حمص، هذا عرفني وساعدني في تحصيل معلومات عن كلكتا

امارة بنغال عبارة عن الاراضي حول مصبات الكنغ مساحتها ٧٨٧٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٤٦ مليوناً

١ — يشتد فيها الحر جدا الى ان يبدأ المطر وذلك عادة في شهر ايار. ونظراً لكثرة امطارها ووفرة انهارها وجودة تربتها جادت مزروعاتها وكست الغابات والحراج فسحاتها. بلغت مساحة تلك الغابات ٥٠٠٠ ميل مربع

ومساحة الاراضي المزروعة حبوباً ٢٣٧٦٢٤٧ فداناً مربعاً. والمزروعة بذوراً زيتية ١٦٥٤٠٠ فداناً مربعاً واراضي الشاي ١٦٥٨٠٠ فداناً مربعاً

Digitized by Birzeit University Library

ويكثر في اجامها وغاباتها الاسد والنمر المشهور بالنمر البنكالي، وهو اضرى وحوشها. قيل انه يخطف الفارس عن ظهر فرسه ويحمله على كتفه الى الشجرة حيث يفترسه

(٢) النهران — الكنغ وبراهمابوترا

يصدران من بقعة واحدة في شمال غربي حملايا ويلتقيان في شرقي بنكال اما الكنغ فهو اقدس نهر في نظر ٢٢٠ مليوناً من البشر انتشروا على ضفافه انتشار السدام في عالم المجرة وهم يغتسلون بمائه تبركاً ويوثرون الموت على ضفته لانها تؤدي الى السعادة من اقرب السبل. وقد رأيتهم في مجراه القذر يستحمون ويدلكون جسومهم بالزيوت. وعلى ضفته دكاكين عديدة لبيع الزيوت. والادهان التي يستعملونها حين الاغتسال بالنهر. على ضفاف الكنج شيدت عشرات من كبار مدن هندستان كدلهي واوغرا وبنارس وكلكتا والله اباد وغيرها

(٣) البنكاليون

يعيش ثلاثة ارباعهم على الزراعة ورعاية المواشي. ويجود في بنكالا الشاي والحبوب والقنب. اهم صادراتها ستة وهي: — ١ً القنب خاماً ومصنوعاً ٢ً الحبوب ولا سيما الارز ٣ً الجلود المدبوغة ٤ً الشاي ٥ً الافيون ٦ً الصموغ

واهم وارداتها ستة وهي: — ١ً المنسوجات الوطنية ٢ً الآلات ٣ً الزيوت المعدنية ٤ً المعادن ٥ً السكر ٦ً الملح

٤ المسلمون. هم في الهند اقل من الخمس ولكنهم في بنكالا اكثر من

Digitized by Birzeit University Library

نصف السكان اما في كلكتا فقليلون . فاذا استقلت الهند كان حاكم بنكالا مسلماً وحاكم كلكتا هندو . يتكلم اكثر الاهالي الهندية ولكن الانكليزية تزاحمها لانها لغة العلم والسياسة والتجارة . لغة الجامعات والصحف والمحاكم والشركات

(٥) المعارف والمواصلات

المواصلات فيها كثيرة في السكك الحديدية والترع وقد ضمت اسام اليها فصارت متاخمة تيبت . والمعارف فيها غاية في الانتشار بهمة الحكومة والمرسلين ففيها ٣٣ كلية للاداب والفنون و٦ كليات للحقوق و٣ للطب وواحدة للتهذيب و٢٧٥٥ مدرسة متوسطة وعالية و٤١٠٠٠ مدرسة بدائية عدا ٢٢٦٩ مدرسة اهليه . طلبة الجميع مليونان

٦ — الهندو

اتباع البراهمية في بنكالا اقل من النصف وهم يدعون هندو لا براهمة لان لفظة براهمة تطلق على الكهنة فقط لا على كل الجماعة

التجارة . اكثر من تسعة اعشارها تنحصر بكلكتا

والصناعة غير راقية — لا تتجاوز الدباغة والقنب والحرير وبعض مغازل القطن

حديث الحبر طركابوشن

لما بلغت كلكتا عاصمة بنكالا وسيدة مدائن الكنغ . رغبت في الوقوف على حقيقة البرهمية من مصدرها فقصدت كلية السنسكريت الحرة وقابلت الحبر طركابوشن استاذ اللغة السنسكريتية واليك حديثه :

Digitized by Birzeit University Library

خباز... منذ الحداثة اقرأ عن هندستان ، وكنت متوقعاً ان ارى كثيرين من البراهمة ، على ان لي فيها عشرة ايام ولم ار احداً منهم

طركابوشن — باسمعاً ، لا بد انك رأيت منهم كثيرين ولم تعرفهم

خ — وكيف ذلك وكلي عيون ، أفليس لهم علامة فارقة ؟

ط — كلاً

خ — فماذا يلبسون ؟

ط ... كما ترى (مشيراً الى ذاته) وكان لابساً وزرة وقميصا لا غير. (لا ينس القارئ، ان امامه استاذاً كبيراً وحبراً جليلاً)

خ — هل كل كاهن برهمي وكل برهمي كاهن ؟ ط — نعم

خ — فما هو عمل الكاهن ؟

ط — له ستة اعمال وهي : ١ ـ تقديم الذبائح ٢ ـ النيابة عن غيره في تقديمها حين اللزوم ٣ ـ قراءة الكتب المقدسة (الفيدا) ٤ ـ تعليم الديانة لمن يلزم ٥ ـ واجبات الاخذ ٦ ـ واجبات العطاء

خ — ولمن تذبحون أللّٰه ام للآلهة ؟

ط — لا فرق فالامران واحد

خ — أموحدون انتم ام مشركون ؟

ط — مشركون . عندنا الهة كثيرة

خ — أليس في الهتكم ارقى وادنى ؟

ط — عندنا ثلاثة الهة ارقى وهم براهما ووشنو وسيفا

خ — أليس في هؤلاء اصل وفرع ؟

Digitized by Birzeit University Library

ط ـ اعلم ان الاله الازلي هو واحد وهو « اوريشا » القدير . ظهر هـذا الاله في التاريخ

١ً ـ كخالق فدعي براهما ـ « الخالق »

٢ً ـ كحافظ فدعي وشنو ـ « المعتني »

٣ً ـ كمبيد فدعي سيفا ـ « المهلك »

ولكن براهما الخالق ووشنو المحافظ وسيفا المهلك هم ثلاثة مظاهر للاله الواحد « ريشا » الاله الاوحد

خ ـ ان ذلك يماثل التعليم النصراني

ط ـ (رافعا يديه دلالة على المصادقة) بالتمام

خ ـ متى يشرع الكاهن بتقديم الذبائح ؟

ط ـ متى تزوج

خ ـ واذا تأخر عن الزواج ؟

ط ـ لا يؤذن له بالذبح مهما يتقدم في السن

(حاشية ـ ليلاحظ القارىء ان ذلك ضد البوذية التي تمنع زواج الكهنة)

خ ـ وكم واحدة تتزوجون ؟

ط ـ واحدة . ويجوز التعداد

خ ـ أصحيح انكم تحرقون امرأة الميت معه ، وهي حية ؟

ط ـ عادة قديمة على ان الانكليز ابطلوها

ج ـ افتخالفون دينكم لاجل الانكليز ؟

ط ـ هي مباحة لا مأمور بها

Digitized by Birzeit University Library

خ — ولماذا تحرقونهن "؟

ط — لينلن السعادة مع الرجل

خ — ما هو غرض البرهمية ؟

ط — سعادة الدارَين

خ — وكيف تنال السعادة ؟

ط — باتمام المرء واجباته

خ — أيمكن الانسان اتمام الواجبات ؟

ط — ينتظر ذلك منه

خ — اعمومية دياناتكم ام خصوصية ؟

ط — خصوصية فهي لنا فقط

خ — واذا اراد احد الدخول فيها ؟

ط — لا يمكن اذ لا يحق له الدخول في طبقات نظامنا الاجتماعية

خ — وما هي الطبقات ؟

ط — طبقات الهنود الاصلية اربع : وهي الكهنة والجنود والزراع والخدم

خ — وكيف ينال المرء احداها ؟

ط — بالولادة فيها فقط ولذلك لا حظ فيها لخارجي

خ — وما حكم بقية الامم في دينكم ؟

ط — يرضى الله من كل امة ما عندها

خ — اذاً لا يهمكم دخول احد في دينكم ؟

ط — بل ان ذلك غير ممكن . ولذلك لا تبشير في البراهمة

Digitized by Birzeit University Library

خ – ما الفرق بينكم وبين البوذيين ؟

ط – فروقات عديدة

خ – أتذكر لي بعضها ؟

ط – ١ً نؤمن بالله ولا اله عندهم ٢ً ينكرون الكتب المقدسة وهي الفيدا ٣ً لا يؤمنون بالطبقات الاربع ٤ً لا يقدمون الذبائح

خ – وهل تميز دياناتكم بين الذكر والانثى ؟

ط – في امر واحد فقط : وهو منعها من قراءة الفيدا

خ – واذا سمعتها من غيرها ؟

ط – لا بأس في ذلك فقط لا تقرأها هي

خ – أيباح للانثى دخول الهياكل ؟

ط – نعم

خ – وماذا تعملون في الهياكل ؟

ط – العبادة والصلاة

خ – أعندكم اجتماعات للخطابة والوعظ ؟

ط – كلاً ، البتة . لا شيء من ذلك في ديننا

خ – وكيف يشتهر علماءوكم الروحيون ؟

ط – بمؤلفاتهم

خ – ما هي الفيدا ؟

ط – هي الكتب المنزلة

خ – ومتى انزلت ؟ وهل هي ازلية ؟

Digitized by Birzeit University Library

ط – لا نعلم متى انزلت . هي ازلية

خ — ما رأيكم في بوذا، أصالح هو ؟

ط – لا رأي لنا فيه، قد يكون صالحاً

خ — أتصومون كالبوذية، وماذا تأكلون ؟

ط — لا نصوم بل نأكل كل شيء

خ — والبقر ؟

ط — لا، لان الفيدا حرّمته

خ – ما قولك في تعذيب النفس وتمزيق العضلات ؟

ط – يعمل ذلك بعض الوثنيين طلباً للخلاص والسعادة

وفي الختام شكرته فأبى قبول الشكر لانه لم يعمل سوى جزء من واجباته وسألني عن بلدتي وشأني واخذ كاردي وكتب اسمه في دفتري وشيعني بالاكرام

عوائد براهمية

اذكر ما شاهدته من عوائد الهنود

١ – دلك الجسوم بالزيوت والادهان لدى اغتسالهم في نهر الكنك (الغنج) وعلى الضفة اناس مخصصون للدلك

٢ – رسم خطوط حمراء وبيضاء على الجبين لتمييز البراهمة عن غيرهم من طبقات الناس

٣ — حرق موتاهم بدل الدفن، وكانوا سابقاً يحرقون الارملة مع زوجها المتوفى، وذلك بحفلة عظيمة فابطلت الحكومة الانكليزية تلك العادة لانها «همجية»

Digitized by Birzeit University Library

٤ ــ منع زواج الارامل - حتى وان كنّ صغيرات السن دون السادسة عشرة

٥ ــ اذا مات الشاب حسبت خطيبته عندهم ارملة فقد تكون ارملتهم عذراء

٦ ــ يخطبون الفتيات دون سن الرشد بل دون سن العاشرة احياناً

٧ ــ عندهم حفلات ترنيم كالذكر عند المسلمين يجرونها بغيرة ووقار عظيمين

٨ ــ يحرمون اكل البقر تحت اشد انتقام

٩ ــ لهم اربع طبقات اصلية ولا تزاوج بينها على الاطلاق ، بل لا مخالطة ولا موءاكلة وليس الحب اساس الزواج عندهم بل النسب

١٠ ــ مضغ ورق البيتل ودهنه بتوابل ومعاجين فيحمّر اسنانهم وهي عادة كثيرة الشيوع في الهند ، وفي كلكتا دكاكين كثيرة لا تبيع الا ورق البيتل هذا للمضغ . كنت على الدوام ارى الرجال والنساء يمضغونه واظن انه يغنيهم عن التدخين

المقالة العاشرة ــ كلكتا

(١) مدينة حديثة العهد لاشيء من الاثار التاريخية فيها واقدم بناياتها يرجع الى سنة ١٧٧٠ اما الهيكل البراهمي منذ ٣٠٠ سنة فلا اهمية له

يقسم نهر هوغلي - احد فروع الغنج - مدينة كلكتا الى قسمين غير متساويين شرقي وغربي وليس في الغربي سوى دار النبات وجنينة الحيوانات وبعض المخازن والبيوت اما الشرقي فهو كلكتا بتمامها

Digitized by Birzeit University Library

وهي في مستوى من الارض على بعد ٨٥ ميلاً من مصب هوغلي في خليج بنكالا ، كبيرة المساحة ضيقة الشوارع كثيرة الاندية والمعاهد والمطابع والمعابد والصحف والمعامل الخ . . . حقيرة البيوت الا الاجنبية — ولا سيما التي تخص الحكومة — فانها آية في الفخامة

الشوارع — يخترقها من الشمال الى الجنوب ثلاثة شوارع وهي :

١ً — سيركلر ٢ً — ولسلي ٣ً — شورانجي . ويقطع هذه الشوارع الثلاثة ثلاثة اخرى من الشرق الى الغرب وهي : هريسن ، بوبازار ودارمتولا

(٢) ميدان كلكتا — اكبر ميادين العالم طوله ميلان وعرضه مع محيطه اكثر من ميل . واليك وصفه :

تصوَّر انك صحبتنا من محطة كلكتا غربي النهر وقد سرنا من نهر هوغلي شرقاً مسافة مئة متر فامامنا :

ا — دلهوسي سكوير (مربع دلهوسي) وفي زاوية السكوير في طرف شارع كلايف

ب — نصب هول ول عليه اسماء الذين ماتوا في تلك الليلة في الغرفة السوداء

ج — على المحيط طريق عرضه في الجهة الشرقية ٣٢ متراً — مرصوف بالاسفلت تسير فيه عربات الكهرباء على محيطه وضمنها الجنينة تحيط بها درابزين الحديد . وفي الجنينة انصاب كثيرين من مشاهير الانكليز . وفي زواياها الاربع اربع برك رخام جميلة والمماشي بين الاشجار والمروج مفروشة بالرمال الحمراء الذهبية . وفي الوسط بحيرة ماء مساحتها ٣٢٤٠٠ متر مربع

Digitized by Birzeit University Library

هذا مربع دلهوسي نخذه مثالاً لغيره ، وان لم تكن كلها مثله فخامة ، وفي كلكتا عشرات من هذه المربعات كمربع ولسلي وغيره

ـ الان سرنا جنوباً في شارع كلايف فالى يميننا قاعة الشورى وكنيسة سنت جون التاريخية المهمة . والى يسارنا بعد ذلك

د

بيت حاكم بنكال

وكان سابقاً مسكن حكمدار الهند . وهو صرح ملوكي تحيط به المروج والفراديس ومساحة الاراضي ضمن اسواره لا تقل عن ٢٠٠٠٠٠ متر مربع . اعني اكثر من مضاعف مربع دلهوسي . وتجاه بيت الحاكم هذا الى الشرق :

ه

جنة كرزون

على اسم اللرد كرزون حكمدار الهند الاسبق وهذه الجنينة اشهر ما في كلكتا وهي كناية عن بقعة فسيحة من الارض واقعة بين بيت الحاكم واشهر شوارع كلكتا . مقسمة الى اقسام عديدة فيها مروج وجنائن وذات زهور وورود واشجار تفصل بينها طرقات مهندسة حسناً الى جانبيها مقاعد لراحة الناس . يمر بها يومياً مئات الالوف من الخلق ويؤمها عشرات الالوف كل صباح وكل مساء للنزهة والانبساط . ـ الان تركنا بيت الحاكم وسرنا جنوباً بين غابات الاشجار والى يسارنا المحكمة العليا فدخلنا في

و

جنة عدن

هي فردوس واسع النطاق كثير الاشجار والمروج والبرك والجداول والتعاريج ، ولست ادري هل تستحق جنة عدن ان تعادله في السعة والجمال او لا الان انا في جنة عدن اكتب هذه السطور

Digitized by Birzeit University Library

ليس حولي سوي اشجار باسقة وروائح عابقة وجداول دافقة ورياض شائقة غير شائكة اتمشى في سكون ووقار في شوارع جنة عدن تحت الخمائل والاظلال وفيها تذكرت قول الشاعر

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث الحميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو الوالدات على الفطيم
وارشفنا على ظماءٍ زلالاً الذَّ من الندامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم

اشجار تغرد على افنانها البلابل والاطيار، ساجعات في الليل والنهار. وتحتها الجداول والانهار. جاريات في برك وترع وانفاق — على ضفافها الازهار والرياحين والمقاعد لراحة العابرين

وفي نهاية كل ذلك مرج فسيح جداً في وسطه بركة بديعة مصنوعة بالرخام تجاهها دكة لجوقة الموسيقى تحيط بها مئات من الكنبات تسع الوفاً من الناس

ز ـ الان خرجنا من جنة عدن جنوباً وتجاهنا على بعد ٢٠٠ متر « حصن وليم » وهو موقع حربي منيع اكثر قلاعه تحت الارض فلا كلام لنا في وصفه. والارض الى شرق جنة كورزن جنوباً عبارة عن سهول واسعة النطاق تجتاز فيها عربات الكهرباء حاملة الوف الناس من شمال كلكتا الشرقي الى جنوبها الغربي ـ اليبور ـ وعلى جانبي الطريق اتخم الانصاب الانكليزية كنصب الملكة فيكتوريا في يوبيلها الذهبي ونصب كتشنر وهثلك وروبرتس واضرابهم

Digitized by Birzeit University Library

ح — وفي جنوبي الميدان ، ميدان سباق الخيل ، وتجاهه كبسة كبيرة ومستشفى ثم غابة اشجار امام جسر اليبور حيث ينتهي الميدان

ط — وتجاه الميدان يمتد شارع شورانجي وفيه

(٣) المتحف الهندي

وهو صرح فخم ذو دورين من الابنية على المحيط . وفي وسطه عرصة دار كبيوت سورية ، يفتح المتحف يوميا من الساعة ١٠ صباحاً الى الثالثة مساء . وقد زرته ذات صباح فشاقني جدا وضعه وسعته وغناه

مدخله كمدخل صرح منيع ذي عضائد ودعائم حجرية ضخمة وداخله في الدور الاسفل الى يمين المدخل قاعة الاركيولوجيا والى يساره قاعة الانثربولوجيا والجيولوجيا ، وفي القاعتين الوف من التماثيل والعمد الحجرية المنقوشة والمصورة والمكتوبة والعظام والدفائن والاثار وامتيازها بالضخامة اكثر مما بالاتقان او الفن

وفي الدور الاعلى اربع قاعات كبيرة وهي :

الاولى — فوق قاعة الاركيولوجي تماماً وهي مختصة بذوات الفقرات — الاسماك والطيور

٢ — قاعة ذوي الثدي الكبيرة كالحوت والفيل واخواتهما

٣ — قاعة ذوات الثدي الصغيرة كالسنجاب والبسين والارنب وضمن هذه :

٤ — قاعة النشوء النباتي ، تمثل ادوار النبات من البذر فصاعداً . مثلاً القطن ترى بذوره ونبته وزهره والقطن في الزهرة ، ثم مقطوفاً ، فمحلولاً ، فمغزولاً فمصبوغاً شققاً واقمشة ، فمخيطاً ثياباً نسائية ورجلية ، فملبوساً او مفروشاً . وهكذا الحرير والقنب والكتان والصوف وغيرها

Digitized by Birzeit University Library

كذلك الحال في الاخشاب والزيوت . وادعو هـذه الغرفة غرفة التطور النباتي

قاعة النبات وفيها رواميز نباتية مرتبة ترتيباً علمياً . وينبع هذه القاعة دار النبات . وهي واقعة غربي هوغلي وقد زرتها ، فيها اربعون الف راموز نباتي اهمها

(٤) شجرة البنيان

وهي شجرة تتدلى اغصانها على المحيط الى الارض فتعلق بها ، ويصير كل غصن شجرة جديدة مع اتصاله بامه الاصلية . على هذا النحو طوروا شجرة هذه الجنينة والان اكتب تحت ظلالها وصحبتي ولدان هنديان

الجذع الاصلي في وسط الدائرة وهو غليظ جدا

تحيط به عدة جذوع منحدرة من غصونه العلوية ، واكنها اقل غلظاً من الام ، يحيط بهذه ايضاً اشجار اقل غلظاً منها وهي منحدرة من فروعها وحول هذه في محيط اوسع شجيرات دقيقة السوق حديثة العهد

وهكذا ترى الاشجار دوائر دوائر . كل دائرة اوسع مما ضمنها وادق جذوعاً . محيط الدائرة ٥٦٦ متراً وفيها ٦٥ شجرة كلها من اصل واحد

الان فهمت معنى شجر البنيان

ولنعد الى شوارع كلكتا فاقول : كما في مدراس هكذا في كلكتا لا رونق ولا نظافة الا ما كان اجنبياً ، فالهند بلد عزيز بغير اهله

بيوتها الوطنية ذات دور واحد ، صغيرة قذرة قليلة الفرش . كذلك دكاكين تجارها صغيرة مظلمة ضيقة واطية السقوف قليلة البضائع وتجارها اما عراة تماما واما نصف عراة

Digitized by Birzeit University Library

وليس في كلكتا كلها سوق يستحق الذكر الا نيو بازار ، شارع شورانجي ، وهو مقسم قسماً عديدة ففيه قسم لكل نوع من انواع البضائع : كالاسماك واللحوم والحلويات والثياب والاحذية الخ

في كلكتا ١٥٠٠٠ اجنبي و ١٤٠٠٠ خلاسي و ١٠٠٠٠ من الطبقة العالية هولاء فقط يلبسون الثياب والباقون عراة كلياً او جزئياً كما مرّ ، ولم في لبس الوزرة عادة غريبة وهي انهم يسحبون طرفيها من بين الرجلين ويشكلونها في الامام فيصير الرجل كالطفل في الحفاظ

(٥) المسرح — اختبارات

قصدت مسرح تمثيل وطني في مكان واسع قديم حضر فيه اكثر من .. هندي وقد تلاصقت مقاعده فكان الجمهور كالبنيان المرصوص والمكان قليل النوافذ ، وفي اشد ايام السنة حرّاً ، ولم يكن بالثياب الاوربية سواي فكنت محط انظارهم وموضوع رعايتهم فالتف حولي شبانهم وكانوا يفاخرون بمخاطبتي بالانكليزية . وكان امامي في الصف الاول رجلان عاريان الا وزرة على الوسط. واليك وصف الحفلة :

١ — بدأ التمثيل الساعة ٥ مساء وخرجت الساعة ١١ ليلاً ولم ينته العمل

٢ — كان اللغط والضوضاء شديدَين في المحل يغطيان اصوات الممثلين

٣ — كان مع النسوة اطفالهنّ ، والجميع في الرقات العليا كقطيع الغنم

٤ — اجاد الممثلون كثيراً ولا سيما صغارهم ، دون سن العاشرة ، وكان الشبان الهنود حولي يترجمون لي خلاصة المواضيع فكنت افهم كل شيء

٥ — لم اشعر بادنى عداء في نفوس الهنود نحوي باعتباري كوني اوربياً

Digitized by Birzeit University Library

(٦) متفرنجو بمباي — بمباي قصبة غربي هندستان ، وهي ثانية مدن الهند . عدد سكانها نحو مليون نفس . وجرياً على مبدأي في هذا الكتاب لا اقول فيها شيئاً لانني لم ازرها . على انني اصف من رأيت من ابنائها في جنة كرزن في كلكتا حيث اعتدت ان اقضي ساعات بين فراديسها دارساً المحيط والمارة ، واظرفهم متفرنجو بمباي واليك وصف لباسهم

١ً . الحذاء بدون جوارب . تظهر فوقه سيقانهم السوداء الرقيقة لقصر البنطلون

٢ً . بنطلون ابيض بدون كي ولا هندام

٣ً . القميص فوقه الى الركبتين

٤ً . الجاكيت قصيرة فوق القميص نحو ١٢ قيراطاً

٥ً . طربوش صغير اسود او احمر

٦ً . طرة (شرابة) طويلة متدلية على الجبين

في كل طوافي حول الارض لم يضحكني زي كزي متفرنجي بمباي

٧ النسوة الهنود

لا مبالغة ولا تحامل في قولنا ان نسوة الهنود نوريات . ولا يشذ على ذلك الا المهذبات وهنّ قلائل ، او نساء الطبقة العالية وهنّ اقل عدداً

كنت اراهنّ يمررن بي كل يوم من نهر الكنج وانا في جنة كرزن فلم يخطئ ظني في كونهنّ نوريات ولا مرة واحدة

كنت مرة في شارع كربوريشن ونظري ينتقل من دكان الى دكان حائراً في حقارة السوق وفقر تجاره ووساختهم ونتنه خفق قلبي وارتعدت اشعوري لشخص امامي كالميت الملفوف باكفانه ولما حققت به النظر اذا به كما ترى :

Digitized by Birzeit University Library

شخص حقير جداً لبس كيساً فوق ثيابه . والشخص الى الساقين ضمن الكيس . لا نظهر منه الا الساقان وهما كساق العنزة . والكيس كحذاء ابي القاسم الطنبوري لكثرة الرقع ولست ادري اكان اسود فشاب او كان ابيض فكسي لون الحداد على الشباب . ولم ادر أضمن الكيس شخص يقصد المجون او هي انثى حجبت عن العيون ؟ وهل حجبت حرصاً على ورد الخدود ورمان النهود او رأفة بعباد الله من الوجوه السود وقد كالعود ؟ وارى ان رؤية مثل هذه تبعد عن الزلات وتكفر عن السيئات . على انني لما تكررت رؤية مثل ذلك علمت انه "الحجاب"

فعذرتهن وازواجهن لان ذلك من الواجبات الروحية عندهم ، وعلينا ان نعامل تلك العاطفة بالاحترام . على ان الحقيقة التي لا مراء فيها ان ذلك الحجاب روعني اكثر من كل مشاهد الحياة

(٨) المعارف في كلكتا

في كلكتا الكليات الاتية : ا - برسيدنسي كوليج . طلبتها ثلاثة الاف

ب - الكلية الاسكوتلندية طلبتها ١٢٠٠

ج - كلية القديس كزافير . طلبتها ٨٠٠

د - كلية السنسكريت — التي زرتها مرتين . طلبتها ٦٠٠

هـ - كلية بولس الرسول . و - كلية ريبون . ز - كلية سنترال . ح - كلية ديفيد التهذيبية . ط - ستي كوليج . ي - بيشوب كوليج . ك - ادوارد كوليج ل - كلية الحقوق . م - الطبية . ن - الجامعة . س - كلية الهندسة . ع - كلية بوسيان للاناث .

سبع عشرة كلية عدا المدارس المتوسطة والعالية

Digitized by Birzeit University Library

وفيها احدى عشرة جريدة يومية يصدر اكثرها بالانكليزية ، واحدى وخمسون اسبوعية ومجلة و شرجميات تبشيرية ، وسبعة اندية للشبان والشابات المسيحيين . ومكتبة عمومية فيها ١٥٠٠٠ مجلد بالانكليزية ولا ادري كم بغيرها . زرت هذه المكتبة مرتين فرأيتها دون المكتبة الخديوية في كل شيء الا انسانية عمالها ولطفهم

(٩) العربات والنقود

في هندستان وكل الشرق ، تسير العربات الى اليسار . وفي كل زاوية لوحة كتب عليها باللغات الانكليزية والوطنية هذه الكلمة "ثمّل" او — الى اليسار — وفي كل قطار عربتان المؤخرة تختص بالهنود ورسمها واطي جداً . في هذه العربة لا يركب اوربي على الاطلاق ، والمقدمة يركب هذه الاوربيون وعظماء الهنود واجرتها مضاعفة

محور النقود الهندية الروبية وهي قطعة نقود فضية تزيد قليلاً على الربع ريال اميركي . قيمتها ٧ قروش ونصف صاغ مصري . ١٥ روبية تعدل جنيهاً انكليزياً . وقد سك منها نصف روبية وربع وثمن الخ

ويقسمون الروبية الى ٦٤ جزءاً متساوية يسمى الواحد منها بيصا والبيص في الهند كالنحاسة في سوريا او المليم المصري . والاربع بيصات قطعة كالقرش التعريفة ويدعى « آن آس » وهو ربع ربع الروبية

وغريب تعصب الهنود في امر النقود فانهم تحت حكم الدولة الانكليزية ويرفضون نقودها ونقود استراليا وكندا . بل يرفضون نقود سيلان والقطار يسير يومياً بين البلدين . ولم ار لذلك مثيلاً في كل الارض : في مصر وعلى الخصوص

Digitized by Birzeit University Library

في بورتسعيد لا نرفض نقود على الاطلاق . وفي شنغهاي وهنغ كنغ ومنلاغ يمكنك بكل سهولة تبديل النقود الاجنبية بل كثيرون من التجار يقبضونها . وفي مشيغن - وعلى الخصوص ديترويت - تقبل نقود كندا . اما في هندستان فيستحيل ذلك

كان معي كمية من الليرات الانكليزية فحذرًا من الصعوبة ابدلتها في كولمبو سيلان بشلينات . ولم ادر ان تلك الشلينات سك اوستراليا . فلما اتيت كلكتا لم يقبل احد شيئاً منها مطلقاً . ولما شكوت الامر لمدير النقود فيها امر الصراف ان يبدل الشلنات الانكليزية . فسرّني ذلك جداً . ولكن يا لخيبة الامل اذ وجدت ان شلناتي كلها سك اوستراليا وهي مرفوضة وقد غشني الذي صرفها في سيلان وانا اجهل ذلك . وبعد البحث وجدت من يقبضها شفقة عليّ ولكن بنصف قيمتها فرفضت ذلك بغضب وظلت النقود معي الى سنغابور حيث صرفتها بخصم عشرة في المئة فخوراً بنجاحي

المقالة الحادية عشرة

من كلكتا سرت الى بورما في ١٥ اذار فوصلتها في ١٩ منه

اـ تقابل بورما قورمنديل على شط بنكالا . طولها ١٢٩٠ ميلاً . معظم عرضها ٧٠٠ ميل . مساحتها كلها ٢٤٠ الف ميل مربع . عدد سكانها سنة ١٩١١ ١٢١٢٠٠٠٠ نفس

تفصل بورما بين الهند وسيام . وهي تقسم الى قسمين : بورما العليا وبورما السفلى

Digitized by Birzeit University Library

فيها ثلاثة انهار اكبرها اروادي واحد فروعه رانكون وعليه مدينة رانكون الآتي ذكرها. مخرت جنصن مارونا في نهر رانكون عشرات الاميال تكسو اكثر اراضي بورما الحراج والغابات ففيها ١٤٢٥٠٠ ميل مربع غابات وحراج. يكثر في بورما شجر التيك وقصب الخيزران وتجود فيها القهوة والارز والسمسم والقطن والدخان والشاي والقمح

وفيها الذهب والفضة والتنك والرصاص والفحم والياقوت والبترولیوم والصفير. مساحة ارض الياقوت فيها ٢٠٠ ميل مربع وهي في منتصف البلاد شرقي نهر ايراودي شمالي مندلاي

(٢) الاهلون — اجناسهم: ادیانهم

برميون	٧٥٠٠٠٠٠	١٠٢٥٠٠٠٠ بوذيون
اراكانيون	١٤٤٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠ عبدة الارواح
شانص	١٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠ مسلمون
كارين	١٠٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠٠ براهمة — هنود
٥٠٠٠٠٠ هنود	٢٥٠٠٠٠ نصارى	٠٠٠٠ صينيون

٣) لغتهم — البرمية كالصينية ذات مقطع واحد. وتكتب من اليسار الى اليمين بخلاف الصينية فانها تكتب من فوق فنازلاً، وصورة اكثر حروفها قواس دائرة وهي منحوتة من اللغة السنسكرينية ويتعذر اتقانها مع سهولة قواعدها لكثرة أصواتها وغناتها. ولم تكن للكارين لغة كتابية، فاستنبط لهم المرسلون لغة كتبوا بها الكتب والصحف. كتبهم المقدسة هي شرائع مانو وكتب بالي، وهم يحرصون عليها حرص الغاية على جمالها. واكثر آداب لغتهم اشعار واسجاع خيالية

Digitized by Birzeit University Library

٤) بوذيتهم - هي اتقى بوذيات العالم عدا سيلان . رهبانهم من ارقى الناس واعظمهم اعتباراً في الهيئة الاجتماعية ، وظيفتهم تهذيب الاحداث واعطاء مثال سام للحياة ، وكلهم شديدو التدقيق في حفظ بتوليتهم . على انهم لو راموا نكث العهود لاستحال ذلك عليهم ، اذ اغلقت في وجوههم الابواب ولزمهم اللباس الاصفر وليس لاديارهم اوقاف ولكن الاهالي لا يدعونهم يحتاجون الى شيء

ومن المحتم عندهم دخول كل طفل الدير لتحصيل العلوم الابتدائية ولذا اكثر من ٧٠ في المئة من ذكورهم يقرأون . بلغ عدد المدارس في بورما سنة ١٩١١ ، ٦٤٩٢ عدا المختصة بالاديار . ينفق على المعارف سنوياً خمسمئة الف ليرة وفي البلاد ٣٠٠ مستشفى ومستوصف والارجح ان مستشفى رانكون هو الاول في كل الشرق

(٥) اوصافهم — البرميون عراض القاعدة خفاف الشعر خفيفو الطباع مزاحون يغربون في الضحك ويرغبون في الغناء والتمثيل ، وللمرأة عندهم منزلة سامية عكس اخوانهم الهنود ، فتنزل سيداتهم الى السوق وتدير المخازن كالرجال . دخلت مخزن مشن برس فاذا العمال والكتاب سيدات ، لا انسي فخامة المحل وحسن ادارته واداب عماله وكلهن اما خلاسيات او وطنيات مهذبات

وهم يرغبون في زاهي الالوان ، رأيتهم في شارع دلهوسي مساء وقد لبسوا الوزرات الطويلة بين سندسية اللون وعقيقه ، وبنفسجية وارجوانية ولازوردية الخ فخلتهم يزينون الشارع بثيابهم - ولا يكتفي البرمي بالوزرة على طولها وسعتها — فيلبس فوقها القميص ويغطي كل جسده ولا يشذ عن ذلك الا القرويون والغرباء — يستقل العروسان في امر الزواج فيذهبان

Digitized by Birzeit University Library

فيذهبان معاً الى السوق لاعداد اللوازم حسب زوقهما، وللمرأة في بورما حق الطلاق كالرجال وتتزوج ارملتهم خلافاً للهنود، ومع ان تعددهن مباح للبرمي فهو قلما يأخذ اكثر من واحدة

وله براعة في الملاحة والتجارة ونعوزه موهبة السياسة والجندية والرياضيات وهو مقتدر شديد الحرص. يكثر بينهم المثرون فان اجور العمال عندهم مضاعفها عند الهنود ولذا يوفرها مئات الالوف منهم

يعيش ثلثاهم على الزراعة. كانت فدنهم المزروعة سنة ١٩١٧ ـ ١٤٤١٤٠٢٦ فداناً منها ٦٥٠٠٠ تعطي موسمين في السنة. ولهم شهرة فائقة في نسج الحرائر الموشاة بالقصب. وهم ينسجون الاقمشة القطنية. وهم بارعون في صوغ الذهب والفضة وفي تطعيم الخشب. في بورما اكثر من ٤٧٦ معملاً اوربياً اكثر عمالها برميون

٦ ـ مواصلاتها، كانت قبل الحرب محصورة بالانهار واليوم مدّ فيها الانكليز الخطوط الحديدية، ولا يمكن قطع البلاد شرقاً بغرب الا نادراً لاعتراض سلاسل الجبال المكسوة بالحاج. ولا يصلها بغيرها خط حديدي على الاطلاق

٧ ـ البتروليوم، على شط ايراودي في وسط ورما مدينة يناغ يونغ، بقربها منابع البترول يرسلونه بانابيب الى النهر فتستلمه السفن وتحمله الى معامل التصفية جنوبي مدينة رانكون وقد رأيت تلك المعامل شرقي النهر فحلتها مدينة على حدة

٨ ـ في بورما عشر مدن كبيرة منها ست في الدلتا عاصمتها رانكون

Digitized by Birzeit University Library

٩ - صادراتها . اهم صادراتها الارز والبتروليوم وخشب التيك . كانت صادراتها سنة ١٩١٧ كما يأتي :

ارز ٢٧٠٠٠٠٠ طن - سمسم ٩٠٠٠٠ طن - قطن ١٥١٠٠٠ طن - ذرة ١٢٤٠٠٠ - خشب التيك ٠ ٢٥٠٠ - واستخرج منها ٢٩١٧٥٠٠٠٠ غالون بترولیوم و ١١٩٨٢ اوقية ذهب و ١٦٠٠٠ طن حديد و ١٤٠٠٠ طن رصاص و ١٠٠٠ كاوتشوك . ومن الياقوت ما قيمته ٣٧٥٠٠ ليرة انكليزية

قيمة صادراتها ٢٦٠٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي

دخل حكومتها ٧٥٤٨٢٠٠ جنيه انكليزي - نفقاتها ٠٠٠٠ ٥١

تاريخها - عرفت الكتابة في بورما سنة ١١٠٠ قبل المسيح وكان يحكمها يومئذ ملوك متمدنون قصبتهم اراكان . دخلها البرتوغاليون سنة ١٥٢٠ والفرنسويون في القرن السابع عشر

وكانت اخر دولها الدولة الاومبية انشأها اومبي في مدينة منشوبو سنة ١٧٥٣

استولى البرميون على اسام في الهند سنة ١٨٢٠ فاحتكوا بالانكليز ولسوء حظهم او لحسن حظهم اساءوا معاملتهم فشبت الحرب بينهما سنة ١٨٢٤ وانتهت سنة ١٨٢٦ بمعاهدة آفا وبها تخلت بورما للانكليز عن ولايتي تنسيرين واراكان - وهما كل الشواطىء

ثم تجددت الحرب بينهما سنة ١٨٤٥ وانتهت سنة ١٨٥٣ - عندئذ تبوأ العرش من العادل الحكيم فاحسن معاملة الانكليز فعاملوه بالمثل . ومات سنة ١٨٧٩ وخلفه ثيباو الارعن الشرس . بدأ هذا ملكه بذبح اخوته فاحتج عليه الانكليز ولكنهم لم يسوه بسوء . على انه تعرض لرعاياهم وفرض مبالغ طائلة على

Digitized by Birzeit University Library
مكتبة جامعة

الشركات الانكليزية ورفض كل تعديل او مخابرة . وكان في نفس الوقت يخابر اعداء انكلترا بالتخلي عن بعض اقسام بلاده على حدود الهند فارسلت اليه انكلترا البلاغ الاخير في ت ١ سنة ١٨٨٥ فهاج جداً واعلن « الجهاد » ضدهم ودعا الاهليين عموماً « لكنس البلاد من الانكليز » وطرحهم في البحر — على انه قبل نهاية تشرين الثاني كان اسيرهم واذ لم يكن من يخلفه في الملك — لانه قتل كل الورثة — تملك الانكليز البلاد والحقوها بهندستان

١١ سياستها الحالية — يعتبر البرميون انفسهم ارقى جداً من الهنود ، تفصلهم عن الهند فواصل جغرافية وجنسية ولغوية وتاريخية واجتماعية ودينية ولذلك نفروا من الاندغام في جسم الهند مع الاستقلال . لا لكونهم يؤثرون العبودية على الاستقلال بل لانهم يؤثرون سيادة انكلترا على سيادة الهنود . ومحور سياسة انكلترا تلطيف نفرتهم هذه — كما في البصترا ارلندا تماماً .. وان سهر الحكومة الانكليزية في رانكون شديد جدا

قرأت البارحة خطبة لناظر المعارف في جامعة بورما تلطف بها ما شاء ورجا الطلبة ان لا يسرعوا في تفنيد سياسة الحكومة بل يدرسون المسألة من كل ابوابها

المقالة الثانية عشرة — رانكون — عروس الشرق

تقع رانكون على ضفة نهر رانكون الشرقية على بعد ٢١ ميلاً من مصبه في البحر . طولها ستة اميال — من قناة بيجو الى مازونندونغ — ومن ثم تلتف مع عطفة النهر شمالاً مسافة خمسة اميال . ولكن في وسطها ساحات واسعة . فهي تفوق كولمبو ومدراس وكلكتا — الا الميدان

Digitized by Birzeit University Library

يحيط برانكون شارع ستراند موازياً النهر وشارع مارشانت وشارع دلهوسي، يقاطعها شارع بيير وشارع شبارك — وعند ملتقى دلهوسي وشبارك حديقة دلهوسي الجميلة تقابلها الباغودا

(١) الباغودا — يحيط بها سور مشيد بالحجارة ويصعد اليها بدرجات عديدة والارض حولها مرصوفة بالرخام الابيض ولكن الزيوت غيرت لونه. يحيط بذلك مخازن باعة الزيوت والبخور والزهور وما شاكل ذلك من لوازم الباغودا

قبة الباغودا عالية جدا تخترق السحاب وهي مصنوعة بالبرونز ومطلية بالذهب وعليها الوف من مصابيح الكهرباء فتختال ليلاً كالعروس. رأيتها من البر عموداً نورانياً يهدى به السارون في حدق الظلام ومن البحر فاذا هي آية المجد، يحيط بها مستديراً ١٥ هيكلاً للاصنام وفي كل منها تمثال لبوذا في احدى ظهوراته. يعتقد البرميون انها اقدس باغودا لان فيها اثار من جسم بوذا

يؤم الناس هذا الباغودا بعضهم للتبريك وبعضهم للمعاش، وأمتها للفرجة وهم يوجبون على زائريها خلع نعالهم، وليس في ذلك شيء من الانصاف لان اقدام الوطنيين تزيد الارض وساخة واما الاوربي فيخسر جواربه بالزيت والوساخة

لقد اعجبت بتلك التماثيل ايما اعجاب ولا سيما تمثال سيكاموني بوذا الرخامي تراه يكاد ينطق. له جسم الرجال وجمال النساء وفي كل مغز ابرة من وجهه مجالي العواطف وتتقد عيناه بنور الحب الالهي للبشرية والحكمة السموية في قيادتها الى السعادة فكنت اشعر كأني امام شخص حي — لا صنم جامد — وادهشتني براعة القوم في صنع التماثيل

Digitized by Birzeit University Library

من اغرب ما يقال في رانكون ان اكثر سكانها اجانب . عددهم ٣٠٠ الف فيهم مئة وخمسون الفاً هنود وعشرة الاف صينيون ومثلهم يابانيون وكذلك اوربيون

واديانهم هكذا : مئة الف بوذي و ٥٠ الف مسلم و ٢٠ الف مسيحي و ١٢٠ الف هندو

ظهر كوتاما بوذا سنة ٥٨٥ م للاخوين تامو وبو واعطاهما بضع شعرات من جسده فشادا عليها الباغودا — جلس على عرش رانكون الملك بوناريكا سنة ٧٤٦

وحلها البورميون سنة ١٤١٣ وبعده انحطت الى قرية صيادين ثم جددها الملك الوهبي وسماها يان كون — او رانكون — وحدث خلاف بين اراكان في بورما وشينا كونغ في الهند فارسلت انكلترا الكبتن صايمز الى آفه لفض الخلاف فكانت النتيجة اباحة دخول الانكليز الى البلاد . وهاك وصفها بقلم صايمز :

تمتد رانكون على شط النهر مسافة ميل ولها في كل جهة باب الا الشمالية فبابان . شوارعها ضيقة لكنها نظيفة . بيوتها مشيدة على اوتاد عالية يسكن عظماءوها الحصن وفقراءوها الضواحي وفيها بطارية مدافع عديمة النفع

منذ تملكها الانكليز سنة ١٨٥٣ دخلت في دور الارتقاء واتصلت بالمستعمرة شماليها وشادوا فيها المدارس والملاجىء كما في كلكتا

(٣) اوصاف — رانكون اجمل مدن الشرق وانظفها عدا هنغ كنغ واتخمها اسواقاً عدا شنغهاي . تكثر فيها الهياكل والجوامع والباغودات . ومن عادة البرميين انهم — كالفيليبيين — يشيدون بيوتهم على اوتاد مغروسة في الارض واكثر بيوتهم خشبية

Digitized by Birzeit University Library

لا يحمل نهر رانكون السفن الضخمة الا زمن الفيض . قال احد الاوربيين يصفه : « ترى في نهر رانكون بواخر عديدة من كل ممالك الارض تحمل حديد انكلترا وافطانهـا وكبريت يابان وحريرها واكياس هندستان من القنب وتشحن منها البترول يوم والاخشاب والتنك » وقد رأيت ذلك رأي العين يوم حللتها

في رانكون عشرة الاف اوربي هم محور الحركة الاقتصاديه . لهم افخم البيوت واكبر المخازن واعظم المصارف وفيهـا عشرة الاف صيني بيدهم تجارة المفرّق وفي شوارع رانكون معرض الشعوب . فترى في دلهوسي ردف الاصيل الاوربية بثوبهـا الحريري المهفهف الابيض من ابدع مـا صنع الصانع واليابانية بظلتها الملونة وشعرها المنظوم والصينية ببنطلونها الاسود وقدميهـا الدقيقتين والهندية عارية الجسم تستر وسطها وزرة قذرة والبرمية بثوبها الملون وقميصها النظيف يساور هوءلاء باعة الفواكه والمرطبات بعضهم في دكاكين وبعضهم تحت مظلات كبيرة في الشارع . وترى الاحداث عائدين الى بيوتهم يتأبطون الكتب ورهبان البوذية بالاثواب الكهنوتية وضباط الانكليز على البسكلات شأنهم في كل اين

(٤) هنّ ذكرتني كثرتهنّ في شوارع رانكون مدينة الاسكندرية ، خلافاً لما مررت به من البلدان في الهند وسيلان فكنّ حيث توجهت كشقائق النعمان تحيط حمرتها بسوادها . حال وصولي الى رانكون توجهت الى مدرسة سان فيلبس للانجليكان : فيها ١٥ صفاً مختلطة ولكن كل المعلمات سيدات . واجمل صفوفها اطفال البستان (كنتر غاردن) عددهم ثلاثون م كملائكة الله .

Digitized by Birzeit University Library

(٥) الليالي البيض لاهل الوجوه السود

لا بلد تتعدد فيها الالوان كرانكون ، ذكرتني موائدها في الشوارع بمصر لكن الشرب فيها غير المسكر ، وكانت الموسيقى تصدح في كل مكان بابدع الالحان كأن القوم في عيد او مهرجان . وتدور رحى تجارتها ليلاً . فاذا غربت شمسها قال اهلوها يا فتاح يا عليم . حينئذ يتجلى في سمائها قمر وفي ارضها اقمار وبذلك يمتاز ليلها على نهارها

تمر برانكون تسعة اعشار صادرات بورما وفيها مئة معمل منها خمسون للارز وعشرون للزيت ولا درجات في عرباتها الكهربائية واجورها ارخص اجور العربات في كل الارض

(٦) المعارف والبلدية — يختلف الجنس الاصفر عن الهندو من حيث التهذيب كل الاختلاف ، فيندر فيه الأمي ويندر في هؤلاء القاريء . فاذا انشأت الحكومة مدرسة في هندستان كان غرضها انقاذ القوم من الامية اما في بورما فترفية للتعليم

في رانكون كلية للحكومة وكلية للمحمدانيين عدد الطلبة في كل منهما ٨٠٠ وفيها ٢٧ مدرسة متوسطة و ١١٠ مدارس بدائية وتصدر كل صحفها بالانكليزية

رانكون نقطة مواصلات بورما — جاء في هندستان غازت ما نصه « تسير القطارات من رانكون يومياً الى بيسين ومندلاي ومرطبان . وتمر بها كبار البواخر وصغارها . وبها خطوط محلية عديدة تسير عليها العربات منها ستون ميل بخارية واربعون كهربائية »

تؤلف بلديتها من ٢٥ عضواً ينتخب منهم دافعو الرسومات ١٩ عضواً

Digitized by Birzeit University Library

وتعين الحكومة الستة الباقين — يدير هذا المجلس شؤون المدينة الاقتصادية والصحية والادبية - واليه يرجع الامر في سن الرسومات على الاراضي والحاصلات والصادرات والواردات . وكان دخله سنة ١٩١٤ مليونان واربعمئة الف روبية ولا بد انه زاد اليوم كثيراً جداً

ويدعى القسم الشمالي منها الكنتون — وهو خاص بالاوربيين — عدد سكانه ٣٠ الفاً وله مجلس بلدي على حدة

(٨) اوصاف — تحولت في رانكون ليلاً فاذا قطر العربات غير متناه وصفير البخارية منها يصم الاذان وزئير البواخر يطرب الجنان وصدح الموسيقى في كل مكان وقد خرج العمال من المصانع والرهبان من الصوامع والمسلمون من الجوامع وعرض تجارها انفس البضائع فعم السلام بين الانام من كفرة وهندو وبوذيين ويهود ونصارى ومسلمين

فتشت في كلكتا عشرين يوماً على خارتة بنكال فلم اجد لها من اثر — ولا جغرافية تختص بها على حدة — مع ان سكانها خمسين مليوناً . فلما بلغت رانكون وجدت فيها عشرات من الخارتات للبلاد ومكتبة برمتها تختص ببورما

بدأ تبشير الامريكان في برما سنة ١٨١١ بادونيرام جدسون ولهم اليوم خمسمئة ابرشية فيها ٢٥٠ الف متنصر . ولهم مدارس عالية وكنائس راقية

****

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الثالثة عشرة — بلد التنك ، ملقا

امامي الان شبه جزيرة ملقا بخلجانها وشكلها الغريب . وهي قطعة من الارض عوجاء كذنب الكلب تماماً . تمتد من جنوبي بورما الى قرب خط الاستواء تجاه سومطرا . طولها ٧٠٠ ميل واقل عرضها ٤٠ ميلاً . مساحتها ٧٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ثلاثة ملايين نفس

١ — حاصلاتها — التنك والبين ابْل —

ملقا كثيرة الامطار حارة الاقليم تغطي جبالها الحراج وسهولها المروج وتمتاز بمناجم التنك فهي اعظم متنك في الارض . تصدر المحالفة وحدها من التنك سنوياً ما قيمته ١٥٠٠٠٠٠ ريال

ويكثر فيها البين ابْل وهو ثمر لذيذ الطعم جدا يشبه شكله الملفوف — او الكرنب — ويملأ جوفه عصير ليموني حلو الطعم — كالليمونادة تماماً . وهو في رأيي — مع المانكو — افضل ثمار الدنيا

ويوجد فيها الشاي والموز والخيزران وغيرها

٢ — اقسامها

تقسم شبه جزيرة ملقا الى ثلاثة اقسام رئيسية وهي ١ ـ املاك سيام . ٢ ـ الاملاك المستقلة ٣ ـ الاملاك الانكليزية

ويقسم كل من هذه الاقسام الى اقسام فرعية كما سترى .

١ ـ املاك سيام وهي حول البرزخ في عرض ٩ شمالاً

وهي ثلاثة اقسام سيجنتين ـ وجنك سيلون ـ وباتاني وعاصمتها مدينة باتاني على نهر باتاني

Digitized by Birzeit University Library

٢ـ الاملاك المستقلة وفيها سلطنتان : جوهر وموراً . عاصمة الاولى مدينة جوهر وتتبعها الجزر وهي كثيرة العدد في سنكابور . وعاصمة مورا بندر مهراني ويربون في السلطنة عود الزان الى طول ١٠٠ قدم بمهارة فائقة . مساحة السلطنتين ٩٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانهما ٢٥٠٠٠٠

٣ـ الاملاك الانكليزية . — تقسم هذه الى ثلاثة اقسام ، وكل قسم منها يقسم ايضاً الى اقسام . فاقسامها الاصلية المحالفة والحمايات والمضائق

٤ـ المحالفة فيها اربعة اقسام :

١) بيراك مساحتها ٧٨٠٠ ميل مربع وسكانها ٨٤٠٠٠٠ نفس عاصمتها طاي بنغ

٢) سيلانجور مساحتها ٣١٥٠ ميل مربع وسكانها ٢٩٤٠٥٧ عاصمتها سيلانجور

٣) نيجري سمبليون مساحتها ٢٥٥٠ ميل مربع وسكانها ١٣٠٢٠٠ نفس عاصمتها نيجري سمبليون

٤) ماهانغ مساحتها ١٤٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١١٧٦٠٠

وحكاية هذه المحالفة من الذّ حكايات المستعمرات في التاريخ وخلاصتها : كان سلاطين الاقسام المذكورة اعلاه في نزاع مستمر وبلدانهم غاية في الانحطاط مادياً وروحياً فلجأ اثنان منهم سنة ١٨٧٨ الى انكلترا — وهما سلطان بيراك وسلطان سيلانجور — جاء في عريضتهما ان الحامل لهما على طلب حماية انكلترا هو « حسم المنازعات مع جيرانهما والحصول على نظام حسن لادارة شؤون البلاد » فلبت انكلترا طلبهما وارسلت لكل منهما مستشاراً من انكليز المضائق واوصته بعدم التعرض لشؤون البلاد الاهلية وحصر همه بالشورى على السلطان وسن نظام للدخل بمساعدة لجنة من موظفي المضائق

Digitized by Birzeit University Library

فسكن ثائر الهياج سريعاً ونمت مداخيل البلدين وبعد كونهما بوثرتي فسادصارتا ميدانًا اقتصادياً راقياً. فلما رأى ذلك سلطان نيجري سمبليون نحا نحوهما بمد يده للانكليز طالباً الحماية فاجابوه الى ذلك فعمت الخيرات بلاده. وسنة ١٨٩٠ قال سلطان ماهانغ — وانا — فقالت له انكلترا — وانت — فشملت الحماية الانكليزية السلطنات الاربع. وسنة ١٨٩٦ قادتهم انكلترا لتأليف محالفة بينهم. وهذه اعضاءوها:

١ — حاكم المضائق الانكليزي رئيس ١

٢ — سلاطين السلطنات الاربع ٤

٣ — مستشاروهم الاربعة ٤

٤ — عضو من كل سلطنة ٤

— ثلاثة عشر عضواً

ينحصر عمل هوءلاء في نظام الدخل والخرج ومجلس المضائق التشريعي مع ترك كل سلطان يسير بحريته في ادارة بلده

وانشأت لهم انكلترا المدارس في كل مدينة وقرية ومزرعة فازهرت البلاد وسبقت كثيراً من ممالك اوربا. ولم اسمع ان احدى تلك السلطنات ندمت على طلب حماية انكلترا

(٥) الحمايات وهي ثانية اقسام الاملاك الانكليزية

هي اربع مقاطعات سلمتها سيام لانكلترا في عهدة سنة ١٩٠٩

١ — كيدا سكانها ٢٥٠٠٠٠

٢ — بيرمي سكانها ٣٨٠٠٠٠

Digitized by Birzeit University Library

٣ــ كالانتان سكانها ٣٨٧٠٠٠

٤ــ ترانجور سكانها ١٥٥٠٠٠

وقد عينت لها اكثرا مستشارين كسلطنات المحالفة ، ولكنها الى الان لم أشكل لها محالفة ، ويتمتع اهلوها بحرية وسلام تحسدها عليهما امم عظام

(٦) المضائق وهي ثالثة اقسام الاملاك الانكليزية

وفيها ثلاثة اقسام وهي : ملقا ، وبينانغ وسنكابور . مساحتها ٩٦٠ ميلاً وعدد سكانها ٧١٥ الفاً

تاريخها - دخلت في حوزة شركة الهند سنة ١٧٩٥ وانضمت معاً تحت اسم مضائق سنة ١٨٢٦ وتخلت عنها الشركة لانكلترا سنة ١٨٦٨

صادراتها — اهمها التنك ، ثم المصطكا والكاوتشوك والبهارات والزان والدبيغ والقهوة والصمغ وصدف اللؤلؤ والتابيوكا ودقيق الساجو

وارداتها — اهمها المنسوجات القطنية والارز والخزفيات والات القطع والفحم والكحول والدخان والورق والبتروليوم والسكر

حاكمها — هو رئيس المحالفة ، مركزه سنغابور وتشمل سلطته بروني وساروواك وبورنيو الانكليزية

مدارسها ، نوعان : علمانية واهلية . الاولى تخص الحكومة والثانية تساعدها الحكومة

٧ — بينانغ

بلغتها جنصن مارو صباح الاحد في ٢١ اذار ١٩٢٨ وللحال سرت الى البر

Digitized by Birzeit University Library

لتسقّط الاخبار فابتعت بعض الصحف الانكليزية ومنها عرفت ان قد بدأ الهجوم الالماني العظيم على جيوش الحلفاء في الميدان الغربي في ١٨ اذار ١٩١٨

بينانغ كلمة ملقية معناها البلوطة ، سميت بها الجزيرة لمشابهتها البلوطة شكلاً . طول الجزيرة ١٥ ميلا وعرضها تسعة اميال ومحيطها ٤٦ ميلاً ومساحتها ١٠٧ اميال مربعة . استلم الانكليز الجزيرة المذكورة من راجا (ملك) كيدا فضموها الى سنكابور

وهي قريبة من برّ ملقا يفصلها عنه زقاق عرضه ميل ونصف ثم منحهم الراجا شقة ارض على البر المقابل طولها ٤٦ ميلا وعرضها سبعة اميال ليتمكن الانكليز من مطاردة القرصان فشكلها الانكليز ولاية اتبعوها ببينانغ وسموها ولاية ولسلي

في بينانغ مدينة واحدة اسمها

٨ — جورجتون

عدد سكانها ٢٣٠ الفاً ، وهي تشغل السهول حول الجبل الى البحر ، ويسير فيها الكار الكهربائي واكثر اهاليها صينيون وملقيون او ملاغاش -- وفيها قليلون من الاوربيين وهم الحكام والتجار والمبشرون

اخواني الكاثوليك

لما كنت في القارب سألت هل من مدارس في جورجتون فقيل لي ان فيها عدة مدارس : احداها للاخوة ، فظننت انهم اخوة كويكرس . فلما بلغت البر اخذت ركشا وسرت الى المدرسة المذكورة ، فبلغت ساحة تحكي جنان الخلد نظافة ونضارة وهدوءا ، مروج خضراء واشجار ورقاء وغصون ميلاء وابنية

Digitized by Birzeit University Library

تتطح القبة الزرقاء ، وسمعت من احداها ضوت ارغن جميل تبعته اصوات مرنمين خلتهم املاك الحضرة ، ثم خرج الاقوام زرافات ووحداناً وكلهم بالملابس البيضاء الشاهقة — هـذا لباس الاقوام في الاقاليم الاستوائية — خلتهم ازهار الربيع فسألت احدهم ما هذه ؟ فقال كنيسة الكاثوليك . قلت واين مدرسة الاخوة ؟ اجاب تلك التي امامك ، فدخلتها واذا هي :

مدرسة الفريز الكاثوليكية

وهي دار ذات رحابة وشراحة وهندام ونظافة

لقد مرَّ عليَّ ثلاثون سنة اخدم المدارس واجتمع برجالها العظام ، وقط لم ارَ انسانية وكمالا تفوقان ما حوى رئيس تلك المدرسة . قابلني بكل سكينة ولطف واذ علم انني من فلسطين لم يبدِ شيئاً من الفضول والتساءول المنتظر من مثله في مثل تلك الاحوال كالقول من اين ؟ والى اين ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

واعطاني جغرافية البلاد واجاب سوءالاتي بالايضاح والاختصار وودعني بادب واحتشام . ان ما رأيته في الكنيسة وفي هذا الرئيس رفع الكثلكة في عيني جلت في جورج تون بضع ساعات ، وركبت الكار الى الهيكل البوذي في سفح الجبل ، وكانت الامطار تنهال بغزارة — واذكر ان تلك الكار من افضل ما ركبت

٩ الاهلون — الصينيون وثنيون ، والملقيون مسلمون ، والمتنصرون من الفريقين قلائل ولم اشعر ان بينهم شيئاً من العداء او التعصب

تمتد من جورج تون الى سنغابور سكة حديد طولها ٣٥٠ ميلاً ويعبر الركاب المضيق بين بينانغ وبر ملقا بالقوارب والمعديات

Digitized by Birzeit University Library

يكثر في اسواق جورج تون البين ابل والموز ، ويقل الخبز حسب عوائد الصينيين والملقيين فان الارز المسلوق عندهم بمثابة الخبز ، ولولا الاجانب لما عرفوا الخبز

١٠ — ملقا

ملقا اقدم المستعمرات الاوربية في الشرق . ولذلك اطلقوا اسمها على كل البلاد من باب تسمية الكل باسم البعض . وهي قطعة ارض في طرف شبه الجزيرة الجنوبي الغربي . مساحتها ٧٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٢٠٠ الف نفس منهم في ملقا وحدها ١٣٤٠٠٠ نفس

كانت ملقا قصبة المضائق قبلاً فصارت القصبة اليوم سنغابور . وقد كثرت الاوتوميلات فيها حتى كادت تدعى بلد الاوتوميلات

حلها البرتغاليون سنة ١٥١١ والهولنديون سنة ١٦٤١ والانكليز ١٧٩٧

قدرت صادراتها سنة ١٩١٥ بـ ٤٧٢٣١٠٨٨ ريالاً وارداتها ٥١٠٣٠٠٨٨ ريالاً

ملقا افضل المضائق اقليماً وزراعة فيها ٥٠٠٠٠ فدان مربع مزروعة تبغ و ٦٠٠٠٠ كاوتشوك وهم يسمونه هيفينا . والصينيين في جوارها مزرعة شاي ناجحة جداً . تتصل ملقا بالسكك الحديدية باكثر سكان الجزيرة — واكثر اهاليها ملقيون — وقد سموهم ملقيين نسبة اليها

بلغ دخل حكومتها سنة ١٩١٥ — ١٤١٣٦٩١ ريالا

وخرجها بما فيه المعونة الحربية ١٠١٩٦٥٦٠

****

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الرابعة عشرة

سنغابور — المأزق الحرج

(١) جغرافية

سنغابور جزيرة كالمثلث ملاصقة طرف ملقا يفصلها عنهـا زقاق ضيق يعبره ركاب القطار بالمعديات. تحيط بها من الجهتين المياه الفاصلة بينهـا وبين ساطنة جوهر. ومن الجهتين الاخريين المياه الفاصلة بينهما وبين سومطرا

سنغابور اقرب نقطة الى خط الاستواء في البر الاسـيوي تبعد عنه نحو ٧٠ ميلاً فقط. على انهـا ليست حارة بهذه النسبة. رافقت احد تراجمة الجيش فيها وكان يشكو لذع الحر فسألته: اهذا اعظم حر عندكم؟ قال نعم فقد انقطع المطر عنا ١٦ يوماً — وكل يوم لا ينهمل عندنا المطر يذيبنا الحر. قلت اذا كان ما تقول صحيحاً فكلكتا اشد حراً من سنغابور بل مصر احياناً اشد حراً منها

فالمستفاد من كلام صاحبي ان المطر ينهمل عندهم على مدار السنة

(٢) اوصاف

سنغابور مفتاح البحار ونقطة اتصال المشارق بالمغارب. ترى في مياههـا كثيراً من البواخر السيارة بين الشرقين الاقصى والاوسط

لما وصلتها كانت كل فنادقهـا غاصة بالنزل فجلت كل بعد الظهر اسأل عن غرفة ولم اجد. واخيراً نزلت في لوكندة صينية بسيطة

في سنغابور يتنقل الهنود من البواخر اليابانية الى الاوسترالية

تقسم سنغابور الى قسمين اوربي ووطني فالاوربي لا ينقص شيئاً عن ارقى المستعمرات نظافة ونظاماً واقتصاداً واهم ما فيه

Digitized by Birzeit University Library

حصن كنن

القائم على قنة شامخة في وسط المدينة تحيط به الجنائن والفراديس ودونه الفنادق والمدارس والاندية والكنائس والمستشفيات فهو كجبل النعمة كله بركات ، وعلى قمته الثكنات العسكرية والمحكمة العسكرية وميادين تدريب الجيوش ومساكن الضبط

وفي سفح الجبل ناديان للشبان والشابات المسيحيين . وهما افضل مارأيت من اندية الشبان في كل الارض زينة ونظاماً ، والثاني بعدهما نادي رانكون يقع نادي الشبان هذا على شارع ستمفورد اكثر عماله ومستخدميه ملقيون وهم يجسنون الانكليزية ويحفظون الادب ولم ارَ اقرب في الشرق الى الاوربيين من الجنس الملقي فانهم اسبق جميع الامم الشرقية — بما فيها اليابانية — الى تقليد آل البرانيط

شوارع القسم الاوربي نظيفة هادئة مزينة واسعة منظمة ، مع كل ذلك ليست صحية نظراً لكثرة المياه فيها وحولها . فكأنها مستنقع

اما القسم الصيني فضيق الشوارع كثير السكان كثير الضوضاء واشهر شوارعه شارع الجسرين وهو شارع يخترق سنكابور من اولها الى اخرها فيدعى قسمه الشمالي نورث بردج ستريت وقسمه الجنوبي سوث بردج ستريت يخترقه خط العربات الكهربائية من اوله الى اخره — بل يتجاوزه الى الضواحي . وقد اتصلت المخازن في اكثر اقسامه على الجانبين — فشارع الجسرين محور سنكابور وهو فيها كبرد واي في نيويرك

اخواني الاعراب — في سنكابور لقيت بعض الاعراب ، الحضارمة ، لهم

قهوة في السوق المذكور ذكرتني هيأتهم حالة الاعراب في سورية ومصر بالاراكيل والاحاديث . . .

في سنغابور اثنا عشر الف ركشا عدا الاتومبيلات والعربات والكار وغيرها مع ذلك فكثيراً ما يمر بك وقت طويل ولا تجد ركشا تركبها ، فتقف في مفرق الطرق ترقب وعشرات بل عشرينات من الشبان الصينيين يسابقون الرياح جارين الركشات والعرق يتصبب من ابدانهم فكأنهم الات ميكانيكية لا جسوم بشرية . فكان من لذائذ سياحتي ان اقف احصي عديدهم وهم كالخيول في ساحة الطراد . ولم ارَ بلداً في الشرق اكثر حركة من سنكابور

٣ — تقارير اقتصادية وادبية

تبلغ صادرات سنكابور الـ ٣٤١٠٩١٠٥ ريالا وواردا تها ٢٥٤٢٥٤٨٠٢ وفيها مرفأ واسع عميق جلت فيه بالقارب ساعات متوالية ، فيه ارصفة عديدة للشركات البحرية تلوذ بهـا البواخر للشحن والتفريغ وتقيل الركاب ثقلة القوارب . ومما يستحق الذكر انني بعد كولمبو سيلان لم اعرف القوارب الا في هنغ كنغ وبينانغ وبعض مرافىء يابان وفي بقية الموانى كنا نخرج الى الرصيف رأساً

يبلغ محيط سنكابور ٦٦ ميلا ومساحتها ٢٠٦ اميال فيهـا ٦٦ ميلاً من خطوط الكار الكهربائية

مركزها الادبي — فيها ١ً رفلي انستيتوشن انشيء سنة ١٨٢٣ — ٢ً سنت جوزيف سكول للبنات - ٣ً مدرسة رفلي للاناث — ٤ً انجلو سينيز سكول ٥ً مدرسة الحكومة ٦ً — متصدق المجرمين - لاصلاح اخلاق الاشقياء دون سن الرشاد ، يعلمونهم فيه القراءة والكتابة والحساب مع بعض المهن

Digitized by Birzeit University Library

٤ — تشكيلاتها المدنية

تعين الحكومة اعضاء البلدية من اعيان المدينة وواجبات هؤلاء:

١ — المصلحة الصحية ٢ — الطرقات والابنية ٣ — الجسور والكباري.

يعين حاكم المضائق التاج البريطاني وله مجلس شورى مؤلف من ثلاثة اعضاء وهم طبيب العسكرية ومدير المعارف ومدير المصالح الصينية — وهذا الاخير كقنصل صيني في سنكابور. وعينت انكلترا هذه الادارة في سنكابور وفي هنغ كنغ لتخفيف العبء عن اكتافها

٥ — تاريخ سنكابور

اشترى رفلي ستمفرد هذه الجزيرة من سلطان جوهر سنة ١٨٠٥ واختط المدينة عليها سنة ١٨١٩

ولد رفلي ستمفرد على صفحات البحار سنة ١٧٨١ وقضى حياته في خدمة المستعمرات الانكليزية. عينته شركة الهند الانكليزية حاكماً على بينانغ سنة ١٨٠٥ فرأى بثاقب فكرته لزوم سنغابور الامبراطورية نظراً لموقعها الجغرافي. ومذ سنة يوبيلها التنكي (٩١٩.) يوبيل المئة سنة — وهي بلد التنك فصلتها الحكومة الهندية عنها سنة ١٨٦٦ وألحقتها بالمضائق ومنذئذ صارت العاصمة. ولم تنس سنكابور افضال رفلي ستمفرد فدعت اجمل شوارعها باسمه. وله افضل الانصاب في افضل الساحات فيها. هكذا تكافي الدول الحية رجالها

٦ — المأزق

وهي اهم ما جرى لي في سياحتي الاسيوية

كان في نادي الشبان في كلكتا رجل نسطوري يدعى الاب ابلبا-

Digitized by Birzeit University Library

هذا رآني اكتب وابحث انذرني بوخامة العاقبة لانهم "يذبحون" يعني الانكليز واذا كنت اضحك عليه قال لي انك ستبكي بدل هذا الضحك

وكانت ثقتي بعدالة انكلترا لخوفه منها وكلانا فوق الاربعين غير قابل التغيير ولما عرف بعزمي على المرور ببورما قال «احذر بوليس بورما فانه اشرس بوليس في الدنيا»

فمع كل ضحكي على ابينا ايليا علق بفكري وصفه بوليس بورما وككل غريب في زمن الحرب كنت ارغب في الحيطة اجتناباً للمشاكل لان معي كتباً ومخطوطات كثيرة — وقد انذرني ابونا انهم سيفتشونها وقد مرّ بك انني لست اروم ان يطلع عليها احد

واذ اخبرني الترجمان في جنصن مارو اننا سنرابط على رانكون ثلاثة ايام وعلى الركاب ان يصعدوا على البر بعفشهم رجوته ان يبقي لي صندوق الكتب عنده. فتلوّن وقال مستحيل فانهم سيذبحونني، وقال ان بوليس رانكون اشرس بوليس في الدنيا. فاثر فيّ كلام الترجمان اكثر من كلام ابينا ايليا — ولا سيما لانه ضرب على نفس الوتر — فماذا افعل؟ لم ار من وسيلة الا الحزم وانتظار النتائج، فلما دنونا من رانكون وضعت بعض الرقم السرّية في جيبي وبعضها في زاوية الصندوق وبعضها في حذائي ورتبت الكتب على كيفية توءمل بالستر، والستر على الله

كل ذلك والجواز بيدي يصرّح انني رعية تركية

فلما وصلنا رانكون دخلنا تحت ادق انفحص واحاط بي ثلاثة من البوليس احدهم اسمر اللون رقيق الجسم، اظن انه خلاسي. هذا بعثر الحوائج والكتب

Digitized by Birzeit University Library

وتذمر لكثرتها ، فاخبرته بكل لطف — ولمثل هذه الساعة خلق اللطف — من انا . والى اين وما هو شأني . فلم يرضه شيء من كل ذلك . ولكنه لم يجد في اوماً ، وقد ترك كل الركاب وهم مئات ، وشغله امري عنهم كلهم ، لانني وحدي من الدارسين ومعي كتب كثيرة وكتابات وخارطات . واخيراً اخذ مني ١٦ عدداً من الهلال لفحصها ، واعتذر لي بان وظيفته توجب عليه ان يفعل ما فعل . فعذرته طبعاً وشكرته على كرم اخلاقه وخرجت من دائرة الفحص خروج دانيال من جب الاسود . وكان الفقير دانيال ينتظرني خارجاً ، فحمل امتعتي الى نادي الشبان المسيحيين . كل ذلك جرى وانا اجهل بوليساً سرياً ورائي فجلت في شوارع رانكون ابحث واكتب واتعهد كل شيء كأنني رسول جمعية اركيولوجية ثم اعود الى المكتبة انقب واحقق . وطبعاً ابحاثي محصورة في بورما ورانكون — البلد التي انا فيها — وسواء كان الوقت مناسباً او غير مناسب اكملت كتابة مقالتين في بورما ورانكون وبيضتهما ، ولو كان الاب ايليا معي لمزق ثيابه ، اما انا فلم يهمني امر في الكون الا اتمام مهمتي

وأذ انهت الباخرة شحنها باكراً استأنفت سيرها قبل الاوان وبذلك نجوت من ايدي الرقباء . خرجنا من رانكون ولا ريبة عندي انه لم يتصرف فيها غريب تصرفي كل مدة الحرب

وصلنا بينانغ كما سبق الكلام وذهبت الى المدينة وقضيت النهار بالدرس والبحث والتأليف حتى اتممت مقالة اخرى في بينانغ وجورج تون . وكنت قد تعبت كثيراً في ذلك النهار — وهو اول يوم كنت فيه في بلدة صينية . فتزاحمت التصورات في مخيلتي وملت الى النوم باكراً . فاستلقيت على سريري ولست

اعلم كم نمت . ولكني شعرت ان الترجمان الهندي يوقظني ففتحت عيني ورأسي غير صاح وقلت له ماذا تريد ؟ اجاب انهض ان بوليس المرفأ يطلبك . فتذمرت كثيراً على البوليس لانه لم ينتظر الى صباح الغد مع انني في حوزته . ونزلت الى البهو لاري ما الخبر واذا باثنين من رجال الحكومة هما بوليس المرفأ ونائب الحاكم فامراني بفتح صندوقي ففتحته فامراني برفع يدي فرفعتهما ولست ادري ماذا ولماذا

فاخذا من جيوبي كل مـا معي من دفاتر ودراهم واوراق واقلام ووضعا كل شيء كان معي في الصندوق . ثم ختماه بالشمع الاحمر باعتناء عظيم وايقظا قبطان الباخرة فنزل اليهما بثياب النوم فامراه بدون رقة ولا لطف ان يحتفظ بي ولا يدع احداً يخالطني وليحذر اقترابي الى القمرة حيث صناديقي وختما بابها بالشمع الاحمر — كأن معي سرّ ع م س —

كل ذلك وانا لا ازال نائماً لا اعي ولا ادري لماذا . ولكن احدهما قال لي اثناء تفتيش جيوبي : ألا تعلم انك تحت حكم انكلترا ؟ قلت بلى وهـذا الذي يطمئنني . قال سنردك من حيث اتيت . قلت انكم لن تفعلوا ذلك ابداً

لقد مرّ بك ان الهجوم الالماني الاخير بدأ في تلك الايام فكانت الامبراطورية الانكليزية بين عاملين خط هندنبرغ في الغرب وخطوط كتاباتي في الشرق . فبالطبع ان الاسد البريطاني الذي انشب مخالبه بجيوش المن لا يضن على هذا العاجز بشعرة من عفرته — وهي كافية لتزوعني وتهز صمامات قلبي

الى الان كنت مطمئنا بانني لدى اجراء التحقيقات اعرف من انا واتبرأ ولكن الذي راعني هو ابرام الحكم عليّ بدون فحص ، أيردونني بدون ان اعرف

من انا ؟ أيمكن ان يشقى محبو انكلترا ؟ وتحت رايتها ؟ الا يعلم هؤلاء الاقوام انني كنت القب في وطني (بالانكليزي) ؟ واعجباه !! في الصباح كان اثنان من بوليس المضائق يخفرانني — ولست ادري ماذا يعلمان من امري . نظرت اليهما وهما حافيان ، ومظهرهما يدل على بساطة القلب وهدوء الروح شأن الملقين ، فرفعت عينيّ الى السموات احتج على الالهة ، ولست اعلم هل عنى احد الالهة بامري او لا

قضيت النهار مجرداً من اوراقي وكتبي . ولكني وجدت قصاصات اوراق استخدمتها لكتابة يوميتي عليها ، وفي المساء استأنفت الباخرة سيرها الى سنكابور وكان خبري قد انتشر بين الركاب انتشار النور في الجو . وعرفوا كبيرهم وصغيرهم بما قد حصل فادهشهم الامر واعظموا شأني لانهم معجبون بالالمان فزاد احترامهم لي عشرة اضعاف لانهم اكدوا انني المانى ورأوا فيّ من الجرأة وصدق الوطنية ما يحلني محل الالهة لانني خاطرت بحياتي وانيت من اطراف هانوفر الى الشرق الاقصى لتقصي اخبار انكلترا فرأوا فيّ مثال الهمة والوطنية ولكنهم اوجسوا خيفة على حياتي واتى اليّ القبطان يعزيني ويشجعني واسرّ في اذنيّ كلمة ان الركاب ساءهم ما حل بي . ووعدني بالمساعدة لدى الحاجة

لم يرعني الا جهلي السبب في كل ما حدث . أصحيح يردونني وبدون تحقيق ؟ فيا لخيبة الامال بعدالة انكلترا اذا جرى الامر كما اوهمني ذلك الاسمر اللون

هنا استنجدت ذاكرتي وراجعت كل ما حدث لي في سفري من اوله فمرت في خيالي الممكنات التي سببت نكبتي ومنها

Digitized by Birzeit University Library

١ – ان مأمور الجوازات في مصر ابلغ الحكومة ريبته في فتعقبتني وارسلت اوامرها ورائي بردي الى مصر ولم تدركني الاوامر الا هنا – في زقاق سومطرا

٢ – ان الاب ايليا خوؤن وشى بي فسبب ما حدث

٣ – ان صديقي الهندو الذي اكثرت محادثته كان جاسوساً – وقد فهت البارحة ببعض انتقادات اشتراكية على مسمعه فلا بد انه هو ابلغ السلطة العسكرية انني ضد الحلفاء فجرى ما جرى

وهكذا كنت كغرض تتلاعب به العوامل فتارة تنسيني امالي الامي - واخرى تنسيني الامي امالي

وأتى ضابط الباخرة الياباني يسألني من انا - وملامح الاعتبار تتجلى في محياه - فاخبرته انني «سيريان» فلم يفهم معنى الكلام . وقال يظهر انك «يوربيان» ففهمت انه لم تبق ريبة في احد ركاب جنصن مارو انني الماني – وربما ابن عم الحاج غليوم – ولو كان ذاك الشاب المسلم معنا لقبلني بين عيني - لان ما تحملته يحسب في عينيه من نوع الاستشهاد - فلا حول ولا . .

– اخيراً وصلنا سنغابور

وحضر بوليس المرفأ لفحص الجوازات فعرض عليه القبطان امري فاجابه ان ذلك ليس من خصائصه وانه سيأتي من يحقق في امري . فالظاهر ان التقارير سبقتني الى سنكابور . لان القطار يصلها بعشر ساعات، والباخرة ظلت اكثر من ست وثلاثين ساعة

شيء واحد سكن روعي : وهو ان الترجمان اخبرني ان ما جرى نشأ عن برقية وردت الى حاكم بينانغ من بوليس رانكون ففهمت ان ذلك مسبب عن

Digitized by Birzeit University Library

بحثي وطلبي ولا شيء من ذلك يروعني . — وبعد فحص جوازات الركاب خرجوا الى البر وبقيت مخفوراً

واخيراً حضر جاويش يصحبه جندي ومعهما اوتومبيل المجرمين الاصفر فاستلمانى من القبطان رسمياً وخرجت من الباخرة مخفوراً وكل العيون عليّ — وذرفت بناب نيبون اسفاً على حيـاتي ، موقنات اننى ذاهب الى الشنق . واكد البحارة انني لن اعود . وكنت اخاف كثيراً ان يردوني الى مصر بدون فحص دعواي . سار بي الاوتومبيل وانا وراء الجنـدي والجاويش ، وقد راعني قول الجاويش للسائق الى محطه كذا — لظني انهم يرسلونني مع اول قطار رجوعاً .

واخيراً شرع الاوتومبيل يصعد بنا على الجبل ، الى حصن كنن ، حيث المحكمة العسكرية . هناك كان الجنود بانتظاري وقد سبقتني اليهم اخباري . فكانوا يرغبون في رؤيتي ، فكان الشريف منهم من سبق الى حمل شيء من امتعتي ، وانا كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة امام جازيهـا . فلما استقر بي الجلوس في رواق المحكمة نسيت مـا كان من أمري واشتغلت بدرس المحيط وارسال النظر الى اقسام سنكابور لان وجودي في اعلى الحصن فرصة ذاهبة فغنمتها لنظم مقالة في سنكابور !

واخيراً وقف امامي القول اغاسي — الميجر — طمسن وهو شاب طويل القامة اشقر اللون جندي الاوصاف وقال ل : أأنت حنا خبـاز ؟ فظننت انني ولد في مدرسة الاحد والمعلم يسأل عني — فسرّني ذلك واجبت بسرعة واقفاً : « نعم سيدي انا هو »

قال : أكنت في بورما ؟ — نعم سيدي

Digitized by Birzeit University Library

وكتبت عن رانكون ؟ ـ ليس عنها وحدها

فعن اي شيء غيرها ؟... كتبت عن كل شيء

اومعك الكتابات ؟ ـ معلوم وها هي

قلت ذلك واسرعت لابرهن للرجل صدقي. فحملت المقالات بيدي وجعلت اعدها: ون. تو. ثري. فور. ولا بد ان انكليزيتي شفته قال « قف. قف يكفي مقالات بورما ورانكون »

فحملت هذه بيدي وحسب اشارته تبعته الى الغرفة ولكن كان معي من كل مقالة ثلاث نسخ حسب عادتي في السياحة

فأخذ قلماً وجعل يكتب استنطاقي

واخذ الشهادات التي كانت بيدي من كبراء المرسلين في مصر

فرفع نظره الي وابتسم خلسة. فعلمت انه هزأ بالذين ارسلوني مخفوراً وهزأ بنفسه لانه قضى خمس دقائق يعاملني بجد ولا شيء يستدعي ذلك ـ عندئذ ادركت مقدرة رجال انكلترا. فانه لم يصرح لي بما قام في نفسه من الشعور بل امرني ان اسرع الى باحة المحكمة واراقب التراجمة الذين كانوا يفحصون اشيائي وآمرهم ان يتركوها وسألني اين مزمع ان انزل. قلت في نادي الشبان فأمر كبير التراجمة ان يرافقني وقال عد فخذ حقيبتك وصندوق الكتب وسنرى ما سيكون من امرك. فانحدرت صحبة الترجمان احدثه بكل لطف وانسانية. ولما وصلنا النادي امرت الخادم بكاسين ليموناداً ـ لي وللترجمان ـ فقد كنت حريصاً على اقناعه اني من انصار انكلترا وخدام الانسانية واكرم الاكارم

Digitized by Birzeit University Library

واذ لم اجد غرفة في النادي ذهبت الى المدينة وقضيت النهار بالبحث عن غرفة انام فيها — في الحي الصيني — وبت ليلتي اضرب اخماساً لاسداس

ولكن لا الميجر ولا الديوان العرفي ولا لويد جورج سألوا عني

وكانت معارك السوم حامية الوطيس وبرقيانه تهز قلوب الانكليز، وكانت ضربات غليوم على بيت خاله تحت الضلع الخامس

فانساهم ذلك الهجوم الخباز على اطراف الامبراطورية

في الصباح عدت الى الحصن حسب امر الميجر فلم اجده، وبعد طويل الانتظار قال الشاويش مالك هنا؟ لقد انتهت مسألتك منذ البارحة. فكنت مستعداً لسمع ذلك. وسرت الى الباخرة عازماً على وضع اللوم على الشاويش اذا تعقبتني الحكومة. وتركت مكاتيب التوصية بيد الميجر وانا احسب سلامتي منه غنيمة. وقد دهش البحارة اذ عدت اليهم حياً وكان قلبي سريع النبض الى ان اقلعت الباخرة

فاسرعت الى غرفتي اهنىء نفسي، ليس بالسلامة، بل بدخولي في عالم اختبارات جديدة جمعتني بمراسلو وكوربتكين وغاريبالدي وواشنطون ويوسف الصديق، ولو سجنت او جلدت اربعين جلدة لزاد ذلك في مسرتي، لانه يعلي في عالم التأليف منزلتي ويزيد ادلة محبتي لانكلترا وضوحاً، اذ يظهر الملأ انني احتمل منها الآلام بالشكر والسرور ولكن الحمد لله لان النعمة لم تكن اعظم مما سلف بيانه

****

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الخامسة عشرة

فكتوريا، بلد الغرائب

في بحر الصين — تجاه كولونغ، في ولاية كنتون — صخرة كبيرة في قلب البحر، عديمة الشكل، طولها ١١ ميلاً وعرضها ٢ ونصف وهي هنغ كنغ — الميناء الامين. — لما اتسع نطاق التجارة الانكليزية في الشرق شعر رجالها باحتيا. جهم الى محطة بين الباسيفيك والهندي، فبعث اللورد نابير سنة ١٨٣٤، اميرال الاسطول الانكليزي في الشرق كتاباً الى لندن يحسّن فيه لنظارة البحرية احتلال هنغ كنغ — ووافقه في ذلك سنة ١٨٣٦ جون رولنصن

وارسل الكبتن اليوت سنة ١٨٣٩ لاحتلالها ورفع العلم الانكليزي عليها

ولما القت حرب الافيون سنة ١٨٤٢ اوزارها واجتمع معتمدو الدولتين الصينية والانكليزية في نانكين لوضع شروط الصلح تقرر تسليم هنغ كنغ للا. نكليز فحار ساسة الصين في الامر « ماذا يريد هوءلاء الاجانب البلداء من هنغ كنغ ؟ صخرة قاحلة موحشة يأوي اليها القرصان واللصوص، فلماذا ألحّ نواب انكلترا بطلبها ؟ ولكن الانكليز استلموها واضافوا اليها سنة ١٨٦٠ قطعة ارض على البر الصيني مقابلها حيث شادوا مدينة كولونغ. واتسع نطاقها سنة ١٨٩٨ فبلغت مساحة الاملاك الانكليزية ٣٥٦ ميلاً مربعاً عدد سكانها اكثر من نصف مليون. — ومحط انظارنا الان :

فكتوريا — التي شادها الانكليز "البلداء" على تلك الصخرة القاحلة (١) بغير اسمها — اذا ذكرت هنغ كنغ فهم السامع انك تعني المدينة على ان المدينة ليست هنغ كنغ بل — فكتوريا — وهنغ كنغ اسم الجزيرة

Digitized by Birzeit University Library

لا احد يستعمل اسم فيكتوريا وقلَّ من يعرفه ، اذ لا يرد الا في الخارطات والكتابات الرسمية . ذكرت ذلك لرجل انكليزي له في الجزيرة ٢١ سنة فدهش قائلاً لست اعرف ان اسمها هكذا وثاني يوم كانت زوجته معي في السراي ، وعلى جدارها خارطة الجزيرة ، فاشرت الى الخارطة واريتها اسم المدينة "فيكتوريا" فضحكت . تسأل الراكب اين كنت ؟ فيقول في هنغ كنغ . او الى اين تقصد ؟ فيجيب الى هنغ كنغ . وهو في الحالين يعني فيكتوريا فهي مدينة بغير اسمها

(٢) بغير اقليمها

فيكتوريا في المنطقة الحارة ولكنها اقل حرًّا من كلكتا ومصر

لقد مرَّ عليَّ حين كتابة هذه السطور سبعة ايام فيها لم ارَ الشمس لاحتجابها بالغيوم ، فسألت اصحاب اللوكندة ألا تشرق شمسكم ؟ فاجابوا كانت مشرقة قبل حضورك وستشرق بعد غيابك . فقلت لهم احسنتم يا مباركون فلا يجتمع شمسان في سماء واحدة ، والظاهر انني انور القمرين

ويقال في فيكتوريا ما قيل في بيرو — انها بلد الربيع الدائم . لا زوابع ولا رياح

(بغير مساحتها)

مساحة اليابسة ٦٠ مليون ميل مربع ، وعدد سكانها ١٦٠٠ مليون نفس على معدل ٢٧ ساكناً في الميل الواحد ، على انهم في بعض اقسامها اقل من ذلك كما في كندا واوستراليا وغيرهما . واكثر اراضي الدنيا سكاناً بلجكا فان مساحتها ١٣٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ستة ملايين ونصف ، على معدل ٥٠٠ نفس في الميل

Digitized by Birzeit University Library

ولكن فكتوريا فيها ٤٠٠ الف في اقل من ٣٠ ميلاً على معدل ١٣٣٠٠ في الميل

(٤) بدون البهائم — قد لا يصدق القارىء ذلك ، ان مدينة فيها ٤٠٠ الف من الاوادم ليس فيهـا بهيمة واحدة . على انني قد راقبتها مدققاً مدة ٢٥ يوماً — وكنت اتجول فيها على الدوام فلم ارَ فيها بهيمة تمشي على الاربع

عربات الركوب فيها نوعان اولاً اركشا وقد مرَّ بك وصفها . ثانياً كراسي الحيزران يحملها الصينيون على اكتافهم ، فان كان راكبها هيفاء فاثنان يكفيان وان كان ضخماً فاربعة . وتسير عربات الكار بقوة الكهرباء . ويجر الشيالون عربات الشحن بدل البهائم ، ويحملون الاشياء الخفيفة في كفتي ميزان معلق على اكتافهم . وعلى كل حال ليس في هنغ كنغ بهائم

(٥) نقودها وبريدها

لا بلد في الدنيا تنحصر بها عملتها وطوابع بريدها الا فكتوريا فلا تقبل نقودها خارجها ولا هي تقبل نقود غيرها . فيلتزم كل من الداخل والخارج عنها ان يصرف نقوده ولذلك كان صيارفة الصين اشهر من قفا نبك . ولهم مهارة غريبة في صرف النقود ومعرفة اسعارها . ومحور نقودها الدولار وهو غير الريال الامريكي وغير ريال سنكابور وغير ريال الصين المكسيكي

كذلك طوابع بريدها لا تستعمل في سواها من ممالك الارض

(٦) ضائعة الجنسية — أصينية هي ام انكليزية ؟

اذا قلت انهـا صينية كذبتني طوابع البريد والنقود والعلَم والصحف والجيش والاسطول ، واذا قلت انها انكليزية كذبتني اربعمئة الف ضمن جدرانها

Digitized by Birzeit University Library

وملابسهم ولغتهم واعلاناتهم المعلقة في السوق من اوله الى اخره . فماذا ندعوها — انها ضائعة الجنسية : انكليزية صينية ، او صينية متأنكلزة ؟ هي فكتوريا في بحر الصين والسلام

(٧) بغير طبعها — قال الفلاسفة : ما بالطبع لا يتغير . ونظم الشاعر ذلك بقوله : حبي لكم طبع بغير تكلف والطبع في الانسان لا يتغير

ولكن فكتوريا خالفت هذه القاعدة اذ غيرت طبائعها

لما اختطها الانكليز تجلت لهم اصابة رأي الصينيين ورأوا انها ليست فقط عديمة النفع بل بالحري عديمة النظير . فكتب حاكمها الى الملكة فكتوريا يقول « فكتوريا اوبأ مدن الامبراطورية »

كانت حاميتها ١٥٠٠ رجل دخل منهم المستشفى ٧٨٠ في تسعة اشهر . ومات ٢٥٧ من فصيلة جنود عددها ٧٠٠ في مدة سنتين . ومرض حاكمها وبرحها الى جوزان ووزيرها الى مكاو وقائدها الى اوربا واسقفها الى منلا ومرض ناظر الحقانية وماتت ابنته واستقال طبيب البلدية وامين صندوقها فعلت الصيحات بوجوب اخلائها وكاد الامر يتم . ولكن الانكليز ثبتوا فيها حتى صيروها اصلح مدن الدنيا اقليماً . فجففوا اراضيها ورصفوا شوارعها ونظفوا مياهها فصارت أصلح مدن الامبراطورية

(٨) مركزها الاقتصادي — لما بلغت ميزانية مصر ١٥ مليون جنيه حسب ذلك من اعظم دواعي الفخر والاعجاب بحكمة اللورد كرومر مصلحها المالي — وسكان مصر ١٣ مليوناً . ولكن ميزانية هنغ كنغ هذه السنة ٢٥ مليوناً وسكانها اقل من نصف مليون

Digitized by Birzeit University Library

واردا تهـا

٥٦٥٢٦٣٧ طناً من انكلترا و ١٦٢١٧٠ طناً من اليابان و ١٤٥٧٧٥٦ طناً من الصين و ٢٣٥٣٤٦ طناً من امريكا و ٢٤١٩٨٣ من فرنسا و٥٤٤٤٠٧ طناً من المانيا و ٢٢١٠٠٠ طناً من النمسا و ٩٠٠٠٠٠ طناً من باقي الدنيا

صفيـر البواخر مستديم فيهـا ليلاً ونهاراً وعلاقاتها التجارية مع البلدان الاتية : الصين اليابان سومطرا جافا سيلان المضائق رانكون كلكتا بمباي عدن مصر لندن ليفربول مماسا دلاكوا رأس الرجاء الصالح سان فرانسسكو وكندا سياتل لوس انجلوس سالينا كروز بناما بيرو فالبارايسو بونس ايرس جزر موريتوس اوستراليا فيليبين هنولولو

(٩) نظافتها

لم امر بمدينة تعدلها نظافة : لا اقذار في شوارعها ولا غبار يكحل العين مع ان فيها ٤٠ الف صيني يعكرون الاوقيانوس ويغبرون اورشليم العليا وذلك لان الانكليز احرص الامم على القوانين الصحية ولان ارضها من الكرانيت وقد غطى النبت اطرافها ولان شوارعها ومجاريها كلهـا مرصوفة ومماطة وليس فيهـا بهائم وحين يريدون البناء يمزجون الاسمنت برمل البحر اذ ليس عندهم تراب

(١٠) ازهارها — لما دخلتها كان يقع نظري اينما توجهت على الازهار في

Digitized by Birzeit University Library

كل مكان — فهي بلد الازهر في الاسواق وفي المحاكم وفي الكنائس وفي المدافن وفي المحفل وفي الاعراس

توءلف بناياتها من اربعة ادوار وهي ضيقة الشوارع لضيق المجال والكل بيت رواق على الشارع فترى احواض الازهار في الرواقات توءلف خطاً على طول الشارع وهكذا في كل دار فكأن المدينة مزنرة بمناطق زهرية ملونة

لقد ثغر خط هندنبرغ اما خط ازاهر فكتوريا فلم يثغر

١١ — في الهواء، عرض الجزيرة ميلان واعلى نقطة في جبلها ١٩٠٠ قدم عن سطح البحر على معدل ٢٠ في المئة وهو اعظم ميل يتصوره العقل. على ان الميل غير قياسي فيبلغ في بعض المواضع ٤٠ او ٥٠ في المئة وفي بعضها شيدت البيوت على ذروة شاهق سفحه حائط قائم الزاوية كأحد المعاقل

في تلك الجدران الشاهقة زج الانكليزي بيته ويدهشك ان ترى كيف نحت درجه في الصخر، فاذا اطللت من احد الرواشن تخال انك في الجو، اذ لا ترى الارض تحتك لفرط العمق، وقد بسقت اشجارها عمودية على الجانبين فاشتبكت غصونها وفصلت بين الارض والسماء تسير تحت ظلالها فتحجب عنك نور الشمس وتسمع خرير المياه على المجاري المملطة بالخراسانة لا انت تراها ولا هي تراك

وقد جهزت تلك البيوت بكل معدات الراحة والسرور كالاقنية والاسلاك والحمامات والموسيقى حولها الجنائن وساحات اللعب والبرك. وامامها الحمال الصيني بكرسيه مستعد للخدمة بابخس الاجور ترى سيدة البيت جالسة في كرسيها على اكتاف الشيالين تقرأ الصحيفة وهي صاعدة الى قنة الجبل، او

Digitized by Birzeit University Library

تسرح طرفها في ما حولها من الرياض فكأنها ملكة على عرشها — ويوجد خط كار معلق تصعد به العربات كأنها الخيول المطهمة على ارجلها الخلفية تجره الى الاعلى زناجير تدور على دولاب ضخم في قمة الجبل

واجمل مناظر فكتوريا ليلاً ، تراها ثلاث مناطق نورانية : الاولى البحر حيث يعيش ستون الفاً من الصينيين في القوارب ، الثانية المدينة على اشط ، الثالثه القسم الجبلي تخاله في السماء وانواره هي النجوم . هكذا كان يظهر لي في حدق الظلام

(١٢) النفقات ، اختلافها العظيم

وصلتها جائعاً فسألت شيالاً صينياً عن مطعم فارشدني الى فندق هنغ كنغ الشهير فرفضت الدخول اليه خوفاً من فرط النفقة ، وسألت عن غيره فلم اجد فذهبت الى البوليس وسألته ارشادي الى مطعم فدعا صينياً ليأخذني وانا لا اعلم الى اين وقال سر معه الى المطعم . فركبت الركشا والصيني يجرها واخيراً وقف وقال ها هي اللوكندة . ولما وقفت امام الباب اذا هو فندق هنغ كنغ بعينه ، فغضبت وصرفت الشيال وملت الى جانب الشارع فرأيت رجلاً انكليزياً عاقلاً فسأله بلطف الا يوجد عندكم مطعم في غير هنغ كنغ هوتال ؟ اجاب بلى وهذاك مطعم . فتوجهت اليه مسروراً ولما دخلته فهمت اني دخلت نفس الفندق الذي هربت منه — ولكن من باب اخر وشارع اخر فماذا اصنع ؟ أأموت جوعاً ام افدي روحي بالمال ؟ الظاهر ان ليس في فكتوريا غير هذا المطعم

ولما وصلت غرفة الطعام استقبلني حاجبها بالاداب المعروفة وحفظ لي الصاكت فدخلت القاعة واذا فيها اطيار واقمار وازهار وانوار فانزويت خجلاً

Digitized by Birzeit University Library

وامتعت وجلاً واخترت ابسط انواع الطعام عملاً بقوانين الاقتصاد فلم تكن النفقة اكثر من ثلاثة ريالات

وثاني الايام اهتديت الى مطعم نظيف لرجل ياباني يعد مآكل اوربية فطلبت نفس الطعام فكان ثمنه عنده ٣٥ سنتاً او ثلث ريال فتأمل

١٣ معارفها — في كل امبراطورية تركيا لم يكن من الكليات الا ما كانت تضطهده الحكومة من معاهد الاجانب. وهذه فكتوريا وهي مدينة متوسطة فيها الكليات الاتية :

١ً — كلية ماري يوسف، ٢ً — كلية ماري اسطفان، ٣ً — كلية الملكة ٤ً — كلية ماري بولس، وفيها جامعة عينت الحكومة الانكليزية رئيسها زعيما للجنة الانكليزية في سيبيريا سنة ١٩١٩

١٤ صرف النقود — كنت مرة اسأل عن قاعة الانجيل فاجابني المسؤول انا مثلك غريب اتيت البارحة من سان فرنسيسكو وسألني ان ارشده الى مطعم فقلت له احذر ذلك البناء واذهب حيث شئت — مشيراً الى هنغ كنغ هوتال حيث بليت بالخسران

وعطفت على ادارة كوك واذا برجل من سومطرا قاصد كلكتا وقابلت عند الصراف سيدة انكليزية قادمة من رانكون وذاهبة الى امريكا واخر قادم من بمباي وذاهب الى الفيليبين وهلم جرا

اذا اردت « خميس البيض » بالنقود والاجناس فالزم المصرف الصيني بجانب دار البلدية ترَ الاقوام بين قادم وعازم يغيرون نقودهم

القادم من سايكون نقوده فرنسوية والقادم من اوستراليا نقوده انكليزية

Digitized by Birzeit University Library

والقادم من سومطرا هولندية ومن منيلا مكسيكية ومن ناغازاكي يابانية
وهكذا الاميركية والالمانية وغيرهما من كل الارض

فحقاً ان فيكتوريا بلد العجائب

وادي السعادة — عرفت رجلاً انكليزياً اسمه بالمر مستخدم في شركة السكر يسكن في وادي السعادة وكان مع قرينته من زعماء آل الصلاح لم الق كمثام بالمر في الارض تقية نقية خفيفة الروح

كانت تمشي امامي على قدميها والعرق يتصبب من جسمها — الى الحاكم العام الى القنصل الاميركي الى الشركات اليابانية وبذلت كل جهدها في سفري والحت عليَّ مع زوجها ان اضيفهما فاجبتهما الى ذلك مرة وكانا يزوراني ان ازورهما على الدوام وقالا ان "بيتنا للصادي والغادي، للبرية والبحرية، للابيض والاصفر فلماذا لا تشرفنا كل يوم؟" وكانت صحف الجزيرة مشغولة بامر كارثة وادي السعادة حيث احترق الملعب وهلك فيه اكثر من ٦٠٠ نفس وهي من اشأم حوادث وادي السعادة

في هنغ كنغ اختبرت كثيراً من شؤون الصينيين واليابانيين والانكليز

المقالة السادسة عشرة

الصين

الصين عالم على حدة في حياته القومية واحوال بلاده الطبيعية. وهو شعب معتزل عن العالم كأنه في جزيرة، لا ظافر اثر في حياة الصين الداخلية

١ — اللغة الصينية. لا تجمعها بغيرها من لغات الارض لحمة نسب ولا

Digitized by Birzeit University Library



مان يط صن ، رئيس الصين

صلة اشتقاق . ليس لها حروف هجائية ولا قواعد نحوية ، كل كلمة منها رسم على حدة ، هو حرف وكلمة بوقت واحد كأرقام الحساب . عدد كلماتها خمسون الفاً يتعلم الولد منهـا ٤٠٠٠ في ١٢ سنة ، والعالم ١٥٠٠٠ بمدة ٢٥ سنة ولا يعلم باقيها الا القاموس وعلام الغيوم

يكتب اجزاء الكلمة الواحدة مبتدئاً من اليسار وترتب كلمات السطر من فوق الى اسفل والسطور في الصفحة من اليمين الى اليسار

٢ — تاريخها . لا ثقة بمرويات الصين التاريخية . على انه لا ريب في قدمية

Digitized by Birzeit University Library

التمدن الصيني . لقد كانوا قبل الرومان واليونان والعبرانيين ، وكانوا يلبسون الحرائر ويسكنون القصور يوم كان الاوربيون يأوون الى الكهوف، ويستترون بالقصب

عن الصين اخذت اوربا كثيراً من الاختراعات كالطباعة والبارود والخارصيني والحرير . دخلها الدين المسيحي في القرن الرابع وفي بعض اقسامها كنائس يدعى اصحابها رسوليتها

اول سفير انكليزي الى الصين اللرد مكارثي سنة ١٧٩٥ فاللورد امهرست سنة ١٨١٦

٣- سورها . بنوه حاجزاً بينهم وبين الاتار وهو يمتد على الحدود الشمالية من الشرق الى الغرب ويحسب من عجائب الدنيا السبع ومن اهم واغرب ما في تاريخ الصين الحكيم

٤ – كنفوشيو . ولد سنة ٥٥٠ ق م ومات سنة ٤٧٩

نشأ فقيراً لكنه نشر فلسفته في كل البلاد ، فتقاطر اليه الطلبة من كل الانحاء والتفوا حوله كعنقود الثريا ووعوا تعاليمه في قلوبهم وقدسوه وآله واعلوا امرته الى اعلى مراتب الشرف

ولم يدّعِ كنفوشيو الابداع بل الرجوع الى تعليم السلف . قال « لم ازد عليه ولا حذفت منه . هو كالسماء الذي هبط منها »

٥ – فلسفته . تجمعها كلمة واحدة وهي : « الامة هي الكل » فقيمة المرء تنحصر في منزلته الاجتماعية . واليك خلاصة فلسفة كنفوشو

١ . للكون اصلان مذكر وهو السماء تيان ، ومونث وهو الارض تي .

Digitized by Birzeit University Library

وكلاهما ضروري للانتاج. لكن الذكر هو الفاعل .— فولدا العالم ، وارقى ما في العالم الانسان . فهو ابن السماء

٢ . في الانسان عنصران سموي وهو الذهن ، وارضي وهو الجسم . ورث الاول، عن الاب والثاني عن الام . قال شوكن « السماء والارض والدا كل الاشياء » وبما ان الانسان جامع طبيعة الوالدين — السماء والارض — فهو اقدر المخلوقات على معرفة والديه

٦ — ديانة كنفوشيو . الانسان نقطة موازنة الكائنات وعلى افعاله يتوقف مصيرها ، فاذا فعل الصواب والحق ثبتت الموازنة ، وساد الامن في البلاد واذا اساء اختلت الموازنة وخيم التشويش والفساد فحلت المجاعات والزلازل والمصائب لرد الموازنة

سئل كنفوشو مرة : أنصلي ؟ اجاب : « أو مثلي يصلي ؟ »

٧ — فلسفة كنفوشو الادبية — الانسان صالح بالطبع ، يكره كل انواع الفساد . فاذا حاد عن الصواب فهو يحتاج الى الارشاد والتعليم . وهو حر الارادة قبل الخطأ وبعده ، فيؤثر الخير لذاته ، على انه قابل الخطأ ولكن العلم يحرره

٨ — فلسفته المدنية — لما كان للافعال تبعة لازمة وجب على الحكومة ملاحظة الاداب حذراً من اختلال التوازن فتعاقب على الشر وتثيب على الخير ، والخير الاعظم هو النفع العام — ولما كان التعليم مصباح الهدى وجب ان يكون الحكام متعلمين ليتمكنوا من قياد الامة الى الصواب لذلك كانت الوظائف في الحكومة الصينية متوقفة على الامتحانات المدرسية

ولما كان الامبراطور نقطة التوازن « فهو ابن السماء » وان شرائع السماء

Digitized by Birzeit University Library

يتحتم على الانسان — حتى الامبراطور — رعايتها وادراك النواميس التي يحملها كل انسان في دماغه ولذلك قدسوا الرأي العام « السنة الخالق وإلام الحق » وغرض الحكومة المصالح العمومية . وللحكومة تدخل في كل فروع الحياة الاجتماعية — فلا محل للبدعة

٩ — الصين في القرن التاسع عشر

بدأت علاقات الصين الاوربية بمعاهدة نانكين سنة ١٨٤٢ وتلتها معاهدات عديدة منها معاهدة شنغهاي سنة ١٨٧٥ وبها تعهدت بحماية النصرانية واتباعها واستخدمت الاميرال لانغ الانكليزي لقيادة اسطولها فحصل خلاف بينه وبين الاميرال الصيني ادى الى انسحاب لانغ فضعف الاسطول الصيني وسقط امام الاسطول الياباني في حرب سنة ١٨٩٤ ودخل الجيش الياباني البلاد وارغم الصين على ابرام معاهدة جوزان وبها اطلقت يد اليابان في كوريا وتخلت لها عن بورت ارثر وشبه جزيرة ليا وتنغ ودفع ٣٠ مليون جنيه غرامة حرب

١٠ — سياسة اوربا — وقامت روسيا وفرنسا والمانيا بسياسة مشتركة في الشرق الاقصى خالفتهن بها انكلترا فقدمن لائحة الى اليابان يطلبن بها خروجها من بورت ارثر « حرصاً على سلامة الصين » فخرجت منها وفي نفسها مرارة . على اثر ذلك تقدمت الدول الى الصين طلبة المكافأة فنالت روسيا امتياز سكة حديد سيبريا وبعده احتلت بورت ارثر واحتلت المانيا سنغ طاو . فلما رأى علماء الصين ضعفهم امام اوربا تحققوا لزوم الاصلاح فحملوا الامبراطور على اصدار المناشير الاصلاحية ومما جاء فيها :

١ - استخدام مستشارين اوربيين ٢ - واساتذة حربيين لتدريب الجيش

Digitized by Birzeit University Library

٣ـ تغيير لائحة الانتخابات السنوية ٤ـ لزوم فحص الامراء ٥ـ تحويل بعض الاديار الى مدارس فساء ذلك الامراء لمساسه بامتيازاتهم والجنود لوضعهم تحت سيطرة الاجانب والرهبان خوفاً على خبزهم فالتف هؤلاء حول الامبراطورة داوجار وصهرها البرنس توان القائد العام فألف هؤلاء

١١ ـ الحزب الرجعي

فصدر امر الامبراطور باقصائها الى الداخلية ولكنه قبل بزوغ نور الصباح كان اسيراً في صرحها ثم جعل يصدّر مناشير ضد الاولى فاودع المصلحون غياهب السجون وظهرت في تلك الاونة

جمعية البكسرس

وهي ضد الاصلاح والاجانب شعارها « صيانة الاسرة الامبراطورية وطرد الاجانب » بدأ زعماءوها عملهم بقتل المرسل الانكليزي بروك ثم وسعوا نطاق فظائعهم ذبحاً وتدميراً في الكنائس والمدارس والمستشفيات وقطعوا المواصلات بين باكين والساحل واغتالوا فون كتلر سفير المانيا في ٢٠ حزيران وحصروا الاجانب في دار السفارة الانكليزية وكانوا يهاجمونهم على التوالي بدون نجاح. وكان بعض الصينيين الموالين للحلفاء يمدونهم بالزاد واشتركت الجنود الصينية المنظمة مع البكسرس في كل هذه الفظائع

١٢ ـ الحملة المشتركة

فقامت اوربا وامريكا معاً بحملة مشتركة لانقاذ السفراء واسرع الانكليز في انفاذ ذلك وحملوا اليابان على الدخول مع الحلفاء في العمل فضربوا حصن فو في ١٦ تموز واحتلوه في ١٧ منه وواصلوا الزحف على تيانتسين واحتلوها في

Digitized by Birzeit University Library

٦ آب بعد معركة حامية، وبلغوا باكين في ١٣ منه ودخلوها في ١٤ منه الساعة الثانية ونصف صباحاً

فهربت الامبراطورة وحزبها من المدينة التاتارية — القسم الشمالي في مدينة باكين — في ليل ١٥ آب ولم يتوفق الحلفاء لادراكهم. فاكتفوا بعقد هدنة مع الوزير في ١٢ك٢ سنة ١٩٠١ بلزوم التعويض على الاجانب وتأديب الثائرين وحماية المتنصرين

تلا هذه الحوادث امران في الشرق الاقصى وهما: اولاً سقوط روسيا، وثانياً سقوط الامبراطورية

سقوط روسيا

في اثناء ثورة البكسرس اجتاز الجيش الروسي حدود منشوريا بداعي المحافظة على البلاد والسكة الحديدية، وبعد الازمة وانسحاب الجنود الاجنبية ظل الجيش الروسي في الصين بالرغم من احتجاج يابان. وعقدت روسيا مع الصين عهدة سنة ١٩١٢ تمس مصالح الدول الاخرى في منشوريا وتخطت حدود كوريا، فهدد ذلك دولة يابان وهذا سبب نشوب الحرب الروسية اليابانية وسيأتي بيانها في تاريخ اليابان.

١٤ — الاسرة الامبراطورية

سنة ١٩١١ فاز حزب الاصلاح باسقاط الامبراطور وتشكيل جمهورية مركزها باكين ورئيسها يوان شي كاي، وما زالت الى اليوم جمهورية. ونشبت فيها حرب اهلية ١٩١٧ بين ولايات الشمال والجنوب سيأتي بيانها

Digitized by Birzeit University Library

١٥ — الصينيون . نحيفو البنية صفر الالوان نشيطون مقتدرون في التجارة ، راقبتهم في بينانغ وسنكابور وهنغ كنغ وشنغهاي وغيرها فرأيتهم في كلها نشيطين

اكتب هذه السطور في نزل صيني وحولي جماعات منهم فلم ارَ فيهم نفرة مني كأجنبي ولا دليلاً على عدم اهليتهم ، تجار السوق لا تفوتهم شاردة ولا واردة . — في رانكون وفيليبين كل التجارة بايديهم ولا ندَّ لهم في ميدانهم

لا يعتمد الصيني في عمل الحسابات على عقله بل على آلة ذات البكرات تراها امامه واصابعه عليها . هي صفة اختص بها الصينيون في كل الارض

ثلاثة لا توجد في الصين : الخبز ، الاله ، الشوارب

الاله — لا كلمة « اله » في قاموس الصيني على الاطلاق

الشوارب — يندر ان تبرز في وجه صيني

ولا يستعملون في الاكل الملاعق ولا الشوك بل عودين كالمنط يحملون بهما قطع اللحم والخضر ويجرفون بها الارز جرفاً ويحسون المرق حسواً

اكثر مأكولاتهم لحوم الخنازير والاسماك المسلوقة

ويشربون الافيون فتكثر فيهم الامراض العصبية ، ويعددون الزوجات ما شاءوا . لباسهم غريب : الرجال والنساء سيان ، بنطلون وقميص فوقه له صدر كالجاكت ويمتاز رجالهم بلبس قبعة على الرأس والنساء يلبسن شيئاً على رؤوسهن وبعض الرجال يلبسون رداء كالقفطان فوق البنطلون وهو كجلابية المصري الا انه اللطف واكثر هندماً

ويكثرون جداً من الاعلانات وعلى الغالب يكتبونها على الواح خشب

Digitized by Birzeit University Library

طويلة يعلقونها تعليقاً – وبما ان كتاباتهم تقرأ سطورها من اعلى الى اسفل فتشير الاعلانات على هذه الصورة غاية في الموافقة ، فاذا دخلت السوق رأيت الاعلانات متدلدلة من اول السوق الى اخره - يستعملون في مطبوعاتهم الورق الهندي الرقيق ويطبعون الهامش ولا يهملون محو كلمة واحدة في الورق

والصينيون اكثر الناس ركوباً في الدرجات الواطئة في القطار والبواخر وعربات الكهرباء

١٦ – المرأة الصينية

رأيت فيها اقبح الاشياء واجملها

اقبحها - صورتها وقدمها المرصوصة بالقالب الحديدي

واجملها – البساطة والهمة يعملن كالرجال تماماً

لما وصلت باخرتنا جنصن مارو الى هنغ كنغ اتفقنا ، ونحن ١٢ راكباً ، مع قارب على نقلنا الى البر . فحضر القارب ولم انتبه الى من يجذف به . وبعد نقل الطرود نزلت اليه مع من نزل ، وانا اظن ان حامل المجذف رجل لانه لابس بنطلون ، ولم ارفع نظري في وجهه . على انه حانت مني التفاتة لما غمز الباخرة برأس المجذف فسار القارب يشق عباب اليم فنظرت الى المجذف فاذا هو امرأة . هي اول مرة رأيت المرأة تعمل عمل الرجال الشاق

ولما برحتها في ٢٩ نيسان كان المطر ينهال غزيراً والباخرة بعيدة عن البر جداً فوقفت امرأة – قاربية – واتفقت معي على نقلي الى الباخرة ، ومعها ولد لا يزيد عمره على السابعة فحملت صندوقي وحقيبتي ثيابي فتبعتها تحت بلة المطر الى مؤخر القارب وقعدت تحت القلوع كطير الدجاج وهي كالجبار والمجذاف

Digitized by Birzeit University Library

بيدها وهي تصرخ ولدها صرخات الاطال لانه لم يحسن مسك الدفة ولما بلغنا الباخرة سبقتها الى الظهر لادعو من ينزل الى القارب لنقل امتعتي فاذا هي ورائي وعلى ظهرها حمل يعجز كثيرون من الرجال عن حمله فادهشني ذلك منها

وفي حديث النفس ينفع ت. تتمة الافادة في احوال الصينيين



امرأة صينية وطفلها

Digitized by Birzeit University Library

المقالة السابعة عشرة

حديث القس ينغ ت.. بارك

زرت هذا الفاضل في هنغ كنغ ، وهو شيخ يناهز الستين ، رفيق الجسم اجرد منخفض الصوت متأن قليل المزاح كثير المجاملة ضعيف الانكليزية عاش في اميركا ١٣ سنة ، وهو قسيس في هنغ كنغ ٢٢ سنة ، يماثل بيته بيوت الاوربيين الا في امر زوجتا فاني لم ارها ولا اعلم سبب ذلك واليك حديثه :

خباز – أيمكنك ان تذكر لي كتاباً انكليزياً في حياة بوذا ؟

بارك – ومن هو هذا بوذا ؟

فأدهشني ذلك منه ِكنت ازعم ان بوذا عندهم كيسوع المسيح عند النصارى

خباز – بوذا ، المشترع العظيم !

بارك – لست افهم ما تقول

خ – بوذا اله الصينيين !

ب – ليس للصينيين اله

خ – لربما تسمونه كوناما بوذا او بودا

ب – لا هذا ولا ذاك

خ – فمن هو مشترع الصين العظيم ؟

ب – كنفوشو

خ – وبوذا ؟

Digitized by Birzeit University Library

ب ـ لا نعرفه

خ ـ ألعلك ولدت مسيحياً ؟

ب ـ بل تنصرت راشداً

خ ـ وماذا كان دينك قبلاً ؟

ب ـ كنت كنفوشياً

خ ـ كنفوشياً ؟ وهل الكنفوشية ديانة ؟

ب ـ بل هي ديانة اكثر الصينيين

واذ توقفت عن الكلام مدياً مظاهر اليأس نهض الى المكتبة واتى بقاموس انكليزي صيني وقال ارني الاسم الذي تسأل عنه فبادرت الى حرف "ب" وفتحت بوذا والبوذية وقلت هذا هو الذي سألتك عنه. فصاح : هاهاه! الان فهمت ، أعن هذا تسأل ؟

خ ـ نعم

ب ـ ليس هذا الهنا

خ ـ كيف لا ويابان وبورما تعبدانه ؟

ب ـ بورما ويابان ربما اما الصين فلا

خ ـ اوليس له من اتباع بينكم ؟

ب ـ لا يزيدون على خمسة في المئة

خ ـ لقد كنت ظن ان كل صيني بوذي

ب ـ كلاً البتة

خ ـ فما هي ديانة الصيني ؟

Digitized by Birzeit University Library

ب ـ الكنفوشية

خ ـ وما هي خلاصتها ؟

ب ـ اداب اجتماعية

خ ـ والاخرة والميعاد ؟

ب ـ لا قول لكنفوشو فيهما

خ ـ ألا يضطهد الصينيون من ليس على دينهم ؟

ب ـ كلا

خ ـ ماذا تعرف عن البكسرس ؟

ب ـ جمعية وطنية ضد الاجانب والنصرانية

خ ـ الان قلت ان ليس عند الصينيين اضطهاد

ب ـ قلت وقول وذلك في الاديان القديمة المعروفة عندهم وليس في النصرانية الحديثة العهد بينهم ، علاوة على ذلك الباعث في ثورة البكسرس سياسي لا ديني

خ ـ وما هو شعور الصينيين نحو الاجانب اليوم ؟

ب ـ ودي محض

خ ـ وما رأيك في مستقبل الصينيين ، أينتصرون ؟

ب ـ لست ادري ولكنهم يزدادون اقبالاً على النصرانية . قال ذلك ونهض الى مكتبته وجاء بمجلدين كبيرين باللغة الصينية وقال امسك قلمك واكتب الارقام التالية . فجعلت اتبعه وهو يقرأ ما يأتي :

لقد كان عدد المسيحيين سنة ١٨٧٥، ١٥٠٠٠ عضو في الكنيسة فصاروا سنة

Digitized by Birzeit University Library

١٨٨٩، ٤٠٠٠٠ وسنة ١٩٠٠، ١٥٠٠٠٠ وسنة ١٩١٠، ٢٧٠٠٠٠ وسنة ١٩١٨، ٤٠٠٠٠٠

خ — أيشمل ذلك كل النفوس ؟

ب — كلاً بل البالغين المنضمين الى عضوية الكنيسة

خ — ومن كل الطوائف ؟

ب — كلاً بل البروتستانت وحدهم

خ — فاذاً في الصين ملايين من المسيحيين

ب — هكذا اظن

خ — وكيف احوال الصين الحاضرة ؟

ب — ردية جدا بسبب الحرب الاهلية

خ — وما هي ولايات الصين الجنوبية المحاربة

ب — كوانتونغ . كوان سي . وان نام . سي شوان . يونان

خ — ما هو مركز الحزب ؟

ب — كنتون حاضرة كوانتونغ

خ — من هو زعيمهم ؟

ب — صديقك سان يط صن

خ — احسنت بذكره اصحيح انه مسيحي ؟

ب — كان مسيحياً ومن كنيستي اما اليوم فقد. اهمل الدين واكثر الزوجات

خ — أيعدد الصينيون زوجاتهم ؟

ب — كثيراً جدا . الى نصف دزينة او أكثر

Digitized by Birzeit University Library

خ ـ وماذا تعملون بمن تنصر منهم ؟

هنا اطال الكلام جداً وقص عليّ قصة سيأتي شرحها في المقالة التالية

خ ـ وكيف الكنيسة الانجيلية ؟

ب ـ حسنة اولا الحرب

خ ـ وما هي علاقة كنيستك بالحرب ؟

ب ـ علاقة اضرار وخسارة

خ ـ ومن اضرّ بها ؟ وكيف ؟

ب ـ العسكر اضروا بها نهباً وحرقاً

خ ـ العسكر يفعلون كذلك ؟

ب ـ نعم وقد خسروني كثيراً وهم شر اقوامنا

خ ـ والمتنصرون ؟

ب ... بصيبهم من ضررهم ما اصابني

خ ـ أفلا يمسون الاجانب بضرر ؟

ب ـ كلاً

خ ـ واي الحزبين صاحب الحق ؟

ب ـ الجنوبي بدون ادنى ريب

خ ـ وهل شنفهاي معكم ؟

ب ـ يعرف اهلها حقنا لكنهم رسمياً محايدون

خ ـ ومع ن دول اوربا ؟

ب ـ على الحياد التام

Digitized by Birzeit University Library

خ – ومن يخاطبون كدولة ؟

ب – الشمال لانها اقوى ، وربما لو فاز الجنوب لاعترفوا به

خ – ما رأيك في المرأة الصينية ؟

ب – على ما تراها : عديمة الحرية ، تلازم البيت . فالغنية سجينة الخباء ، والفقيرة اسيرة العناء

خ – وكيف حالها في هنغ كنغ ؟

ب – افضل مما هي في الداخلية

خ – وما هي رسوم الزواج عندكم ؟

ب – يتم عن يد الوالدين مع وسيط

خ – أوليس للكهنة دخل في الامر ؟

ب – كلا . ولا طقس ديني سوى تمثول امام تماثيل السلف

خ – وكيف تكتبون لغتكم ؟

ب – على هذه الصورة (كما مرّ وصفها)

خ – وماذا تعملون بالكلمات الجغرافية ؟

ب – هذه اصعب المسائل فاولاً ان لغة الصين تختلف في ولاية عنها في غيرها . ثانياً نركب الكلمات الجديدة من اصول عتيقة . مثلاً : تدعو الولايات المتحدة « دولة النجوم » وجبل الشيخ نركبه من اضافة جبل الى شيخ وقس عليها

خ – وما هو اخر احصاء لدولة الصين ؟

ب – اليك هو :

Digitized by Birzeit University Library

	اسم الولاية	مساحتها ميل مربع	عدد سكانها
١	شاكيان	٣٦٦٧٠	١١٠٨١٠٠٠
٢	شيلي	١١٥٨٠٠	٣٢٩٣٧٠٠٠
٣	فوكيان	٤٦٣٤٠	٢٢٨٧٦٠٠٠
٤	هونان	٦٧٩٤٠	٢٢١٧٠٠٠٠
٥	هاونان	٨٣٣٨٠	٣٠٣١٧٠٠٠
٦	هوبي	١٧٤١٠	٣٠٢٨١٠٠٠
٧	كيانغ سي	٦٩٤٨٠	٢٥٠٣٢٠٠٠
٨	كشو	١٢٠٤٥٠	١٠٣٨٥٠٠٠
٩	كيانغ سو	٣٨ ٠٠	١٣٩٨٠٠٠٠
١٠	هينان مع كولنغ طغ	٩٠٩٧٠	٣١٨٦٥٠٠٠
١١	كواي شو	٦٠٧١٦٠	٠٧٦٥٠٠٠٠
١٢	انغهوي	٠٤٨١٠	٢٣٦٧٠٠٠٠
١٣	شانسي	٨١٨٣٠	١٢٢٠٠٠٠٠
١٤	شنسي	٧٠٢٧٠	٠٨٢٤٨٠٠٠
١٥	شانطنغ	٠٠٩٧٠	٣٨٢٤٨٠٠٠
١٦	شزي شوين	٢١٨١٨٠	٦٨٧٢٥٠٠٠
١٧	كوانسكي	٠٠٠٨٠	٠١٠٠٠٠٠٠
١٨	يونان	١٤٦٦٨٠	١٢٣٢٥٠٠٠

Digitized by Birzeit University Library

	الولايات المستقلة		
١	منشوريا	٣٦٣٦١٠	٣٨٥٩٠٠٠
٢	منغوليا	١٣٦٧٦٠٠	٨٥٠٠٠٠٠
٣	تركستان الصينية	٥٥٠٣٤٠	١٢٠٠٠٠٠
٤	تيبت	٤٦٣٢٠٠	٦٤٣٠٠٠٠
	المجموع		٤٠٣٦٠٠٠٠٠

ولكن حسب تقرير سفير الصين في الولايات المتحدة سنة ١٩١٨ لا يزيد عن ٣٩٣ مليوناً منهم ٣٠٩ ملايين فقط في الولايات الاصلية الثماني عشرة وبذلك يكون سكان الهند اكثر عدداً من سكان الصين

المقالة الثامنة عشرة

قصة سو الحزينة

قصها عليّ الاسقف ينغ ت. بارك — وهي تصور لنا حالة من حالات الصين المسيحية. قال:

تزوّج صينيٌ اسمه «سوان» من آل اليسار بصبية حسناء فلم يرزق منها مولوداً ولما كان غنياً وليس عنده ما يحول دون تعدادهن مد يده الى صبية اسمها «سو» وهي آنسة حلوة الشمائل يبسم لها الدهر لانها ابتسامة كل من رآها: لينة العريكة سريعة الخاطر وضاءة الجبين وطفاء صافية السريرة كنهر الحياة الصادر من تحت العرش

الى هذه الصبية مدّ سوان يده قصد استيلادها — فقالت له بكل لطف

Digitized by Birzeit University Library

وحرية انه متزوج وتخشى انقلابه عليها فيعكر صافي حياتها. فأكد لها انها ستكون معبوده الاوحد وكل آلهة بيته خدمها وانه سيقف ماله وقلبه وحياته على حبها وخدمتها واسعادها فلم ترَ ما يحول دون قبول يده وصارت له زوجة وحلت قلبه قبل بيته وانارت اعماق حياته

وفي تمام الحول ولدت له ولداً ذكراً جميلاً فزاد حباً لها وشغفاً بها وشوقاً اليها وعطفاً عليها وعزم على قضاء الحياة معها ولم يعلم ما خبأته لها الاقدار

وفي ذات ليلة حضر اجتماع المسيحيين وسمع وعظة قسيسهم فسرّه نظام المعبد وآدابه واخلاق خدامه وعلى الخصوص الوعظ الذي كان يتدفق من فم الواعظ تدفق الجمال من محيا سو المحبوبة

فمال قلبه الى الديانة المسيحية ميله الى سو لان قلبه كان مطيعاً على حب «الجمال» ولم يدر انه بذلك قضى على الحبيبة سو

خرج من الكنيسة اسير المسيحية وقرأ كتابها فزاد بها هياماً. فواظب على حضور اجتماعاتها وانس من نفسه ميلاً للدخول في عضويتها. فعرض امره على القسيس وكان ينتظر القبول بالرضى والسرور ولكن القسيس نظر اليه بحزن عميق يشف عن يأس وقال له: أمستعد ان تدفع النفقة؟ اجاب سوان بكل تأكيد يا سيدي. فقال القسيس: ولكن اكثر مما تظن وقد تكلفك غير المال. اجاب سوان انني مستعد لبذل كل شيء الا الحبيبة سو. فقال له القسيس انما هي وحدها الضحية فان رب الكنيسة لا يقبلك ما لم تتركها. فانتفض سوان كعصفور بلله القطر وصاح: ماذا؟ أيطلب ربك مني ان اضحي بسو؟ اجاب القسيس «نعم»

Digitized by Birzeit University Library

قال كيف ذلك وهو امر بالمحبة ؟ قال القسيس ولكنك تزوجت قبلها ولا يقبل في كنيسة الرب معددو الزوجات . قال سوان اذا كان ذلك كذلك فانني اترك لاولى وابقي على هذه فانها ام العزيز كاي

قال القسيس « من احب امرأة او اولاداً اكثر مني فلا يستحقني »

فعض سوان على اصبعه فكاد يدميها وجعل يخاطب نفسه هكذا « آه ويلاه ! ماذا اعمل أأترك سو ؟ وكاي ؟ لا لا لن يكون ذلك . ولكن الكنيسة وربها ؟ أفليس رب الكنيسة هو العريس فكيف يأمر بهجر العروس ؟ ولماذا ، ايفضل حقوق الفرد على الزوج – سو وابنها ؟ »

واخيراً الحّ على القسيس بالانضمام الى عضوية الكنيسة فاكد له هذا انه لا يمكنه ذلك ما لم يترك سو

مرّت الشهور وهو في حرب داخلية شديدة – بين الامانة والحب – واخيراً ولدت زوجته الاولى ذكراً فظنّ ان ذلك عمل الهي غايته تحويل قلبه نحوها فذهب الى سو زوجته الجديدة المحبوبة وعلامات اليأس على محياه فقالت له سو بلهفة « ما لك حزيناً ، ماذا دهاك ؟ »

فابان لها انه سيرغم على تركها

قالت ولماذا ؟ قال لانني اروم الانضمام الى كنيسة المسيح

قالت سو : وما علاقة ذلك بي ؟ قال لانه لا يرضى بتعدادهنّ

قالت سو : اوصالح المسيح ؟ قال بل معدن كل صلاح

قالت اذا كان كما تقول فلا يرضى بفصل القلوب المتحابة وسأذهب واكلمه .

فقال لها سو ان لا سبيل لك الى الوصول اليه « لانه قد ارتفع عن الخطاة

Digitized by Birzeit University Library

وصار اعلى من السماوات » . قالت فكيف المغك ارادته ؟ قال بواسطة خدامه القسوس . قالت انهم كاذبون ويقولون على الله مـا لا يعلمون وان ربهم لا يأمر بما يغاير سنة المحبة . فتلا عليها سوان الايات « من احب ابناً او زوجة اكثر مني لا يستحقني الخ . . »

قالت سو فندخل الكنيسة معاً . قال اخوين لا زوجين

فدخلت الى المطبخ واتت بسكين حادة وقالت خذ هـذه واذبح اولا ولدك كاي ثم حبيبتك سو وبعدها تدخل الكنيسة

قالت ذلك وهي تجهل انها نبية

فبكى سوان وبكت وباتا تلك الليلة

وفي الصباح قابل انقسيس وعرض عليه اقتراح سو « ان تدخل الكنيسة صحبته » فاجابه انقسيس بنفس جوابه لها ــ اخوين لا زوجين ــ وكان سوان سخياً جدا دفع مرة اربعة الاف ريال لبناء كنيسة ومرة اربعمئة ريال للمدرسة فلم يكن له نظير في الكرم والغيرة

وفي اثناء ذلك مات كاي ابن الزوجة الثانية سو فرأى سوان انهـا عناية الهية تروم فصله عنهـا

فأتى اليها وعرض عليها ان تدخل مدرسة عالية وهو ينفق عليهـا فابت ذلك . ثم رجاها ان تتعلم التمريض وبعد خروجها تشتغل على نفقته فابت وقال

Digitized by Birzeit University Library

لها بعد المدرسة اذا هي فتحت مدرسة يقوم هو بكل نفقاتها فأبت ايضاً فعرض عليها ان تتزوج شاباً اجمل منه وافضل ووعدها انه هو يدفع الصداق عنها فأبت

فانكسر قلب سوان الحزينة وعاتبته كثيراً وذكرته بما كان منها في بدء الحياة الزوجية فلم يجدها ذلك نفعاً. بل كان يقول لها اتركي البيت لقد اخذت خلاك. فرات سوان زوجها والله والكنيسة كلهم عليها

واخيراً ترجت سوان تبيت ليلة تحت قدميه وفي الصباح ينال وطره بالدخول في عضوية الكنيسة لانها لن تعترض مشيئته بعدها. فرضي بذلك ونامت عند قدميه. وفي الصباح نهض مذعوراً اذ رآها معلقة وميتة فانها علقت نفسها ليأسها منه

قال القس ينغ ت. بارك: «ولهذه القصة نظائر في الصين وهو سبب تعديل اراتنا في امر نسوة المتنصرين»

المقالة التاسعة عشرة

على قمة هنغ كنغ

الثلثاء في ١٦ نيسان سنة ١٩١٨ الساعة ١٢ نهاراً

لجلد صاف يحيق بهنغ كنغ ضباب لطيف

وانا على قمة هنغ كنغ كأنني في قبة الفلك. ـ ارى ما حولي على الجهات الاربع: قمم الجبل متوجة بالسندس ترقطها الابنية الاوربية الجميلة وتلوح قبة الجبل كظهر القنفذ لكثرة ما عليه من عمد الكهرباء وغيرها

Digitized by Birzeit University Library

انا الان جالس على دكة مستديرة غشاها الاسفلت الابيض الصقيل فصارت كالرخام المجلي يحيط بها درابزين لانها على شفا جرف عال جداً وعلى الدكة مقعدان من احسن الخشب فوقهما قبة كالمظلة للوقاية من الشمس والمطر . حافة الجبل تحتي كالحائط تماماً ومع ذلك غطاها العشب الاخضر فانه في هذا كل شيء . وبعد الحائط سفوح الجبل تغطيها الغابات والحراج نحو ١٥٠٠ متر او اكثر الى بحيرات الماء الصافي الذي تستقي منه فكتوريا ارى الان سطح البحيرات كالبلور التي تنعكس عنا اشعة الشمس

يلي ذلك دار النبات بمروجها الزاهية واشجارها الباسقة وازهارها ورياحينها يقاطع ما ذكر الطرقات المنحدرة على تلك السفوح بعضها مرصوف وبعضها مبطن بالحراسانة

اما الابنية فاراها امامي في ثلاثة صفوف

اولها امامي على سنام الجبل

هذا الابنية كالموادج على ظهور الفيلة ممتدة الى اخر ما يدرك الطرف ، وكل منها مدينة على حدة

وثانيها قرب احواض الماء في منتصف المنحدرات

وثالثها عند الشط حيث تمتد فيكتوريا على مدى خمسة اميال

الطرقات حولي غاية في النظافة تلمع ارضها كالمرمر : لا اقذار ولا غبار لقلة المارة ووفرة الكانسين . وليست اقذارهم سوى اوراق الشجر الساقطة على الارض

مجاري المياه على جوانب الجبل كلها مبنطة بالاسفلت الصقيل والنحيت

Digitized by Birzeit University Library

بحيث تصلح مياهها للشرب والخزن على السواء ، واكثرية الابنية على نمط واحد واليك وصف بناية بجانبي مثالاً لها

الباب من ناحية القمة يعلو الطريق بضع درجات امامه حديقة صغيرة وجدار البيت من ناحية الهوة كجدار قلعة معلقة في الجو . يرتد عنها الطرف وهو كليل وهو من آي البناء لفرط علوه ومتانته

البنايات ذات ثلثة ادوار بطنت جدرانها الخارجية بالخراسانة والداخلية بالكلس الابيض والدهان وهي واسعة الرواشن جداً ، واسعة الغرف والقاعات مسيجة بالحديد مجهزة بانابيب الماء والغاز واسلاك البرق للانارة والمنبأة تحيط بها البرك وفيها الحمامات والات الموسيقى

تجاه الباب البوليس للمراقبة وراءه الكانس وحامل الكرسي مستعدين للخدمة ، ومكان تلك البناية ناعمو البال — لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

يحتط بالجزيرة بحر الصين تبقعه جزر عديدة مختلفة الابعاد والاشكال والمساحات وتخترقه عشرات البواخر مختلفة الاقدار والمحمول والتابعية بين ذاهبة وآئبة تعلوها سحب الدخان الصاعدة من اطرافها كأذناب العقارب

وارى في الزقاق بين الجزيرة وبر الصين الوفاً من القوارب يعيش فيها اكثر من ستين الفاً من البشر على مدار السنة عدا الجنود والبحارة

الان — وانا اكتب — صدحت الموسيقى في داخل البيت بجنبي ، فما احلى توقيعها ، يمازجها غناء كصدح البلابل واسمع عن بعد زمجرة البواخر في البحار وهدير القطار المعلق بالزناجير ، ويندر ان يمر بي احد الا بعض السيدات محمولات في الكراسي على اكتاف الشيالين

Digitized by Birzeit University Library

هنا عالم مستقل يسوده الهدوء — الا الموسيقى وتغريد الاطيار — فكأنني في جنات تجري من تحتها الانهار وتغرد على افنان ميلائها الاطيار

هنا يتجلى جلال الطبيعة ومجد العمران بديع المضاب والرياض ، بيوت كأنها خالية لفرط السكون ، نسمات تعطرها الازهار والرياحين فتنفي عن القلب الشجون ، انني بعيد عن الاهل والخلان والاوطان لا اعرف عن صحبي شيئاً ولا هم يعرفون ، اكاد يحيق بي اليأس لتعذر سفري وضياع دراهمي فلي كل دواع الكرب وعوامل الانزعاج ومع ذلك تغلبت عليّ دواعي السرور على هذه القنه

فقلت مع الصياد جيد ان نكون ههنا

مكثت على المقعد ساعة هي من الذ ساعات الحياة ، واكلت الغدا الذي جلبته معي من فكتوريا والان اودع هذه القنة ولست اعلم هل اطأها ثانية او يطأها احد احفادي ،

الوداع يا جبلاً صلى الله عليه وسلم

الان انحدرت قاصداً المدينة ماشياً لاختبر الطرقات والمناظر والمحيط ، فكنت في اكثر الطريق لا ارى الشمس لان الاشجار متعانقة فوق رأسي فهنيئاً لها . الطرقات كثيرة الانحدار يخشى السالك فيها ان يتدهور . ولذلك نقرت فيها الحكومات درجات منعاً لمزلة الاقدام ، وحيث الهوة عميقة الى احد الجانبين شادوا حائطاً الى جانب الطريق لوقاية المارين من السقوط .

قطعت الطريق نزولاً بساعتين لم اشعر بمرورهما ، وبغتة رأيتني في لسواق فكتوريا حيث اصطكت الاقدام وعلت الصيحات ووفرت الزهور

****

مكتبة جامعة بيرزيت
Digitized by Birzeit University Library

المقالة العشرون

شنغهاي

في الصين ثلاثة انهار عظيمة هي عامور ، هوانهو ، يغتزي وهذا الاخير اهمها اقتصاداً وعمرانا . مساحة حوضه ٤٥٠ الف ميل مربع وعدد سكانه ١٣٢ مليون نفس . يكوّن هـذا النهر عند مصبانه دلتات هي اخصب بقاع الدنيـا ولذلك دعيت فردوس الصين . في طرف احدى هـذه الدلتات وعلى بعد ٢٠ ميلاً من مصب هوانغ بو

مدينه شنغهاي

١ـ تاريخها — كانت قبل المسيح سنة ٢٠٣ ، بني سورها في القرن السادس عشر ولكن تاريخها الحديث يبدأ سنة ١٨٣٢ يوم زارها لندسي والقس جاكو. تزلاف ، وكان يمر بها يومياً ٤٠٠ قارب وفيها مستودع كبير للبضائع

احتلها الاميرال بارك سنة ٨٤٢ ولما عقدت معاهدة نانكين تقرر فتح شنغهاي للاجانب . فاختار القنصل بالفور الاراضي شمالي المدينة مستعمرة للانكليز

وفي ١٧ ت ١ وصلتها اول باخرة اوربية

وسنة ١٨٤٩ كان فيها ٢٥ مخزناً ، ٧ سيدات و ١٠٠ انكليزي

وثالت فرنسا امتيازاً اسوة بانكلترا فاختارت الاراضي الواقعة بين المستعمرة الانكليزية وشنغهاي الاصلية

واستأجرت امريكا اراضي واسعة النطاق شمالي المستعمرة الانكليزية وشرفيها لمدة مئة سنة

Digitized by Birzeit University Library

سنة ١٨٦١ حل المدينة العصاة فهرب الاهلون الى المستعمرات الاجنبية للوقاية فارتفع ثمن الاراضي وزاد عددسكانها كثيراً

وفي ذلك الحين الف الضابط وارد الامريكي آلاي متطوعين احسن قيادهم . فلما مات التمست الصين من انكلترا ان ترسل لها قائداً بدله فارسلت اليها غردون باشا فعبده الصينيون لحسن صفاته اذ كان من افضل الناس . هذا قتله الدراويش في الخرطوم سنة ١٨٨٥

سنة ١٨٦٥ انشأ الانكليز محكمتهم العليا فقلدهم بذلك الصينيون سنة ١٩٠٦ بقيادة الامركان

واحتفل الاجانب سنة ١٨٩٣ بيوبيل المستعمرة الذهبي وانشأوا له التذكارات الحيَّة كالمستشفيات والمدارس ونحوها

٢ ـ وصفها حالياً

طولها ٩ اميال وعرضها ثلاثة وتقسم الى ثمانية اقسام

١ المستعمرة الامريكية الشرقية على ضفة هوانغ بو

٢ المستعمرة الامريكية الشمالية فوقها

٣ المستعمرة الانكليزية الوسطى على عطفة النهر

٤ المستعمرة الانكليزية الغربية وراءها

وقد جمعت هذه الاربع معاً تحت اسم انترناشنل (دولية) سكانها ٦٥٠ الفاً يرأس مجلس حكومتها انكليزي واعضاءه مختلطون

٥ فرنش تون، المستعمرة الفرنسية، جنوبي الوسطى سكانها ١٥٠٠٠

٦ المدينة المسوَّرة، جنوبي فرنش تون

Digitized by Birzeit University Library

٧ـ بوطنغ غربي النهر ٨ـ الصينية الشمالية عند محطة نانكين سكانها ٧٠٠ الف نفس

مجموع سكان شنغهاي ١٥٠٠٠٠٠ نفس

يدهش الزائر لدى وصوله شنغهاي اذ يرى في هوانغ بو عشرات من ضخام البواخر يتخللها مئات من القوارب والزفاصات وعلى جانبي النهر اعظم مشهد صناعي في الدنيا وخمسة ارصفة لرسو البواخر. طولها ٤٨٠ و ٤٠٠ و ٤٥٠ و ٥٦٠ قدماً والخامس اكبر الجميع

ويتعذر على الكاتب وصف الحركة النقلية في شنغهاي فقد بلغت درجة نيويرك وليفربول وهمبرغ اعظم اسواق الارض

قال شوساو

تتصل هـذه القنال بنهر هوانغ بو عند جسر الجنينة بين المستعمرتين الانكليزية والاميركية وعلى هذا القنال كثير من الكباري مزدحم القوارب فيها حتى يمكن العبور عليها من ضفة الى ضفة

٣ـ شوارع شنغهاي

١ البردواي ـ يمتد من اول الشرقية الى جسر الجنينة واهم بناياته « اوـترهوس »

٢ سوشوان رود ـ وهو اطولها يمتد من الشمالية الى المدينة الصينية واهم بناياته « هويت واي لودلو » عند التقائه بنانكين رود

٣ البند ـ على ضفة هوانغ بو في الوسطى، عرضه ٢٠٠ قدم نصفها حدائق ونصفها طريق وهو مشهد الحركة الدائمة في شنغهاي وفيه اهم بناياتها

Digitized by Birzeit University Library

ومنه تتفرع اعظم شوارعها

٤ نانكين رود — وهو محور شنغهاي ويمتد من بالاس هوتال في البند الى نهاية الغربية في اقصى شنغهاي. وهو ينقسم الى قسمين الاول اهم مخازن المدينة والثاني ارقى شوارع المدينة وفيه اعظم بيوتها. ومما يذكر في هذا الشارع مخازن يون اونغ ومنصير والعالم الجديد واليك وصفها

٤ يون اونغ ومنصير — محلان تجاريان متقابلان في نانكين رود اصغرهما « يون اونغ » مساحة ارضه ٤٢٠٠ ذراع مربع وهو بناء ضخم ذو سبع اطباق. خصت الخمس السفلى منها بالبضائع على انواعها من مأكولات ومشروبات وملبوسات الخ وفي صدر المخزن آلة رافعة، اليفتر، لحمل الناس صعودا ونزولا وتدعى الطبقتان العليا وان

جنة السطوح

وهي منزه بديع عظيم جداً فيه قهاو واندية ومراسح ومطاعم وجنائن ومراقص وملاعب ومطابع وحمامات وساحات. فيها الوف من المقاعد والكراسي مرتبة احسن ترتيب فوقها الوف من المصابيح الكهربائية الملونة

وفوق سابعة الطباق القبة يرتقى اليها بسلمين من الادراج فوقهما سلم حديد لولبي. من القبة رأيت شنغهاي ابدع رؤية: بنايات على الجهات الاربع كالمعاقل الحصينة مصنوعة بالاجر مسقفة بالواح الحديد

ولا يختلف محل منصير عن محل يون اونغ الا بكونه اكبر منه كثيراً وفي وسطه فندق كبير وقد قسمت جنة السطوح فيه الى اقسام عديدة يطول بنا شرحها فكأنه مدينة على حدة

Digitized by Birzeit University Library

٥ — العالم الجديد

هو اشهر منازه شنغهاي

عند التقاء نانكين رود بثيبت رود بين الوسطى والغربية .وقع « نيو ورلد » وهو دائرتان على جانبي الطريق يصل بينهما نفق تحت الشارع ينحدر اليه بدرجات عديدة تنيره مصابيح الكهرباء

والدائرتان مثلار فيغني وصف احداهما عن وصف اختها

بناء ضخم عند الزاوية ذو ثلاث طبقات .وراء البناء ساحات واسعة الجناب فيها ميادين للخيل والحمير ومروج وشلالات وكل ما ذكر في جنة السطوح وزيادة

وكل دور من الادوار الثلاثة مقصف على حدة وفي الطرقات مئات من المقاعد والوف من الكراسي .وفي مطاعمها كل انواع المأكولات من شرقية وغربية على انواعها

يموج في جنبات العالم الجديد عشرات الالوف من الناس

وليس فيهم اوربي على الاطلاق

مراسحها مشوشة لكثرة الباعة الذين يجولون بين المقاعد في اثناء التمثيل وينادون على مبيعاتهم باعلى اصواتهم فلا يسمع الحضور اصوات الممثلين

قضيت في العالم الجديد ساعات عديدة لم اشعر بمرورها تنسيك موءانسته وحشة الاغتراب فالناس فيه كيوم الحشر العظيم

يقابل العالم الجديد ميدان سباق الخيل ، مساحته كيلومتر مربع وهو مرج بديع يزيد بقيمة الابنية التي حوله كثيراً

****

Digitized by Birzeit University Library

٦ – المدينة الاصلية

رغبت في زيارتها لارى الصينيين كما م — خلوا من العنصر الاوربي — فأثرت بي زيارتها تأثيراً عظيما

المدينة ضيقة الشوارع عالية الجدران قليلة النور كثيرة الاقذار والهائم، الناس فيها بطناً الى ظهر كأنهم في ساحة الحشر، مخازنها مفعمة بالبضائع والعمل فيها على قدم وساق. مررت بكثير من النجارين يصطنعون الاصنام في جذوع الاشجار وامام ابوابهم كثير من الاشجار اصطنعوا منها رأس الصنم وتركوها. فترى رأس الصنم على جذع شجرة ممجة تحت الاقدام وفي المستقبل متى تم اصطناع البدن يصير ذلك الجذع المدوس الان بالاقدام، الهاً يعبد. واهم ما زرته في المدينة الاصلية

٧ – هوانغ مياو
او هيكل جميع الالهة

هو كناية عن بنايات عديدة متداخلة كالليبرنث، يهم زائرها بالخروج منها فاذا به قد اوغل فيها: ساحاتها غاصة بمئات التجار، امام كل منهم بسطة عليها انواع البضائع مكدسة اكداساً، واظرفها موائد الطعام يحيط بها الاكلون وقوفاً اذ لا محل للمقعود والباعة حولهم يصيحون معاً باصوات موسيقية منادين على مبيعاتهم فكأن مرور الجبل من ثقب الابرة ايسر من مرور المرء بينهم بدون مساس معيب لفرط الازدحام

يحيط بتلك الساحات مخازن التجار وهياكل الالهة وهي عديدة متنوعه

Digitized by Birzeit University Library

هنا هيكل لاله الاولاد وهناك اخر لاله السحار وغيره لاله النساء — اله الحرب واله الخصب - واله الحكمة الخ الخ

وكل هياكلها على نسق واحد : غرفة واسعة مظلمة قذرة، يكاد المرء لا يرى الصنم العظيم في صدرها لوفرة الشحر الذي يغطيه أخص بالذكر من تلك الهياكل قاعة

الستين الهاً

وهي اسطبل واسع جداً، قذر مظلم في صدره اله كبير تغطيه الشحر والدخان ويحيط بالغرفة ستون صناً متنوعة الرسوم رتبت في صفين الاول على الارض والثاني فوقه ، في كل صف ثلاثون الهاً وكل اله لسنة من سني الحياة ، يقصد كل زائر اله سنته ويتعبد له . فطلبت اله الثامنة والاربعين متوسماً فيه الخير . وبعد التفتيش الطويل وجدوه في زاوية قذرة مظلمة وهو اشنع كل تلك الالهة صورة واقبحها مظهراً : اسود الوجه غليظ العنق وحشي الملامح جاحظ العينين واسع الشدقين كبير الشفتين مفتوح المنخرين ضربت عليه العناكب وعشش فيه الهوام والحشرات

فنظرت اليه وقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

أهذا حظي في عالم الالهة — وفيها الكهنة والحكماء والقواد والملكات ؟

انت اذاً السبب في عسر سفرتي يا كلب الالهة ، فخذ اذاً الصلاة التالية :

وبسطت ذراعي اتلوها

ايها الاله الكاذب الابكم الشنيع ، القبيح الصورة والمثوى والاوصاف ، الاسود الوجه والقلب والمحيط ، العديم الحياة والعقل والنفع ، ان الالحاد بك

Digitized by Birzeit University Library

افضل من الايمان بالوهيتك ، والتجديف عليك خير من الصلاة اليك ، كسر الله رأسك واخمد انفاسك وهشم اضراسك واطفأ نبراسك و كشف اساسك انقاذاً لبني الشيص شين من وجهك الاسودودينك اللعين - امين

ولما خرجت من هوانغ مياو تنفست الصعداء وسبحت اله النور ورأيت الفرق محسوساً بين الشرق والغرب

٨ — اقتصادياً وعمرانياً

الاجانب في شنهاي عشرون الفاً منهم ٧٢٦٩ يابانياً و ٥٠٠٠ انكليزي و ١٠٠٠ هندي و ١٥٠٠ برتوغالي ومثلهم امريكي و ١١٠٠ الماني وبضع مئات من كل من الروس والفرنسويين وغيرهم

وفيهم بضعة سوريين عرفت منهم الخواجات جاك ازاديان واخاه ليون ، وهما مثال في المروءة وكرم الاخلاق . وقدسي اخوان والجميع يعملون في التصدير بالعمالة : يصدرون الحرير والدخان وخلاف ذلك . للاجانب في شنهاي اكبر المخازن واهم البنوك واعظم المعامل واغنى الشركات وانفع المدارس وارقى الصحف وابدع المساكن واجمل السيدات وانعم المظاهر واسمى الصفات . وهم يعاملون الصينيين بالمساواة ولا يبخسونهم قدراً الا انهم قلما يخالطونهم في منتزه او مطعم ولذا كان الصينيون يستغربون دخولي محلات كهذه اذ كنت اجول بينهم للدرس والتنقيب

التجارة — شنغهاي مركز تجاري لا تفوقها مدينة شرقية بذلك . بلغ صادرها ووارداتها على مئة مليون جنيه انكليزي — دخلها سنة ١٩١٤

Digitized by Birzeit University Library

٤٣٣٨ باخرة انكليزية حمولتها ٧٨٤٨٢٧١ طناً و ٣٤٨١ باخرة يابانية حمولتها ٤٧٠٠٠٠٠ طن و ٥٢٥٠ باخرة يابانية حمولتها ٣٣٣٧٣٨٨ طناً و ٤٦٠ باخرة امريكية و ١٢٥ نروجية و ١٢٤ فرنسوية ومثلها روسية حمولتها ١٣٠٠٠٠٠ طن

اهم صادراتها — الحرير ومصنوعاته والشاي والجلود والزيوت واللوبيا والقطن والبيض والدخان. بلغ دخل الجمرك سنة ١٩١٤ نحو ١٢ مليون تايل ودخل المستعمرة الفرنسية ٣٠٠ الف تايل. والانترناشنل ثلاثة ملايين. مد الخط الحديدي الاول في الصين سنة ١٨٧٩ بين شنغهاي وودنغ ثم وصل نانكين فسنغ طاو ومنها الى باكين فمنشوريا فسيبيريا فاوربا

معاملها — فيها ٩ معامل غزل كبيرة فيها ١٦٩٠٠٠ مغزل و ٤ وطنية فيها ١٤٦٠٠٠ مغزل

كان للوزير لي هنغ شنغ شغف عظيم بالمغازل. تناظر بها شنغهاي أوساكا اليابانية — مانشستر الشرق — وفيها ٢٥ محلاً لحل فيالج الحرير فيها ٨٠٠٠ حرن و ٢٠٠٠٠ عامل، وغير ذلك للزيوت والدخان والبيض والارز والبترول

وفيها ٤٣٣ عربة خيل للاجرة و ٨٥٧ خاصة و ٩٠٠٠ ركشا في الانترناشنل و ٧٠٠٠ خاصة والفان اوتومبيل. ومجموع عمال النقل اكثر من ٥٠ الف

المعارف — في شنغهاي جامعة سنت جون للمرسلين الامريكان انشئت سنة ١٨٧٩ عدد طلبتها ٥٠٠ وفيها اربع كليات: الطبية والعلمية واللاهوتية والفنون

٢ — جامعة اورورا للجزويت طلبتها ١٥٠ فيها كليات الحقوق والهندسة والطب والعلمية

Digitized by Birzeit University Library

٣ – كلية المعمدانيين ٤ – كلية مدهرست وعن رئيسها اخذت هذه التقارير ٥ – كلية الحقوق وتتبع هذه جامعة سوشاو الامريكية ٦ – كلية التعدين والسكك الحديدية ٧ – كلية الهندسة ٨ – كلية فوتان ٩ – كلية طنغ وهن اليابانية فيها ٤ دوائر هي الاكاديميا والحقوق والتجارة والسياسة. انشأت هذا المعهد الحكومة الامبراطورية اليابانية لاعداد اليابانيين لاستعمار الصين. رافقت كثيرين من طلبتها قادمين من يابان الى شنغهاي فأفادوني اشياء كثيرة عنها وعن مقاصد الحكومة الامبراطورية اليابانية

وفي شنغهاي كلية سنت كزافير وكلية اغناطيوس وكلية جينز بلك، وكلية منلية و٣ مدارس عالية لجمعية الشبان المسحيين في كل منها ٥٠٠ طالب او طالبة

والانكليزية هي لغة العلوم في كل هذه المدارس

قصد الالمان مباراة الانكليز في ذلك فعادوا بصفقة المغبون

وفي شنغهاي مكاتب عمومية عديدة منها مكتبة الجمعية الاسيوية فيها ١٠ الاف مجلد انكليزي. زرتها مراراً وقضيت بها اياماً وفوق المكتبة متحف نفيس ومكتبة بلدية الانترناشنل وفيها الوف المجلدات للاعارة وهذه زرتها مراراً وقضيت بها ساعات متوالية

وفيها ٢٥ ناد (كلوب) زرت اكثر من اثنين منها

حالتها الصحية

مدينة كشنغهاي تستدعي ادق العناية الصحية لان وراءها اربعمئة مليون

Digitized by Birzeit University Library

من الناس لا يعرفون شيئاً عن واجباتهم الصحية . ففيها مستوصف للتطعيم الجدري وتسعة مستشفيات عمومية كبيرة وواحد للصليب الاحمر

وفيها ٣٥ جمعية للتبشير — وهي قصبة الارساليات الانجيلية — حضرت حفلة المشن اسوصييشن كان فيها ١٥٠ مرسلاً ومرسلة وخطب الحفلة يهودي وزرت رئيس الارساليات اليسوعية وهو رجل كبير الدماغ رحب الصدر — افادني عما يتعلق بالصين افادات ثمينة وخرج يشيعني الى الخارج

عوائد واخلاق

١ الحداد — كنت ذات يوم مع صديقي وترجماني باو ، واذا عربات مجللة بالبياض تجرها خيول شهب مجللة بالبياض فيها قوام يلبسون الثياب البيضاء وعلى صدورهم زهور بيضاء فادهشني ذلك فالتفت الى صديقي باو وسألته ما الخبر فقال يا سيدي هذا مظهر الحزن في الصين — فالعربة الامامية فيها ناووس الميت واللابسون الثياب البيضاء هم آل الميت . فالابيض هو شارة الحزن عندنا

٢ الاقدام — ومن اشهر عادات الصينيين حصر اقدام البنات منذ طفولتهن في قوالب حديد تمنع نموها فيكبر الجسم وتظل القدم كما في سن الثانية او الثالثة من العمر . وكنت اظن قبلما زرت الصين ان هذه العادة محصورة في افراد الاغنياء على انني لما زرت الصين تبين لي انها عادة شائعة عمومية . رأيت مرة في نانكين رود احدى وعشرين امرأة صينية منهن ست عشرة صغيرات الاقدام وكنت اتألم كثيراً اذ ارى الفقيرات منهن في هنغ كنغ يمشين مشي الكسيح لسبب هذه العادة ومن مضحكات المشاهد في الصين ان الرجل

يشتري لامرأته وفتاته في سن الثالثة حذاء واحداً الان الاقدام في الاثنتين سيان

٣ - المنشفة -- ومن عاداتهم ان يدور صانع القهوة على الزبائن بمنشفة مبلولة بالماء فيمسح بها الزبون وجهه ورقبته ويردها للخادم فيذهب بها ويبلها ثانية ويقدمها لزبون اخر وعلى ذلك تدور المنشفة على مئات من الناس في اليوم

٤ — ومن عاداتهم مضغ الافيون وتدخينه وهو ذو فاعلية مريعة على المجموع العصبي تزيد اضراره على اضرار الحشيش في القطر المصري

٥ — ومنها لبس سترة فوق البنطلون تغطي الارجل من الامام فقط وهي خاصة بالرجال

ويربط رجالهم ارجل بنطلوناتهم بزنار كالكمر

واحذيتهم مصنوعة من قماش اسود وهي مشقوقة الوجه شقاً مستطيلاً ويكثر الصينيون من الصياح في كلامهم والمشاجرات في الشوارع والبصق على الارض في الاماكن العمومية وهم يكرهون الاجانب كرهاً بليغاً -- بخلاف اليابانيين في كل ذلك

زرت شنغهاي اربع مرات فكانت اختباراتي واحدة في كلها

لما خرجت من الباخرة اليابانية رابع مرة قصدت فرنشتون لاستأجر بها غرفة لمدة شهر وحسب اشارة صديق لي في الباخرة اخذت الكار امام باب المرفأ واخبرت الكندكتر ثلاثاً انني اقصد فرنشتون فطلب مني ٦ سنتات رسم

Digitized by Birzeit University Library

الطريق . ثم طلب ثلاثة اخرى — المجموع ٩ سنسات . مع انني لما خبرت الامور في المدينة عرفت انه غشني . ولاجل التأكيد اتيت الى نفس الموضع واخذت الكار نفسه وقمت في نفس المقعد الذي قعدت عليه يوم وصولي وذهبت الى فرنشتون — الى نفس الموضع الذي زرته اولاً — وكان ما دفعته هذه المرة اربعة سنسات فيكون اخذ مني اكثر من مضاعف الحق

مثل ذلك لم يحدث لي في كل الكرة الارضية

جلست في فرنشتون اسأل الناس هل يعرفون الانكليزية او الفرنسوية فكان جوابهم واحداً هو الاشمئزاز والصمت دلالة على شدة مقتهم للاجانب فتبين لي انه يستحيل عليّ ان اسكن بينهم ولو عرفوا كل اللغات التي اريدها فذهبت واستأجرت غرفة في نادي الشبان المسيحيين وكان يخدمني فيها رجل في سن الخمسين ثبت لي انه كان يسرق جزءاً من اثمان الاشياء التي كان يشتريها لي

دخلت مخزناً كبيراً وابتعت نصف دزينة كارت فبزيت بثلاثين سنتاً ، ودفعت ريالاً للتاجر فرد لي ٧٠ سنتاً والريال قيمته ١٢٨ سنتاً عندهم ولكن لان الريال الامريكي بمئة سنسة اعتادوا ان يغشوا الامريكان والانكليز بدفعهم لهم قيمة الريال مئة سنسة . فوبختهم على ذلك بصراحة فردوا لي الفرق ساكتين ودخلت مرة مع باو لشرب الشاي في مطعم صيني ودفعت للخادم ثمن الشاي وزدت عليه البخشيش ولما هممنا بالخروج اعترضنا صاحب المطعم وطالبنا بثمن الشاي فاخبرته انني دفعت الثمن للخادم فقال لا بل ما دفعته للخادم هو له . والثمن لي فلم استحسن استرداد المبلغ من الخادم ورأيت ان المبلغ زهيد لا يستاهل اخبار البوليس فدفعته له ثانية واخبرته ان هذه اللصوصية تضره ولا

Digitized by Birzeit University Library

تنفعه والدليل على صحة قولي انني اقطع علاقاتي مع المحل ولو انصفني لظللت ازوره كل يوم وادفع له ثمن ابريق شاي . واكثر من ٩٠ في المئة منه ربح فلم يهمه بياني انما قبض ما طلب وانتهى الامر

وجرى لي كثير من امثال ذلك مع القوم

ولما قصصت ما تقدم على الاخ جاك ازاديان ضحك وقال « لي ١٥ سنة في هذه البلاد فلم ارَ اغرب من طباع اهلها . اشتري منهم الدخان فيطبقون اوراقاً خضراء بين الاوراق الحسنة وبذلك تفسد هذه ما فوقها وما تحتها فيصير العطل في البضاعة ثلاثة اضعاف . وعلاوة على ذلك نلتزم ان نفتح الرزم ونفرز البضاعة العاطلة منها ثم نعيد رزمها ثانية ليجوز لنا شحنها نقية الى الخارج وبذلك ندفع اجور العمال وتتفتت اوراق الدخان على الارض كما رأيت » - وكنت يومئذ قد زرت مخزن المذكور وفيه العمال يفرزون الدخان على ما ذكر — قال « فرأيت ان العطل في البضاعة يبلغ اربعين في المئة . وطبعاً نحن لا نخسر بذلك بل هم الخاسرون . فدفعتني الشفقة عليهم الى نصحهم فدعوتهم اليَّ وخاطبتهم كأخ قائلاً : افرزوا البضاعة العاطلة من السليمة وارزموا كلاً على حدة وخذوا مني علاوة على الثمن العادي اربعين في المئة . قال فشكروني على ذلك وبعد مدة وجدت انهم يقبضون مني الاربعين في المئة علاوة على سعر السوق ولكن العشرة في المئة من البضاعة العاطلة لا تزال في قلب الرزم كالسابق . ولما عاتبتهم على عملهم نفروا وقالوا اشتر كما الاول فاننا لن نتحوّل عما الفناه . قال فعدت ادفع لهم الثمن بنقص اربعين في المئة لقاء عشرة في المئة من البضاعة العاطلة » .

فلما فهمت منه ذلك فهمت السر في "سقوط الصين" وخسارتها مركزها السياسي

Digitized by Birzeit University Library

والادبي ، فانها وهي اربعمئة مليون ، وكانت ام التمدن في القديم تتراءى على اقدام الدولة اليابانية التي قلما تزيد على ثمن سكان الصين ، ولا يجوز ان يفهم القارىء ان كل صيني غشاش فقد كان صديقي باو من افضل من عرفت من الناس ، وكان ذا مروءة وعزة نفس لم اعرف افضل منهما في غيره ولكنني وصفت ما رأيته وخبرته في القوم ليس الا

اختلاف النفقات — وفي ذلك فائدة كبيرة للسائح

لما وصلت شنغهاي وبلغت فرنشتون على ما مرّ بيانه سألت صاحب فندق كم يطلب مني شهرياً اجرة غرفة وثمن اكل . فقال ٢٥ ليرة انكليزية ولكن سيدة ارلندية رضيت ان تقبض مني ١٦ ليرة فقط . ونظراً لارتيابي في نقاوة محلها رفضت النزول فيه . وذهبت الى نادي الشبان المسيحيين واستأجرت غرفة بـ ٥ ليرات انكليزية شهرياً ، ويتصل بالنادي مطعم اوربي يمكنني ان اكل فيه بنحو ثماني ليرات . فكنت فخوراً انني اعيش عيشة صحية راقية بنصف ما طلب مني صاحب اللوكندة . ولما عرف ذلك باو دعاني الى منزله — في كنيسة الله — حيث هو ينام مجاناً واراني مائدة يأكل عليها مع ثلاثة شبان صينيين . وكان الطعام امامهم مؤلفاً من شوربا ، وهندبا ، وارز وسمك ولحم وشاي . فسألته كم يدفعون على الوقعة اجاب أن صاحب المطعم يتقاضى الواحد منا خمسة ريالات شهرياً لقاء ثلاث وجبات مما ترى امامنا . وبما اننا طلبة علم ولا نحتاج الى مقدار الاكل اللازم للعامل اتفقنا نحن الاربعة ان نقاول صاحب المطعم على اكل ثلاثة رجال فقط فيرسل لنا كل يوم الى البيت زاد ثلاثة فيكفينا نحن الاربعة ويفضل عنا والنتيجة ان كل واحد منا يدفع ثمن طعامه في الشهر ثلاثة ريالات و٣ ارباع

Digitized by Birzeit University Library



رسم باو ، استاذي في اللغة الصينية

الريال . فصاحبي بو هذا يعيش في السنة على ٤٠ ريالاً وهو اوربي المظهر فتأمل وتعجب !

المقالة الحادية والعشرون

المجوسية — عبادة النيران

عرفت في شنغهاي اخا فارسياً اسمه « لال كاكا » مجوسي المذهب ذا مقام سام بين الاوربيين . هذا اعطاني كتاباً الى درالجي كيانديا المجوسي . فاجتمعت

Digitized by Birzeit University Library

به في وقت عينه لى ، وكان استاذي الصيني باو برفقني . فكنا في الغرفة ثلاثة اشخاص نمثل ثلاثة اجناس

١ — انا من الجنس السامي

٢ — كبادايا من الجنس الاوربي

٣ — باو من الجنس المغولي

فكنا نمثل ساماً وحاماً ويافث

كبادايا رجل متوسط في العمر اسمر اللون ، حالك الشعر ، برّاق العينين ، هندي الملامح حاد المزاج يحسن الانكليزية وغب التحية بدأنا الحديث كما يأتي:

خباز — أيمكنك افادني متى عاش زرادشت ؟

كبادايا — تحقيقاً غير ممكن والارجح انه عاش منذ ٤٠٠٠ سنة

خباز — ولكن كثيرين يرون انه عاش في القرن الثامن ق.م.

كبادايا — ما قلته لك هو رأي دارمستاد الفرنسوي الشهير الذي بحث في الامر ١٦ سنة ومات ١٩٠٣

خباز — ومن هو زرادشت ، أاله هو ؟

كبادايا — هو حكيم درس الطبيعة مدة ثلاثين سنة ثم نظم الديانة المجوسية

خباز — وما هي المجوسية ؟

كبادايا — ديانة تعلم المرء ان يكون له : ١ً - افكار صالحة ، وكلمات صالحة ، واعمال صالحة ٢ً - ان لا يستسلم للاهواء والشهوات ٣ً - لا شفيع ولا كفارة بل لكل امرء ما سعى ٤ً - المحافظة على طهارة الجسد والعقل والحياة

خباز — وما هي الاعمال الصالحة في عرفكم ؟

Digitized by Birzeit University Library

كبادايا — ١ـ الصدق التام ٢ـ الواجبات للخالق ٣ـ الواجبات للناس

خباز — وما هي واجباتكم للخالق ؟

كبادايا — تقديسه وعبادته

خباز — وما هي واجباتكم للناس ؟

كبادايا — التعاضد والاحسان

خباز — ما هو قانون معاملاتكم للنساء ؟

كبادايا — مساواتهن للرجال ، ولا تعدد الزوجات

خباز — ما هو قانون معاملاتكم الاولاد ؟

كبادايا — تحبهم وتربيهم وتهذبهم

خباز — ما هو تعليم المجوسية في المعاد ؟

كبادايا — خلود النفس ، وعدم قيامة الجسد

خباز — أصحيح انكم تؤمنون باصلين ازليين ؟

كبادايا — اعلم ان الاله الازلي واحد وهو اهورمزدا . هذا خلق كاروبين . الاول صينتومنيوس او اله النور ورئيس الملائكة الصلحاء والثاني انغرامينوس او اله الظلام ورئيس الشياطين — وهو اهوريمان . — فصنع هـذين العالمين . فصنع صينتومينوس النور ، الحياة ، الحرية ، الارتقاء ، النجاح ، المسرات والعادة وصنع انغرامينوس — اهريمان الظلام والموت والعبودية والانحطاط والفشل والاحزان والشقاوة

هذان الرئيسان ضدان في كل الاجيال وفي كل مكان . وتختم حروبهما بفوز الاول وعموم السعادة

Digitized by Birzeit University Library

خ – وما هي نسبة اهوريمزدا اليهما ؟

ك – الحياد التام . لا يتدخل في الامر على الاطلاق ، انما اقتضت حكمته الازلية ابداعهما ضدين لابراز صور الوجود على نحو « وبضدها تتميز الاشياء » فلولا المرض لما عرفت الصحة ولولا المر لما عرف الحلو ولولا الاسود لما عرف الابيض . . . واطال المحدث كثيراً في هذه الفلسفة وهي اساس الديانة المجوسية

خ – اوعندكم كهنة ، وما هي واجباتهم ؟

ك – نعم عندنا وواجباتهم تعليم الشعب واتمام الطقوس وواجبات الرعية

خ – وما هي تلك الواجبات ؟

ك – ما يتعلق بالقران والجنازة ونحوهما

خ – اولم ألبسة مخصوصة ؟

ك – نعم واخصها الزنار – وزنار الصون يلتزم به كل مجوسي

خ – ولكني لا اراك تلبسه

ك – فتبسم واجاب بلى البسه تحت البدلة

بعد ذلك رافقت مجوسياً في الباخرة الى يابان وكان ينام في غرفتي فاكدت ذلك اذ كان يلبس الزنار تحت البدلة

خ – اولكم كنائس او معابد ؟

ك – لنا في بمباي كنائس كثيرة اذ هناك خمسون الف مجوسي

خ – هل عندكم اعياد ومواسم ؟

ك – عندنا ٢٥ عيداً لالهة الخصب والربيع والشمس والقمر الخ

خ – وهل عندكم يوم سبت للراحة ؟

Digitized by Birzeit University Library

ك – لا بل نشتغل السبعة ايام على السواء

خ – وماذا تعملون في معابدكم ؟

ك – صلوات وتعبد واحياناً وعظ

خ – أصحيح انكم تعبدن النار ؟

ك – استغفر الله المعبود الاوحد . انمـا النار اشارة الى عنصره تعالى . فتقديم اكرامنا لها انمـا هو مقدم الى عنصر اللاهوت الاصلي ولقد كان قدماء المجوس يحرمون اطفاء النار لئلا يساعدوا اهريمان على اله النور .

خ – ما هو تاريخ المجوسية ؟

ك – كانت منتشرة في العجم قبل المسيح ودخلت ولاية الموصل . فلما نشأت المسيحية اخذت المجوسية تتقلص امامهـا ولكن لما ظهرت الاسلامية شهرت عليها الحرب واباد المسلمون كل من لا يتبع ديانتهم الا الذين لجأوا الى هندستان

خ – الا يوجد مجوس خارج هندستان ؟

ك – لا اظن يوجد اكثر من عشرة الاف في العجم وفي الهند ٩٠٠٠٠

خ – وكيف احوالهم الاجتماعية ؟

ك – ارقى الهنود وليس فيهم امي

خ – وما رأيكم في حكاية التوراة في اصل الانسان ؟

ك – لا نقبلها والانسان قديم جدا على الارض ولسنا نعلم كيف وجد . وكان رفيقي الصيني يتحفز للوثوب عليه لانه كان اثناء الكلام يعرّض بالمسيحية فكنت اسكته واسكنه فقال يا بابا الا تسمع انه يطعن بالمسيحية ؟ اجبت سكت لسنا في موقف نضال انما نحن باحثون . فسكت مرغماً

Digitized by Birzeit University Library

خ — واية الديانات، اقربها اليكم؟

ك — المسيحية بدون شك لانها ارقى الديانات

خ — والكنفوشية ؟

ك — حسنة جداً جداً

خ — والبوذية ؟

ك — حسنة لكنها لا تخلو من القيود والخرافات

خ — واليهودية ؟

ك — لسنا نعتبرها لانها قومية كالشنتية

خ — وما هي لغتكم ؟

ك — نتكلم كاجرات كالهنود ، ونكتبها بالحرف العربي الذي تعرفه

خ — وبماذا يمتاز المجوس ؟

ك — بعدم وجود امميين فيهم . كلهم يقرأون

وسألته كتابة اسمه في دفتري ففعل وشكرته وانصرفت . فخرج يشيعني الى الشارع . كان ذلك في ١٩ ت٢ سنة ١٩١٨

ولما خرجت من عنده اخذت صحف شنغهاي الانكليزية واذا فيها البلاغ التالي : لندن في ١٦ ت١ سنة ١٩١٨

اسرنا في بيروت ٦٠ ضابطاً و ٦٠٠ جندي

« احتل فرساننا واوتومبيلاتنا المدرعة بعلبك على بعد ٧٦ ميلاً شمالي الشام في ٩ت١ واسرنا فيها ٤٠٠ جندي كانوا سلموا انفسهم الى الاهالي . ثم سار فرساننا واوتومبيلاتنا المدرعة فاحتلوا طرابلس الشام على بعد ٥٦ ميلاً

Digitized by Birzeit University Library

من بيروت ، واحتلوا حمصاً على بعد ستين ميلاً شمالي طرابلس الى الشرق »

فصحت ـ اسعد ايام الحياة

لقد زال النير التركي عنا الى الابد

ولكن هل زال كل نير ؟

والظاهر ان تركيا بلغت نهايتهـا ولا معين . أفيصدق اولئك انذاراتنا ام هم يكذبون ؟ افهموا ان الفوز النهائي ليس بالجعجعة وصف الكلام ؟

المقالة العشرون ـ حملة تيبت

لما كنت في هنغ كنغ عكفت على المطالعة فقرأت اعتراف مكسيم غوركي الشهير ـ تاريخ مورخي العالم ، ثم عثرت على كتاب كبير في الحملة الانكليزية على تيبت فرغبت في تلخيصه تتمة للبحث في احوال الصين

(١) قال اللورد كرزون حكمدار الهند السابق « ان تيبت هي السر الجغرافي الوحيد الذي تركه القرن التاسع عشر للقرن العشرين »

جاء في تقويم تيبت سنة ١٩٠٣ في سنة دارغونلر هي ١٩٠٤ « سيسلم الملك في الفصل الاول منها وتدخل البلاد جماعة لصوص قوية مشاغبة تحارب باحسن الاسلحة وفي النهاية يوفق خطيب بين الفريقين » هذه مظاهر شعور الصين

تيبت احدى ولايات الصين المستقلة اداريا ، مساحتها ٤٦٣ الف ميل مربع وعدد سكانها ستة ملايين نفس وهي اعلى بلد ان الدنيا عن سطح البحر . اهاليهـا اقرب الناس الى الصينيين وهم بوذيون وعندهم اعظم الاديار والباغوـ دات ولا يدخل اوربي عاصمتها (لاسا)

Digitized by Birzeit University Library

٢ — وقد تعب الانكليز كثيراً للحصول على رسوم البلاد فاستخدموا لذلك الجواسيس منهم سنغ الهندي . دخل هذا تيبت بزي كاهن تتاري يحمل دولاب الصلاة ، وكان ضمن الدولاب بدل الصلوات رسوم جغرافية ، وحمل سبحة متظاهراً بالصلاة ولكنه كان ينقل منها خرزة كل مئة خطوة يخطوها وقابل الدالي لاما « الذي يعرف اسرار القلوب » وظل في تيبت من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٧٨ وشهد له المحققون انه ضبط مساحتها

سارات خندرا الهندي — كان هذا يعلم رهبان البوذية اللغة الهندية فتوسل الى تلميذه ان يمهد له السبيل لدخول لاسا ، ولما عرف امره رده الاهلون من حيث اتى وغضبوا على تلميذه فعزلوه من الكهنوت واماتوه بالضرب ، ولم يدفنوه في مدافن اسلافه الكرام وحكم اللاما بعدم تقمص روحه انتقاماً منه ، وعزل جميع اقاربه من وظائف الكهنوت

سفن هدن — دخل هذا تيبت سنة ١٨٨٦ ولم يقترب الى اكثر من ٦٠٠ ميل عن لاسا . ودخلها كثيرون من كهنة الكاثوليك مبشرين وانشأوا فيها كنائس سنة ١٧٢٤

توماس مارتن — دخلها هذا الانكليزي سنة ١٨١١ بزي طبيب صيني وقابل الدالي لاما فسأله ماذا يتمنى فطلب بعض الكتب الدينية فوعده ولم ينجز اذ عرف امره وردوه الى الهند ، وارسل ران هستنغ حاكم بنغال يهنىء الدالي لاما وعمره اذ ذاك ١٨ شهراً بسرعة تجسده فخاطبه الوفد ملتمساً له طول البقاء « ليظل العالمون متمتعين بضياء اشراقه » فحرك الطفل يديه فحسبوا ذلك اشارة الى فهمه الكلام وشاد هستين في كلكتا هيكلا بوذياً اكراماً له .

Digitized by Birzeit University Library

٣ الدالي لاما — يعتقد اهالي تيبت انهم سلالة القرود فهم بذلك اتباع دارون عن غير طريق العلم — وان جدهم جاء من هندستان طريق حمالايا وتزوج صينية فاضمحل ذنبه وانحل لسانه فنطق وولد الدالي لاما وكان ذلك في القرن السابع ق.م.

وتزوج ملكهم سنة ٦٤٦ الاميرة شرونغ ستان الصينية فانت تيبت بديانة بوذا ووقف الملك ثروته على نشر تلك الديانة في البلاد فاتى بالكهنة لتعليم الامة وحينئذ بدأت القراءة في تيبت فساد الكهنة حتى انهم اختلسوا الملك سنة ١٢٥٢

واعتنق قبلي خان، خلف جنكيزخان، اللامية وخص رئيسها بامتيازات عظيمة فورث هذا حكم تيبت بعد سقوط اسرة جنكيز، واعانه التاتار على الاستقلال سنة ١٦٤١ ولقبوه الدالي لاما — الواسع كالبحار — وهو عندهم رئيس الاحبار

واشتد ساعد اللاما مدة خمسة خلفاء وكانوا يتقمصون حال موتهم في جسم مولود جديد. فادعى خامسهم انه الدالي لاما السابق تقمص وانه لباب بوذا، واله الرحمة، ومستودع قوات الجبال. واوجد كتاباً روحياً يؤيد دعواه وضرب الجاحدين بحد السيف. واسم هذا الاله المتجسد: جوشي خان

ولبس القلنسوة الصفراء ولم يؤذن لاحد بمشاركته بذلك المجد الا لاما تشليجو الذي كان يفحص المولودين حديثاً لاكتشاف الدالي لاما المتوفى. وكان يحمي العلوم، وحكم مدة ٣٥ سنة كملك وبابا وتخلى لابنه سنة ١٦٧٦

Digitized by Birzeit University Library

فنبذ القوم دعوى التقمص واختاروا المنصب شيخاً فقتله الكهنة المحافظون على القديم واختاروا طفلاً تقمص فيه اللاما . فنشبت الحرب الاهلية بين الحزبين

ودخل التاتار لاسا سنة ١٧١٠ واحرقوا صرح اللاما ونهبوا المدينة وذبحوا الكهنة وقتلوا خلف جوشي خان . فاستنجد الاهلون امبراطور الصين فامدهم بعشرة الاف محارب استردوا لاسا وذبحوا التاتار واعادوا نظام التقمص ونصبوا الطفل المشار اليه انفاً وحصروا سلطته في الروحيات وعينوا الصدر الاعظم حاكماً تحت يده وانشأوا

الامبان

وهو معتمد الصين في لاسا . فلما استفحل امر الدالي لاما قتل الحاكم وتقلد الحكم جسدياً كما روحياً فارسل اليه الامبراطور جيشاً ثانياً فقبضوا عليه وسجنوه وقتلوا اعوانه ونصبوا مكانه كاهناً جرده من كل سلطة زمنية وحصرها بالمتولي وسماه الملك . ثم كل ذلك بحضرة المبشر الجزويتي

ولما استاء الصينيون منه ذبحوه فهاج عليهم التيبتيون وذبحوهم . فارسل عليهم الامبراطور جيشاً ثالثاً اعاد نفوذ الامبان فاصبح الامبان الآمر الناهي وسن نظام الخلافة ومن ثم

صار الدالي لاما يتجسد حال موته

ولكنه على الدوام يموت في سن الثامنة عشرة !!! وشذ عن ذلك الدالي لاما الاخير لان الحزب الوطني عزل النائب وسلبه الختم فعزل الدالي لاما الامبان وبذلك تحرر من طلاسم الموت . هذا هو الدالي لاما المقدس صلة الالهة بالناس

Digitized by Birzeit University Library

فلما انكسرت الصين في حرب يابان سنة ١٨٩٥ وداستها جيوش الحلفاء سنة ١٩٠٠ ضعف نفوذها في تيبت واستبد الدالى لاما بالامر وامتد نفوذه الى حدود الهند واستمال قلبه استاذه دروجياف الروسي الى سياسة روسيا ونبذ سياسة انكلترا . هذا هو مفتاح سياسة تيبت

على هذا الدالى لاما حمل الانكليز سنة ١٩٠٣

٤ ــ مقدمات الحملة

تتبع ولاية سخيم الدالى لاما روحيا فاجتاز الحدود ، سنة ١٧٩٢ جيش صيني عدده ١٧٠ الفاً

وبسط الانكليز حمايتهم على سخيم سنة ١٨٤٩ فصارت سخيم انكليزية سياسياً وتيبيتية روحياً

وغزا الدالى لاما البلاد سنة ١٨٨٦ وبلغ نقطة تبعد ستين ميلاً عن دار-جلين عاصمة سخيم وهي في سفح جبال حمالايا . ولكن الجنرال كراهم ارغمه على الخروج منها بالسيف . على ان الانكليز خرجوا من تيبت بلا ضم ولا غرامة فطمع فيهم العدو المقهور

وختمت المعاهدة الانكليزية الصينية بخصوص تيبت سنة ١٨٩٠ فنقضها الدالى لاما ورفض المعاهدة التجارية بخصوص وادي خمبي وعبثاً دارت المخابرات بين لندن وباكين ولاسا من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٢

فارسلت انكلترا اجيان كازي يحمل هدايا وكتابات الى لاسا . فقابله الدالى لاما واكد له انه مقيد عن مخابرة الاجانب ولذا فهو غير مفوض بمخابرة انكلترا مع انه يرعى حرمتها . وكان في نفس الوقت يكاتب روسيا بواسطة استاذه دروجياف

Digitized by Birzeit University Library

وهاك ما جاء في الصحف الروسية لبيان السياسة الروسية :

١٢ حزيران سنة ١٩٠١ ، ترحب اودسا اليوم بالوفد التيبتي الممتاز المرسل من قبل الدالي لاما لمقابلة جلالة القيصر . يوءلف ، الوفد من ثمانية اشخاص برئاسة الكاهن جي غي

٨ت سنة ١٩٠١ تشرف وفد تيبت هـذا النهار بمقابلة جلالة القيصرة الكسندرا فيودروفنا

وجاء في نوفوفريميا بتاريخ ١٨ حزيران سنة ١٩٠١ تعقيباً على كتاب دروجياف للقيصر « ان انكسار الصين وفوز السياسة الروسية رنت اصداءوه في تيبت فكان توثق عرى الصداقة مع روسيا امراً طبيعياً لان روسيا الدولة الوحيدة القادرة ان تشكم مطامع انكلترا المتحفزة للوثوب على تيبت »

وعاد دروجياف صحبة الوفد الروسي العلمي فكانت مبادلة المخابرات مع روسيا ، ورفض كتابات انكلترا ، اهانة للانكليز ، دليلاً على مستقبل السياسة على حدود الهند وذلك اخر ما يمكن انكلترا ان تحتمله

وبناء على الحاح سفير انكلترا في باكين قبلت الصين بارسال معتمد الى « جمبا جنغ » يجتمع بالوفد الانكليزي والوفد التيبتي للمفاوضة في وضع حد للتمديات على حدود الهند ، عينت انكلترا يونغاز بند وهويت وولتر ومكدونالد ، فاجتاز هذا الوفد الحدود في تموز سنة ١٩٠٢ يصحبه مئتا جندي سيخ . ولما بلغوا جمبا جنغ لم يجدوا احداً فراجعت انكلترا الصين فاعتذرت هـذه ان الامباه تأخر وارسلت مندوباً بدله برج باكين في ك٢ سنة ١٩٠٣ وهو اليوم على الطريق وقد برج لاسا الدالي لاما فلبث الوفد الانكليزي ينتظر في جمبا .

Digitized by Birzeit University Library

جنغ ثلاثة اشهر وفي اخرها وصل من لاسا رجل دني المنزلة رفض الانكليز مخابرته. وكان ثلاثة الاف جندي يتظاهرون ضد الانكليز فرأت انكلترا ان مخابرات تيبت الروسية قد نضجت ولم تبق ندحة من امتشاق الحسام وقد ثبت للانكليز ان قد وردت الاسلحة الروسية الى تيبت وانها مستعدة للحرب وكان الاستاذ دروجياف الروسي يهيء معدات الحرب . عندئذ قررت انكلترا :

١ — تقدم الوفد الى جيانتسي مصحوباً بالقوات العسكرية اللازمة

٢ — احتلال وادي خمبي

٣ — ختم المعاهدة مع تيبت قبل الانسحاب

وولت مكدونالد القيادة ويونغانزبند السلطة السياسية. وكان قوام الحملة ٧٠٠ جندي سيخ ومثلهم فوركا ودوغ و ١٠٠ جبلي وبلوكاش رماحة ومثلهم من مدراس والبطارية السابعة ومدافع سريعة الطلق وخمسة مستشفيات سيارة ودائرة مؤن وذخائر

٥ — المشقات

لقد اطال المؤلف كثيراً في وصف مشقات الحملة ١ً — لعدم المواصلات وعدم العمران ٢ً — لشدة البرد حيث بلغ ٥٠ درجة تحت الجليد ٣ً — لوعورة المسالك في جبال حمالايا ، اعلى جبال الدنيا ، فقد اختار مكدونالد جلب باس على ارتفاع ١٦٠٠٠ فوق سطح البحر وعين برذرتن للنقليات. فسارت الوف من الجمال والابقار من كلكتا تحمل المؤن والامداد وكان صفير القطارات في سليجور يصم الاذان ، ومثل ذلك في بمباي ومدراس حيث يمكن سير القطارات، سارت ، وحيث لا يمكن سارت الجمال ،

Digitized by Birzeit University Library

وحيث يتعذر السير على هذه سارت البغال . حيث لا يمكن سير البهائم فالحمالون المنود . كانت طرق الهند وتيبت من كشمير الى بورما غاصة بالبهائم والاحمال والناس . — وفي ٦ ت٢ سنة ١٩٠٣ قامت الحملة من محطة سليجور الى حمالايا على علو ١٢٠٠٠ قدم وفيها ثلاثة الاف محارب وسبعة الاف اتباع وحواش وعبرت الحملة جلب باس في ١١ ك١ بدون معارضة ولكن ليس بدون صعوبة من الزمهرير

وكانوا يمدون التلغراف معهم خطوة فخطوة

في وادي خمبي التقوا بحكام تيبت ونواب الصين فسألم الاواون التريث ووافق الثانون على ذلك فاجابهم يونغانزبند ان التريث هنا غير ممكن فاحتجوا وانسحبوا . وبلغت الحملة خمبي في ١٤ ك١ وهي تدعى بلغتهم « نومو » اي ارض القمح مقابلة لسخيم اي ارض الارز . فحل الجيش في بهار المتحكمة في الوادي ووردت اليهم النجدات والامداد من الهند

من مظاهر الشرقيين

لما بلغ الحمالون المنود ان تيبت عازمة على الحرب هربوا جميعاً تاركين الحملة معرضة لاعظم المخاطر لتوهمهم ان الانكليز سيبادون على بكرة ابيهم مع انهم سكنوا دارجلين وزاروا كلكتا وعرفوا الشيء الكثير عن مقدرة انكلترا . عندئذ استبدلم هويط بحمالين من نيبال ولكن لما بلغت الحملة جيانتسي جعل اولئك الجبناء يتعرضون في شوارعها بالعنجهية كالظافرين

راس نهر مو

هو قطع جبل قائم كالحائط . هنا بنى الصينيون حائطاً في الطريق لصد الحملة

Digitized by Birzeit University Library

فلما بلغ الجيش الحائط ارغمهم على فتح الباب ففتحوه وتنحوا جانباً

سهل لنج مو — على ارتفاع ١١٢٠٠ قدم هبطت الحرارة الى درجة ٤٣ تحت الجليد ، فلم يرجع العسكر كل الليل لشدة البرد — والعجيب انهم عاشوا الى الصباح . وكان الاهالي يدمدمون ضد الحملة كالنحل يغون ابادتها فقصروا عن كل ذلك . وكان الحاكم يرجو القائد ان لا تدنو الحملة من الحصن حذار هياج الاهالى . ولكن بلوكين من الغور كا حلأه فبادر القائد التبيتي لتحية القائد الانكليزي وقدم المؤن صاغراً

ووردت اوامر لندن تحثهم على بلوغ جيانتسي فاسرعوا لاحتلال نونا ، وعادت القوات الى خمبي للنظر في امر النقليات . وفي ٤ ك٢ سنة ١٩٠٤ تمت معدات حملة نونا وبلغ الانكليز ان تيبت تستند في محاربتهم الى روسيا

حاكم نيبال

امد الحملة بـ ٥٠٠ ياك للنقل وكتب الى لاسا ينصح الدالى لاما بموالاة الانكليز حباً بخير بلاده كما ثبت له بالاختبارات الشخصية . واذ كان الجنرال ديون يعاكس مكدونالد بعث اليه بهذا البلاغ :

١ — لزوم مقابلته حالاً ، ٢ — تقديم المؤونة للحملة ، ٣ — والا فالقتال بعد ثلاثة ايام

في ٧ ك ٢ سنة ١٩٠٤ بلغت الحملة بونا ، وهي قرية على علو ١٥١٠٠ قدم سكانها ثلاثون نفساً وفي ١٠ ك٢ ظهرت جنود تيبت على بعد ٥ اميال

وقضت الحملة الشتاء في وادي خمبي

في ١٥ اذار قلّ نزول الثلج . وكانت روسيا قد اشتبكت في حرب

يابان . فزحف القائد مكدونالد الى غورو لمقاتلة جيش تيبت وعدده خمسة الاف مقاتل يقودهم جنرال ، وكان هـذا قد أبى دخول محلة الانكليز للمخابرة مخافة الغدر به فذهب اليه مكدونالد ويونغازبند غير خائفين غدر قومه بهما ، فرحب بهما الجنود ولكن الكهنة هاجوا وماجوا وقالوا بالقبض عليهما الى ان يوقعا عهداً برجوع الحملة حالاً ، ولولا كرم اخلاق الضباط لما تمكن القائدان من الرجوع حيين الى محلتهما بل كانا قتلا بمساعي الكهان

في ٢ اذار حمل التيبيتيون على الانكليز ولكنهم نكصوا قبلما التحموا بهم

وفي ٦ اذار زحفت الحملة الانكليزية من وادي خمبي

وفي ٢٨ منه بلغت قرية بهارين بجيش عدده ٦٠٠٠

وفي ٣٠ منه زحفت الى جيانتسي

فقابلهم ثلاثة قواد ورجوهم العودة الى نونا او يقفوا لانتظار وفد لاسا . فآثر يونغازبند الاقتراح الثاني ولبث ينتظر الوفد . على انه لما وصل هذا وحيوه التحية العسكرية لم يأت بشيء جديد سوى العبارة التي الفهـا الانكليز كثيراً وهي « عودوا الى جاتونغ » وعندئذ قرر القائد مكدونالد احتلال الحصن . وكان في طريقهم حائط فيه باب كما في مو ، ففتح الاعداء الباب وتقدم الانكليز مستأمنين فغدر بهم اولئك غدراً كبيراً منافياً للاصول الحربية ، وكان الانكليز من جراء ذلك في خطر الا انهم تشددوا وكروا على اعدائهم الخائنين فقتلوا منهم ٣٠٠ واسروا مئـات وجرحوا ٣٠٠ وغنموا ذخائرهم وبددوا شملهم . وكانت خسارة الانكليز ١٣ جريحاً

فرنث في جنبات تيبت انباء فوزهم المكين

Digitized by Birzeit University Library

فانسحب جيش تيبت امام الانكليز مدحوراً

واسرع الجنرال الصيني الى جيانتسي لمخابرة الانكليز ولما وصل، افرغ وسعه في حملهم على العدول عن احتلالها ولم يفلح

وفي ٧ نيسان قررت تيبت نهائياً مقاومة الانكليز فزحف هؤلاء الى الامام وصلوا اسمارا في ٨ منه وكنكار في ٩ منه وجبلا علوه ١٢٠٠٠ قدم في ١٠ منه

هنا صب عليهم الاعداء ناراً حامية ، فسار اربعة بلوكات غوركا في اثرهم واقصوهم فوق الثلوج

وبلغت الحملة جيانتسي في ١٤ نيسان وهي على ٢١٣ ميلاً من سليجور و١١٠ من لاسا وهي حصن حربي منيع . وحلوا الحصن والدير وكانت ملأي بالناس فرفع الجيش الانكليزي علمه فوق الدير ووجد ذخائر حربية كثيرة دليل الاستعداد الحربي وساءه ان وجد غرفة مملوءة بالرؤوس المبتورة — وهي رؤوس اوربيين

هنا زار الحملة ابن حاكم سخيم الذي له هنالك منذ سنة ١٨٨٦ وعاد مكدونالد الى خمبي لتأمين المواصلات واعداد المؤن وترك الملازم كوزيل في براند صحبة ٦٠٠ محارب و٤ مدافع ، ونقل من الدير ٤٦٠ كتاباً الى المتحف البريطاني

واستأنس الاهلون بالحملة وراجت المعاملات التجارية وانتشر الجنود في الجوار آمنين وزرعوا جنينة كانت النساء تعتني بها ، وانشأوا مستشفى لتطبيب الاهالي ، وكان اكثر الصينيين في تلك المدينة من ارباب الوظائف

Digitized by Birzeit University Library

اعظم المخاطر

في ٣ ايار ذهب ثلثا الحملة الى خيروس . فطار الخبر الى شيخانسي بسرعة البرق ان الحملة الانكليزية اصبحت ضعيفة تهون ابادتها فورد ٦٠٠ رجل لذبحها وفي اليوم السابق هرب جميع المرضى من المستشفى لئلا يهلكوا مع الانكليز . ففهم يونغانزبند انه توجد مكيدة فقبض على الحاكم كرهينة فلم يفل ذلك من عزيمة الكهان

في ليل ٤ — ٥ ايار هجم الاعداء على الانكليز وشرعوا في اطلاق النار فكان الانكليز في احرج موقف على انهم تجلدوا وصدوا الهجوم ، فنكص اولئك تاركين ١٣ قتيلاً و ٤٠ جريحاً و١٢ اسيراً ودهش الاسرى اذ رأوا الانكليز يعاملونهم بالرفق خلافاً لما توقعوا

وقالوا ان اللامبا قاد ٨٠٠ شيخانسياً مسافة ٥٠ ميلاً نهاز وليلتين

وحضرت امرأة الحاكم تحمل اليه الزاد كعادتها فاخبرت ان قد حضر ٣٠٠ راهب تصحبهم نجدة كبيرة فبلغ عدد الاعداء الفين وينتظر وصول غيرهم فكتب يونغازبند الى خيرو باس يستقدم رجاله ، وبعث الكتاب مع خادم الحاكم مهدداً بذبحه اذا لم يأت الجواب غداً . فبر ذلك بالوعد واتى بالجواب في الوقت المعين وفيه ان النجدة قادمة

وعانى الانكليز في عودتهم من خيرو باس ما لا محل لوصفه من المشقات

ولما وصلوا بلغ عدد الانكليز ٥٠٠ مقاتل واعداءهم ٨٥٠٠

هنا دخلت المسألة في طور جديد ورأى الانكليز انهم في حرب مع تيبت فوردت النجدات للانكليز من الهند واستردوا جسر جنكلي بعد معركة

Digitized by Birzeit University Library

خسروا بها ٧ قتلى و٩ جرحى والاعداء ١٥٠ قتيلاً و٣٧ اسيراً

وفي ١٣ حزيران بلغ عدد الانكليز ثلاثة الاف واعداءهم ١٦٠٠٠ فقطع مكدونالد الماء عن الاعداء ولدى الهجوم اجلى عن الحصن ٧٠٠٠ منهم فانفتح الطريق امام الانكليز الى لاسا

وفي ١٩ تموز حل الانكليز مضيقاً عند كتلونغ على علو ٢٣٠٠٠ قدم بخسارة قتيل وجريحين وخسر الاعداء ٣٠٠

فأتى الوزير باتوك تحت العلم الابيض يحمل اليهم قرار تيبت السلمي. ورجا الحملة كثيراً ان تعود الى جيانتسي (وليس الى جاتونغ كالسابق) لان لاسا مدينة مقدسة، فرفض يونغازبند توسلاته وفي ٢١ تموز سارت الحملة على بحيرة يبدوك فبلغت قرية الحمص في اسفل خمبا باس يفصل بينه وبين البحيرة نهر تسنغ بو اكبر انهار تيبت عرضه ٣٠٠ قدم وفي رماله كثير من تبر الذهب هنا ضبط الانكليز اربعين قارباً. والمعدية على ٤٠ ميلاً من لاسا، وعبر النهر الى دير الجسر الحديدي وكان الرهبان قد هجروه امام الانكليز — شأنهم في كل مكان — هنا قابل الانكليز وفد سلمي اخر يرجوهم ان لا يقتحموا لاسا المقدسة، وكان مع الوفد ترجمان صيني قاول الحملة على تمويتها

وفي ٣١ تموز عبرت الحملة اربعة اميال ودخلت الوادي على مسافة اربعين ميلاً من لاسا فبلغت نهر كي الذي يمر في وسط المدينة

وفي ١ آب اتسع الوادي وكثر فيه النبت والشجر والاديار في وسط المروج الخضراء فجازه الانكليز وصاروا على اربعة اميال من لاسا فظهرت لهم قبة الدالى لاما الذهبية

Digitized by Birzeit University Library

واتاهم النواب يرجونهم ان لا يدنسوا المدينة المقدسة وحملوا اليهم هدايا ثمينة ، وافادوا ان عشرة الاف اقسمولان لا يعيشوا اذا دخلت الحملة لاسا وان الحكومة امرت بفتح سوق للجيش الانكليزي خارج المدينة ، وامرت الاهالى ان يحسنوا معاملته، الدالي برحها صحبة استاذه دورجياف والامبان مستعد لمخابرتهم

وفي ٣ آب سنة ١٩٠٤ بلغت حملة يونغازبند لاسا ، ودخلها البيض لاول مرة في تاريخ العالم

كان في قرية شاري مذبح يضحون عليه المواشي يومياً لاعالة ٩٠٠٠ راهب حرم عليهم اكل اللحوم ، وكانوا يعيشون في دير لوانغ اكبر اديار الدنيا كل الدروب الى لاسا - رومية الشرق ، ومكة البوذيين — فاجتمع الوف في ابوابها ليروا اولئك البيض الذين اقتحموا الحدود

هنا يصف الكاتب الصرح الملكي بقباب الذهب الحمراء وقصور الوزراء والامبان وغير ذلك ففتحت سوق لمعاملة الجيش فيها ٤٠٠ تاجر كلهم سيدات ومما يجدر بالذكر هو ان الاهالي في لاسا ١٥٠٠ رجل و ٧٠٠٠ امرأة وعشرون الف راهب

ولا يسعنا هنا الاطالة في شرح كل ما حدث

معاهدة لاسا

خلاصة تلك المعاهدة تندرج في عشرة بنود وهي :

١ — تقبل تيبت عهدة كلكتا بتحديد سخيم

٢ — وتفتح جيانتسي وخطوطا للتجارة الهنديه

Digitized by Birzeit University Library

٣— وتعين مفوضاً للنظر في المعاهدة السابقة

٤— وتعفي بضائع الهند من الرسوم

٥— وكذلك بين الهند وجاتونغ

٦— وتدفع غرامة ٥٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي

٧— لا يبرح الانكليز وادي خمبي قبل ثلاث سنين

٨— تدك الحصون بين جيانتسي والهند

٩— لا تؤجر ارضاً لغير الانكليز بدون رضاهم

١٠— اعتماد النسخة الانكليزية لدى الخلاف في مفاد المعاهدة

تلا ذلك ان عزات الصين الدالي لاما المقدس . اه

في منيلا ، فيليبين في ١٣ حزيران سنة ١٩١٨

— يابان —

وتدعى بريطانيا الشرق ، لانها في اسيا كبريطانيا في اوربا جغرافية وعمراناً وسياسة واقتصاداً

وهي عبارة عن مجموع جزر عديدة اكبرها اربع وهي :

١— يازو في الشمال ٢— هندو في الوسط ٣— شيكوكو الغرب

٤— كيوشو في الجنوب

مجموع سكان هذه الجزر كلها ٥٤٠٠٠٠٠٠

هذا كان سنة ١٩١١ ولا تقل اليوم عن ستين مليون نفس

اهم مدنها طوكيو العاصمة ، فاوساكا فكوبي فكيوتو فيوكوهاما ، وقد زرت جميعها وسيأتي وصفها

Digitized by Birzeit University Library

١ — اليابانيون

لم يتمكن علماء الاثنولوجي من الحاقهم باحد الاجناس ، ولا ريب في انهم مزيج عناصر ثلاثة :

١— الصينو ، سكان يابان الاصليين

٢— الملقيون اتوها بطريق فيليبين

٣— المنغول اتوها بطريق سيبيرها

٢ — دولتهم

هي الدولة الوحيدة في الارض لم تنقطع سلسلتها منذ تأسيسها وذلك منذ ٢٥٨٠ سنة . — امبراطورها الحالي يوشيهيتو هو الحلقة المئة والثالثة والعشرون من تلك السلسلة . — ولد سنة ١٨٧٩ ، وتزوج سنة ١٨٩٤ ، توج امبراطوراً في ٣٠ تموز ١٩١٢ ، اسم ابيه الامبراطور ميبي توفي سنة ١٩١٢

يدعي اليابانيون انهم سلالة الالهة وانهم آل تمدن سلف ، كانوا يستعملون الات الحرب ويلبسون الدروع والخوذ ويركبون الخيول ويأكلون اللحوم والاسماك . — يمثل صبغتهم الاجتماعية القديمة نظامهم العائلي القديم . رئيس العائلة حاكمها العسكري ، يرث خلفاءوه نفوذه ومن ذلك نشأت ارستقراطيتهم

والظاهر ان عشائرهم تفوقت على اقرانها فانتحلت الملك على ان النفوذ ظل بيد الاشراف

٣ — علاقاتها بالصين

بدأت علاقات يابان بالصين في القرن الثاني للمسيح فتسرب اليها التمدن الصيني ، ودخلتها البوذية سنة ٦٠٠ فقبلها اليابانيون مع ديانتهم — الشنتية —

Digitized by Birzeit University Library

ولا تزال الديانتان فيهـا ، فيكون الياباني بوذياً شنتياً معاً . فاذا ولد قدّم ولده الى هيكل الشنتو ليعيش سعيداً واذا مات الولد حمله الى الهيكل البوذي للجناز

وقلد اليابانيون الصينيين في شرائعهم وعاداتهم منذ القديم فسموا « المقلدين» على انهم ليسوا اكثر تقليداً من اوربا — مقلدة اليونان — الا ان اليابانيين اصح تقليداً بحيث يتعذر على الناقد التمييز بين الاصل والتقليد في تاريخهم الاجتماعي

٤ — العشائر

كان للامبراطور قديماً اراض واسعة وزع منها كثيراً على المبرزين في خدمة الدولة مدنياً وعسكرياً فنشأ عن ذلك نظام العشائر ونشبت بينها المنازعات طويلاً فلم يبق للامبراطور من السلطة الا اسمها . وسقط العامة في هوة العبودية على انهم هبوا للثورة سنة ٧٥٠ م فانتزعوا الاراضي من الاشراف وردوها للامبراطور . وعاد الامبراطور فوزعها كما السابق وعادت المشاحنات ونفوذ عشيرة فويجاكارا مدة ثلاثة قرون ولم يكن يومئذ في الامة طبقات الا الذين اثبتوا تسلسلهم من الالهة وانقسم الباقون الى الاشراف والعامة

في ذلك الزمان طردوا العينو ، سكان الجزيرة الاصليين ، الى يازو شمالاً

عشيرة مينامونو

برزت هذه العشيرة الى ميدان التاريخ في القرن الثاني عشر فقهرت عشيرة فويجاكارا وانفردت بالسلطة الى القرن التاسع عشر

وكان رئيسها الشوغون الحاكم الروحي يقيم في كيوتو

Digitized by Birzeit University Library

في هذا العهد انقسمت الامة الى اربع طبقات هي : الساموراي او الجند، الزراع ، الصناع ، التجار

الطوغو كاوا

انشأها ايايازو الشهير سنة ١٦٠٠ ، وهو من عشيرة مينامونو ، حكمت هذه العشيرة البلاد ٢٥٠ سنة فعممت السلام واحسنت السياسة

٥ــ اوربا النصرانية

بدأ احتكاك اوربا بيابان سنة ١٥٦٧ م . فرحب اليابانيون بالبرتوغاليين شأنهم مع الغرباء ، واباحوا لهم النزول اين شاءوا . ونشروا النصرانية فقبلها كثيرون مدة ٨٧ سنة ، على انهم انقلبوا بعدها الى عكس ذلك حذراً من مطامع اوربا السياسية ودسائس الكهان وتحيز المتنصرين . فطردوا الاجانب من البلاد وحظروا دخولهم اليها والغوا الحرية الدينية وابادوا المسيحيين

اخبرني المستر لومس الامريكي قال « اتيت يابان سنة ١٨٧٢ ، وعلى اثر حضوري برزت فيها دعوى جديدة وهي : ان ستة الاف ياباني في جزيرة كيوشو اعلنوا مسيحيتهم وانهم من بقايا اولئك الكاثوليك من سنة ١٦١٦ ، كانوا يمارسون ديانتهم سرا منذ الغاء الحرية الدينية ــ تأمل شدة تكتم اليابانيين ــ فسجنت الحكومة اليابانية زعماءهم فلجأوا الى زوجة السفير الامريكي ، وهي كاثوليكية ، فالتمست من زوجها مساعدتهم فكتب الى واشنطون ، فتوسطت حكومة الولايات المتحدة في امرهم لدى طوكيو فحصلوا على العفو . وعلى اثر ذلك اعلنت يابان الحرية الدينية في بلادها كما في القديم . ــ واليك القصص التالية لكشف الاحوال اليابانية في الفترة بين سنة ١٦١٥ والعصر الحاضر

Digitized by Birzeit University Library

٦ - ادمس المحبوب

وصلت يابان سنة ٦٠٠ سفينة هولندية قبطانها انكليزي اسمه « ادمس» فرحب به اليابانيون وانزلوه في سراي ايا يازو ، فبذل البرتوغاليون اقصى جهدهم لحمل الامبراطور على اغتياله وقومه . قال ادمس « غب ستة ايام من وصولنا حضر الراهب الجزويتي الى السراي (سراي ايا يازو) واقنع الفاذ اننا قرصان لا تجار . وان وجودنا عنده يثير عليه الشبهات فحبسنا . ثم اثاروا علينا الامبراطور ليقتلنا . فأبت عدالته ذلك »

ثم اطلق الامبراطور سراح ادمس واذن له بمواصلة اصحابه . فبنى ادمس للامبراطور سفينتين فسرَّه ذلك جداً واغدق عليه العطايا والنوال ومنحه قصراً فخماً وثمانين خادماً من الفلاحين فانتشر نفوذه في البلاد وساوى طبقة السامورداي وقضى في يابان بقية حياته

لكسيمان الروسي

انكسرت سفينة يابانية قرب شطوط سيبيريا ١٧٨١

وحسب اداب تلك الايام اخذ الناجون من ركابها اسرى . ونقلوا الى اركوتسك حيث ظلوا تسع سنين . ولكن كاترينا امبراطورة روسيا يومئذ ردتهم الى بلادهم صحبة الملازم الروسي لكسيمان . فجاء هذا بهم الى

Digitized by Birzeit University Library

بهم الى جزيرة يازو حيث مضوا فصل الشتاء وفي الصيف، التالي دخل بهم جزيرة هندو. وكان اليابانيون حصروا دخول الاجانب الى بلادهم في ناغازاكي فحكموا على لكسيمان بمغايرة قوانين البلاد ولكنهم عذروه نظراً لجهله القوانين ولاجل كرم اخلاق ملكته كاترين فاحسنوا رعايته وردوه بسلام الى بلاده.

ولم تدخل يابان سفينة الا هولاندية مرة في السنة بطريق ناغازاكي

٨ — الكومودر باري

عزمت امريكا على فتح يابان للتجارة والتمدن

فكتب وزيرها وبستر بلسان الرئيس كتاباً الى امبراطور يابان وبعث الى الكومودر باري اميرال الاسطول الامريكي في الصين يأمره بايصال الكتاب الى الامبراطور والحصول على جواب واخبره بخلاصة الكتاب وان الحملة سلمية ولكن لا بأس في اظهار الابهة لاجل الاقناع

فسار باري سنة ١٨٥٢ بطريق رأس الرجاء الصالح الى هنغ كنغ فوصلها سنة ١٨٥٣ ومر بشنغهاي الى يابان فوصلها في ٨ تموز وارسى في جون « ساجامي » في خليج يدو فدعي ذلك المكان المرسى « الامريكي » وهو اسمه اليوم

ولما وصل اطلق اربعة مدافع في الهواء وانزل الى البر اربعة قوارب آمراً بحارتها ان لا يكلموا احداً الا اعظم متسلط في المدينة

فحضر الى البارجة تابروسك ثاني الحاكم فأبى الكومودور مقابلته فقابل مستر كوانتي فاخبره هذا بغرض الحملة وان الكومودور يطلب « ضابطاً » يستلم كتاب الرئيس الى الامبراطور ويأتي بالجواب وان الكومودور يأمر حالاً بخروج القوارب اليابانية من بين البوارج الامريكية

Digitized by Birzeit University Library

فجعل تابروسك يسأل باي طريق اتوا ، وكيف ، ومتى ، وكان يدقق كثيراً في الفحص فلم يجب بشيء سوى الحث على سرعة انفاذ امر الكوموردور فاستأذن وذهب ليخبر الحاكم وبعد قليل عاد يحمل كتابات بالهولاندية — اللغة الاجنبية الرسمية ، والصينية والانكليزية — وجعل يتذلل ويعتذر عن عدم حضور الحاكم ، اذ لا صلاحية له بذلك وان ناغازاكي هي صلة الاجانب الوحيدة بالبلاد فلم يسمعوا له واكدوا له استعدادهم للضرب اذا لم تجب حكومته طلبهم . — عندئذ اتى الحاكم كوياما يازيمو وقابل الكوموردور ورجاه اعفاءه من هذه المهمة فرفض الكوموردور اعفاءه واوجب عليه الخضوع السريع واخيرا اتفق الفريقان على مهلة ثلاثة ايام ليخابر الحاكم طوكيو بالامر

وبعد ثلاثة ايام ورد الجواب من طوكيو بالايجاب وان سيحضر وفد رسمي لاستلام الكتاب

استلام الكتاب

في اليوم المعين نصبت المضارب على البر لاستقبال الكوموردور ورجاله ، واصطفت ستون بارجة يابانية في مدخل المرفأ صفين متوازيين وهي رافعة الاعلام الحمراء فاجتازت بارجة الكوموردور بين الصفين وصعد الى البر صحبة ٣٢٥ من رجاله

واستعد الاسطول الامريكي للضرب اذا بدت خيانة من اليابانيين

فلما وطىء البر قابلته كوكبة فرسان وسلم عليه قائدها السلام العسكري واصطف وراء الكوكبة خمسة الاف جندي وراءها الوف من السيدات بالملابس الملونة

Digitized by Birzeit University Library

فعزفت الموسيقى العسكرية الامريكية ومشي الامريكان بنظام باهر وفي اخرهم الكومودور يحف به الاجلال وهو قبلة انظار جميع اليابانيين

وقد فرشت الارض بالاقمشة البيضاء ورفعت الاعلام الحمراء على جانبي الطريق وكذلك فوق المضارب

وكان في صدر الصيوان كراسي للامريكيين يقابلها كرسيان للبرنسين ادزو وايوامي المرسلين من طوكيو لاستلام الكتاب، وكلاهما بالملابس الفاخرة فلما دخل الكومودور وقف البرنسان وحياه باحناء الهام — حسب اداب يابان — ثم جلسا صامتين كالاصنام والحاكم بازيمو في صدر الصيوان والترجمان راكع دلالة التأهب للعمل. فاحضر الامريكان صناديق الذهب وفتحوها واخرجوا الكتاب واظهروا الختوم الذهبية عليه ووضعوه على الخوان امام الحاكم والى جانبه الترجمات الصينية والهولندية. فدفع البرنس ايوامي، اكبر الاثنين سناً، وصلاً للكومودور هذه صورته:

« استلمنا كتاب رئيس الولايات المتحدة الامريكية، وصار تسليمه لجنرالة امبراطور يابان وقد سبق الاعلان نكراراً ان ناغازاكي هي مركز المخابرات الاجنبية والظاهر ان حضرة الكومودور يحسب ان ذلك اهانة له. فسلمنا بعدالة رأيه وقبلنا الكتاب بصفة مغايرة لقوانين البلاد. وبما ان المكان غير معين رسمياً للمخابرات السياسية فلا يمكن اجراء شيء منها هنا. فيمكنكم الانصراف بعد استلام الكتاب »

التوقيع

فصرّح الكومودور انه سيعود لاستلام الجواب فسأله الترجمان « أبكل هذه البوارج تعود ؟ » فاجابه « بل وباكثر منها »

Digitized by Birzeit University Library

واقلعت البوارج تاركة واحدة في المرسى الامريكي

وفي ١٢ شباط سنة ١٨٥٤ عاد الاسطول الامريكي وهو موءلف من ٣ بوارج و٤ شراعيات و٢ مخازن

وغب استئناف المخابرة مع طوكيو مدة اسبوعين قر القرار على تعيين « قرية يوكوهاما » مركزاً للاجتماع

٩ — المؤتمر الاول العظيم

في يوكوهاما عقد اول مؤتمر دولي حديث في يابان وذلك في ٨ اذار سنة ١٨٥٤

فجلس الامريكان على كراسيهم يقابلهم مفوضو يابان والترجمة ركوع في الوسط . والموظفون بالملابس الرسمية . المحلات مجللة بالاعلام ومجالي الزينة خارقة وهو اختبار جديد في تاريخ آل نيبون ودارت المرطبات في اثناء المخابرات والحلويات والكعك والساكي — شراب الارز — وظلت الجلسات سبعة ايام

وكان يتداول السوءال اليابانيون واحداً فواحداً بتأمل عميق وهدوء غريب ونظام مدقق . ولا يزيد احدهم على ذلك الا اذ سئل . وكان يجيب بعد التفكر الطويل

وفي ١٣ اذار فتح الامريكيون كنوزهم وقدموا ليابان هدايا ثمينة ومهمة وهي كثير من الاسلحة وعربة كهربائية وتلغراف مغنطيسي فسر اليابانيون بهذا الاخير خصوصاً . ولكنهم كانوا شديدي الحرص على كتمان انفعالاتهم واخيراً كتبوا المعاهدة الامريكية اليابانية الاولى

Digitized by Birzeit University Library

واليك خلاصتها:

انه حباً باستئناف الصلات الودية بين حكومة الولايات المتحدة ويابان قد فوّض رئيس الولايات المتحدة الكومودور مثيو باري نائباً عنه، وعين امبراطور يابان البرنسين ايدو صوشيما وايزا ميناساكا، يصحبهما اودينا في نظارة المالية نواباً عنه، وغب مبادلة الاراء قرروا المواد الاتية:

١ــ استئناف الصلات الحبية بين الامتين

٢ــ فتح شيمودا وماكين للبواخر الامريكية

٣ــ مساعدة السفن الامريكية المعطوبة في موانيء يابان

٤ــ ومعاملة بحارتها بالرفق ومنحهم الحرية

٥ــ ويؤذن لهم بالتجول الى حد سبعة اميال في البر

٦ــ اذا طلبت امريكا امتيازاً اخر يؤخذ الامر بالروية

٧ــ تتبادل الامتان نقودهما الفضية

٨ــ تتعهد يابان بتموين السفن الامريكية

٩ــ وتساوي امريكا بغيرها في نيل الامتيازات

١٠ــ حصر رسو السفن موقتاً بالاسكلتين المذكورتين

١١ــ اقامة قناصل فيهما

١٢ــ يوقع المعاهدة رئيس الولايات المتحدة وامبرطور يابان في خلال ١٨ شهراً

كتب في كاراكارا في ٢١ اذار سنة ١٨٥٤

**

Digitized by Birzeit University Library

١ — انقلابات مدنية

كان في يابان حا كمان — مدني وهو ميكادو ، وروحي وهو الشوغون —. وقد حصرت الجندية في عشيرة ساموراي والحكم في عشيرة طوغوكاوا. فعلى اثر دخول يابان في سلك الدول المتمدنة حصل فيها الانقلابات الاتية :

١ — سقوط الشوغون وحصر القوة في الميكادو سنة ١٨٦٨

٢ — الغاء الطوغو كاوا وقبض الامبراطور على ازمة الاحكام سنة ١٨٧٠

٣ — خلع الاشراف والغاء اللامركزية سنة ١٨٧١

٤ - احتلال اليابانيين فرموسا سنة ١٨٧٤

٥ — قمع الثورة العسكرية سنة ١٨٧٧

٦ — اعلان الدستور الياباني سنة ١٨٩٠

٧ — حرب الصين سنة ١٨٩٤

٨ — معاهدة شيمو نوزاكي سنة ١٨٩٥

١١ — الادارة الحكيمة

وعندئذ عينت يابان :

١ — مستشارين انكليز لمد السكك الحديدية والتلغرافات وبناء منائر وترقية الاسطول

٢ — مستشارين فرنسويين لتدريب الجيش وسن قانون دولي

٣ — مستشارين اميركيين للتهذيب والبريد والزراعة

٤ — مستشارين المان لتعليم ضباط والطب والطبيعيات وسن قانون تجاري

٥ — مستشارين ايطاليين للحفر والرسم والفنون الجميلة

Digitized by Birzeit University Library

١٢ — حرب روسيا

عقدت ١٩٠٢ المعاهدة الانكليزية اليابانية وخلاصتها تعاضد الدولتين في الشرق اذا حاربت احدهما اكثر من دولة واحدة

والمقصود بها غل يد المانيا او فرنسا عن العمل مع روسيا ضد يابان

وفي ٦ شباط سنة ١٩٠٤ قطعت صلات يابان بروسيا وفي ليل ٨ — ٩ بغت طوغو بنسافاته الاسطول الروسي في بورت ارثر، فحطم بعض بوارجه وعطل بعضها فاختل التوازن بين الاسطولين وانفرد الاسطول الياباني في تلك البحار

في ٩ منه ضرب اسطول يابان اربع بوارج روسية في شمولبو كوريا

في ١٥ اذار ضرب الجيش الياباني لروس في ويجو قرب يالو

في ٢ نيسان عبر نهر يالو الى منشوريا

في ٥ منه حل كنشو وحصر البورت

في ٦ منه طوق بورت ارثر تماماً

في ١٣ منه ضربوا الدارعة بانرابو فلاسكا فاغرقوها وبها الاميرال مكاروف و٨٠٠ بحار روسي معه

في ١٠ آب حطموا الاسطول الروسي في جنسان

في ١٤ منه كسروا الروس في لياوينغ

في ٦ ت ١ صدوا الجيش الزاحف لنجدة البورت

في ١ ك ٢ سلم ستوسل قائد البورت لليابان فاسروا ٤٠ الفاً

Digitized by Birzeit University Library

٢١ شباط الى ٩ اذار كانت معركة موكدن الفاصلة خسر بها الروس ٢٠٠٠٠٠
في ٢٧ ايار دمر طوغو اساطيل الروس في صوشيما
فعقد الصلح بين الفريقين في بورتسموث امريكا ، وتخلت روسيا عن
كوريا ومنشوريا ونصف جزيرة سخالين لليابان
واطلقت يد يابان في بور ارثر
وسنة ١٩١٥ اتحدت يابان مع الحلفاء ضد المانيا وانتزعت منها سنغ طاو
وحلت سنة ١٩١٨ فلاديفستوك
واتفقت مع الصين على احتلال ولاية شانطونغ وقد آلم ذلك سياسيي
الامريكان . — هذه خلاصة تاريخ يابان

١٣ — مركزها الاقتصادي

كانت صادراتها سنة ١٨٧١ ... ١٧٩٦٨٠٠٠ يان
فصارت سنة ١٨٨٠ — ٢٨٩٥٣٠٠٠ "
وسنة ١٩٠٠ — ٤٤٢٩٠٠٠ ٢ "
وسنة ١٩١١ — ٤٤٢٦٩٦٨٤٢ "
وسنة ١٩١٨ — ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ "
وبلغ دخل حكومتها سنة ١٩١٧ — ٨١٤٥٣٤١٢٧
وخرجها ذات السنة — ٥٥١١٠٥٦٠٠

بيان صادراتها ذات السنة

٣٣٣٢٩٤٠٩٤ حرائر ومنسوجاتها

Digitized by Birzeit University Library

٨٢٣٩٠٠١٦	قطن ومنسوجاتها	٢٢٧٠١٤٠٢	زيوت وادهان وشمع
٩٩٧٦٢٨٥٣	غيرهما من الاقمشة	١٩٢٣٠٧٠٩	سكر وحلويات
١٢٠٤٣٢٤٤٨	ركاز معادن	١٦٥٩٩٦٦٦	حلى
٦٢٤٠٩١١٠	عقاقير طبية	١٦٠٨١٩٧٧	شاي
٣٤٩٤٣٤٥٧	الات	١٤٩٣٣٢٧٠	بضائع بحرية
٢٤٣٧٦٤٢٨	معادن مصنوعة	١٤٣٥٠٨٠٤	ورق
١٢٥٠١٤٠٣	خزف وزجاج ونحوهما	٥٧٦٦٥١٩	جلد شعراني
١٩٨٠٢٥٢٥	مأكولات	١٠٢٨٦٢١٨٤	شتى
١١٢٧٤٦٨١١٨	المجموع		

١٤ — المعارف في ابان

كان عندها في سنة ٩٠٩، ٢٦٣٨٦ مدرسة بدائية طلبتها ٧٣٠٤٨٩٧ و٨٦٤٠ مدرسة تجارية طلبتها ٣١٢٣٥٩ و٤٠٠ مدرسة صناعية طلبتها ٣١٠٠٠ و٦٣٣ مدرسة متوسطة و١٥٨ عالية ٢٠٤٠٠٠ و٢٥٠ مدرسة للاناث طلبتها ٩٠٠٠٠ و٦٦ مدرسة اهلية طلبتها ٦٠٠٠٠ و٢٣٠ كلية و ٤ جامعات للحكومة طلبتها ٦١٠٠٠ و١٢ جامعة اهلية و٥٥ للعميان والخرس طلبتها ٢٥٧٠ و٤٩٧ كنتر غاردن للاطفال فيها ١٥٢٠٢

Digitized by Birzeit University Library

١٥- شركاتها البحرية

اهمها خمس وهي : اولا نيبون يوزان كيشا انشئت سنة ٨٨٤

٢ اوساكا شيزان كيشا انشئت سنة ٨٨٥

٣ طويو كيزان كيشا انشئت سنة ٨٠٦

٤ نيشين نيزان كيشا - ٥ نانينو يوزان كيشا

وقد ركبت بواخر كل هذه الشركات واختبرتها

شركة نيبون ويلفظونها نيهون ومعناها يابان قدمت هذه الشركة للحكومة في حرب الصين ٥٤ باخرة وفي حرب روسيا ٧١ باخرة

كان رسمالها سنة ٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ٢٢ يان

فبلغ سنة ٩١٧،٠٠٠،٠٠٠ ٤٠ يان وبلغ سنة ٩١٩،٠٠٠،٠٠٠ ١٠٠ — يعدل اليان نصف ريال اميركي — ولها وكلاء في كل اساكل الدنيا واليك خطوطها الرسمية : اولاً — هنغ كنغ فيليبين كندا سياتل ، ثانياً — يابان فيليبين اوسترالیا ، ثالثاً — يابان هنغ كنغ سنغابور كولمبو جنوبي افريقيا لندن ، رابعاً — يابان هنغ كنغ سنغابور كولمبو بمباي ، خامساً — يابان هنغ كنغ سنغابور رانكون كلكتا ، سادساً — يابان هنغ كنغ سنغابور كولمبو — رأس الرجاء الصالح سابعاً — يابان هنغ كنغ سنغابور باب المندب السويس مرسيليا ، ثامناً — يابان هنولولو بناما نيويورك ، تاسعاً — يابان جافا — سومطرا كلكتا لندن ، عاشراً — يابان شنغهاي ، حادي عشر — يابان فرموسا ، ثاني عشر — يابان فلاديفستوك ثالث عشر — يابان سنغ طاو ، رابع عشر — يابان نيو شوانغ — تياشين ، و١٥ و٦ ، و١٧ بين اساكل يابان

Digitized by Birzeit University Library

اساكل يابان

في يابان خمس اساكل كبرى وهي : يوكوهاما ، كوبي ، ناغازاكي ، موجي اوساكا وعشر اساكل من الدرجة الثانية

١٦ — مواصلاتها البرية

في يابان ٧٦٠٠ ميل من السكك الحديدية على ضيق مساحتها

راقبت قطرها في محطات ناغويا واوساكا فكانت متواصلة واحياناً يلتقي في المحطة الواحدة قطاران او اكثر . علاوة على ذلك لها خطوط عربات كهربائية بين اكثر مدنها وفي كل ذلك للركاب ثلاث درجات .

ركبت مرة قطار يوكوهاما من كيوتو في الدرجة الثانيه فكان الخادم يكنس العربة في كل محطة وبذلك ظل القطار نظيفاً كل الليل

ولم الق افضل من آداب خدم الدرجة الاولى

وكانت المراوح الكهربائية والانوار الساطعة والحمامات في احسن حال . فلم تكن لراكب شكوى

١٧ — في يابان ثلاث ديانات

١ — الشنتية فيها ١٣ مذهباً و ١٥٠٠٠٠ كاهن و ١٦٠٠٠٠ هيكل

٢ — الصينية فيها ١٢ مذهباً و ٥٣ الف كاهن ١٧١ الف هيكل

٣ — المسيحية وفيها روم ارثوذكس ٣٢ الفاً وكاثوليك ٦٤ الفاً وبروتستانت ٢٠٠ الف

****

Digitized by Birzeit University Library

١٨ — لغة يابان

تؤلف من ٤٨ حرفاً هجائياً لكل منها رسمان فالمجموع ٩٦ ومنها ٣٤ تلفظ نوعين ونستعمل فيها رسوم اللغة الصينية . وتنحصر اصوات لغة يابان في الاتية : آباساكاتاها ماياراوانا

ولكل صوت خمس حركات كما في اللغة السريانية وليس في لغتهم ح خ ع غ ض ظ ل ليس فيها حرف ل فيستعملون بدلها الراء فاذا ارادوا القلبَ قالوا كروبا واذا ارادوا الحبلَ قالوا حبرا . هكذا لفظهم

زرت كبار عواصم يابان من ناغازاكي الى طوكيو وخالطت الاقوام ودرست لغتهم وسأثبت ما رأيته فيهم من الاخلاق والعادات

كان رئيس الوزارة يوم زيارتي اياها تروشي الشهير . ولد سنة ٨٥٢ ومات سنة ٩١٩ — سقطت وزارته كما سيأتي سنة ٨١٨ وخلفتها وزارة هارا رئيس الديموقراطيين

المقالة الثالثة والعشرون — ناغازاكي

اول جزر يابان من الغرب كيوشو سكانها ثلاثة ملايين

اعظم مدنها هيكازا سكانها مئة وثمانية وثمانين الفا ومينا ميتا سكانها مئة وثمانون الفاً والثالثة ، وهي الاسكلة والقصبة ، ناغازاكي سكانها ١٧٥٠٠٠

واليك وصف دخولها في ٥ ايار سنة ١٩١٨ من يوميتي

Digitized by Birzeit University Library

عن ظهر الباخرة منلا مارو

ظهر بر يابان للعيان مسوراً بسلاسل الجبال الخضراء . نحن الان في مركز دائرة محيطها الشطوط ، وناغازاكي نقطة في ذلك المحيط

لقد برزت غزالة النهار تحيي اختها شمس العلم الياباني الخافقة فوق الباخرة تتلاعب بهـا الرياح . ونشرت على سطح البحار بساطاً فضياً فملأت الشرق الاقصى بهجة وحبوراً

كلما دنونا من الشواطىء زادت جبـالها ارتفاعاً وبحرها هدوءاً وسكينة . فلما بلغنا المرفأ بلغت قمم الجبال السحاب وخمدت انفاس العجاج المتلاطم الامواج فكاني به يغسل بدموعه اقدامهـا توبة عما بدر منه من الهياج على بواخرها في اعماق البحار

لقد ظهرت الجبال عن بعد حلقة واحدة والان اراهـا حلقات متداخلة حول المرفأ كأنها خطوط دفاع قامت تحمي يابان . وقد الفت في عرض البحار سداً منيعاً فاغنت الامة والحكومة عن بناء السدود . ذلك ان الخليج ضاق حتى خلنا اننا بلغنا الشط . واذا فتحة في وسط الجبال دخلنا فيهـا الى حوض هادىء جداً ضمن حلقة الجبال ـ فهو حوض طبيعي ـ والشطوط تجاهنا كلها ابنية ـ فالى اليمين ناغازاكي ـ تقابلها دار بناء السفن او معمل متسوباشي ، اكبر معامل يابان البحرية

لقد هبّت النسمات عليلة وحامت الطيور حول الساري تداعب العلم الياباني وخرج البحارة والركاب الى اعلى الظهر يسرحون ويمرحون ويفرحون كأن هواء اليابان وشمسها انشأ فيهم حياة جديدة وسروراً جديداً . وكانت

Digitized by Birzeit University Library

البواخر قادمة الى الحوض من كل الجهات واعلامهـا ترقص في الهواء كأنهـا يحيى احدها الاخر . امام هذه المشاهد هاجت اشواقي وقلت .

تذكرت الديار ، ديار سلمى وحنّ القلب للربع الكريم
هجرتهم حـديثاً رغم انـفي وهم صحبي المفدى من قديم
فسلام على ارض نيبون وسلام على سوريا وسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا

ناغازاكي

١ ــ اوصاف واختبارات

مدينة بسطية المظهر هادئة ــ تمثل الامة اليابانية ــ يظن من غمض عينيه فيهـا انهـا خالية خاوية ضيقة الشوارع نظيفة الجنبات صغيرة المخازن وافرة البضائع اكثر عمالها سيدات

نساءوها بدويات المظهر يحملن اطفالهن على الظهور كالبداوي لكنهن مملوءات صحة . لباسهن مزيج عديم الهندام لكنه نظيف جداً . هن عديمات الحلى بالكلية لكنهن انيسات .

يسير الترام في ناغازاكي في شارع واحد لقرب الجبل من البحر فلم يترك للكار مجالاً . وكثير من بيوت المدينة على سفح الجبل في وسط الحراج

لقد هالني اصطكاك الابنية وضيق الشوارع وكلهـا من الاخشاب فماذا يحدث لو شبت النار ؟ قال لي احدهم ان مثل ذلك كثير الحدوث في يابان . وهو شديد الخطورة عليها

Digitized by Birzeit University Library

جلت في اسواق ناغازاكي فكنت اذا ارى احداهن احسبها تلميذة مدرسة دون سن الرشاد صبوحة الوجه صغيرة الملامح فاذا بها تحمل طفلاً على ذراعها وتجر اخاه بيدها الثانية والثالث ماسك بثوبها : فهي ام ثلاثة وظاهرها يدل على انها دون الرابعة عشرة من العمر

٢ — حديث الركشاوي

لما وطئت بر يابان لاول مرة لاقاني شاب نشيط وقال اتريد ركشاو؟ فاجبته بنزق وحدة « لا » ذلك ما الفته في بر مصر مع انني غاية في الحاجة الى ركشاو . والى الان لا اعلم لماذا اجبته هكذا فلم يغضب كالصيني ولا تذلل كالهندي ولا حرد كالسوري ولا خاصم كالمصري بل دنا مني برجولية كيابانى وهمس في اذني قائلاً « اعطيكها بثلاثين سنتاً الساعة » تعدل ١٥ سنتاً امريكياً

١٥ سنتاً اجرة مسح الحذاء في امريكا او هدية لخادم المائدة في احقر المطاعم ، أفلا ارضى بخادم وترجمان وعربة بالساعة بهذا المبلغ الزهيد ؟ فبالطبع اجبته بالايجاب . وللحال كنت راكباً الركشاو . فقال الى اين ؟ فأريته قائمة طويلة بيدي فيها المصرف والمطبعة ومخزن الكتب وبيت البواخر والقنصلاتو وبيت المرسلين والهيكل الشنتي والمدارس والاسواق . وقلت له عليك ان تختار الاول فالاول لانك تعرف المواقع . فسار بي بحر الركشار كأنه دئم الفلاء ، وهي اول مرة خدمني فيها ياباني في بلاد يابان . فكنت ادرس الشوارع حولي الى ان يدعوني للنزول فانزل لقضاء الحاجة اللازمة من صرف نقود او شراء جرائد او السوءال عن ميعاد البواخر الخ . ثم اعود فاركب . ان كل المدة التي يمكني ان اقضيها في المدينة اربع ساعات منها ساعة للغداء وثلاث للجولان

Digitized by Birzeit University Library

٣ — بنات المطعم

بعد جولان ساعتين جمت فهمست في اذنه انني اريد مطعماً بسيطاً قلت ذلك مخافة تكرار رواية هنغ كنغ حيث دفعت رسم الغداء ثلاثة ريالات ولا ادري، ماذا فهم مني . فسار بي الى بناء كبير يدل ظاهره على الفخامة وقد كتب على بابه بالانكليزية « مطعم » فوقف وقال تفضل انزل ، فاخذته جانباً واسررت اليه انني لست اريد مطعماً فخماً كثير النفقة ، فقال هذا موافق . فدخلت متكلا على الله وانا اجهل ما وراء الباب

دخلت الباب فاذا حاجز زجاجي حول العتبة ، ولما اجتزته اذا الى يسار المدخل سيدة مناهزة الخمسين حسنة الصحة كأنها سورية الملامح ترحبت بي ، فقلت لها اعندكم طعام ، قالت ببشاشه « من كل بد ، عندنا بيض مقلي ، بيض وهام ، بيض و . . . » فقاطعتها قائلاً كفى كفى ، اريد بيضاً مقلياً وفنجان شاي . واشرت الى الركشاو ان إذهب وعد الي بعد ساعة . قلت ذلك لكي لا يحسب علي اجرة الركشاو ساعة اكلي . قال نعم . ودخلت انتظر الطعام . وكنت قد ابتعت جريدتين لاقف على اخبار المعارك في ميدان السوم وغيره ولم انتبه للمكان الذي انا فيه ، ومن عادتي الذهول عن محيطي حين القراءة . على انني لحظت ان السيدة المذكورة خرجت من الباب للحال وبعد مدة طويلة عادت تحمل شيئاً ظننته زبدة لقلي البيض . فشعرت ان المكان ليس مطعماً ، عندئذ رفعت عيني لانتقاده فاذا لا أحد غيري على سعة المكان ، وحولي قناني كثيرة فلمَ هذه القناني ؟ وما شأن هذه الصبية امامي كالقمر ؟ أهكذا كل خدمات يابان ؟

Digitized by Birzeit University Library

ولكن المرشال هايغ وهندنبرغ وخط الاين وامیان واحوال روسيا شغلت افكاري عن الحسان والمكان ـ ولا يقدر احد ان يخدم سيدين

الان حضر البيض المقلي والسمون تغمره ـ ماذا ؟ هـذا الصحن ليس صنع مطعم : كثير البيض و كثير الادام : خمس بيضات مقليه باسمن بدل دهن الخنزير فما الخبر ؟ ما اكرم هذا الركشاوي ! وللحال شرعت آكل بالشوكة او بالخبز لا اعلم ولكن اللقم كبيرة : مشغول وجائع ووقتي محدود

فأتت الحسناء تتهادى، واذكر جيداً رائع جمالها ورونق محياها فانها تخجل البدر وجهاً والبان قواماً والحور عيناً والدر لساناً يتدفق اللطف من ثغرها تدفق سمن البيضات في حلقومي فوضعت الشاي امامي ومالت الى المائدة بدلع وضحكت بغنج وقالت ماذا تشرب ؟ فامسكت الصحن بيدي مخافة ان تميل المائدة فيهوي وهو الان غنيمتي وقلت لها وعيناي على الصحن اشرب ماء (ووتر) فلم تفهم ما قلت . فقالت ماذا ؟ ـ وَذَر ؟ قلت لها بنزق وصوت عال ـ ووتر ووتر ـ فجمد الدم في عروقها ولم تفهمني (واظن انني اول حمار اجتمع بتلك الغادة الوجناء) وكانت رفيقتاها تتلصصان من الكوة بين غرفتنا وبين المطبخ فانجدتها كبراهما واثني تتجلى النباهة والمدارك في عينيها . حقاً لا اذكر هل هما يابانيتان او يهوديتان ـ فقالت تلك ماذا تريد ياسيدي ؟ قلت لها معانياً : اريد ووتر ورفيقتك تقول وَذَر ـ فصاحت : مدزوء مدزوء ـ تعني ماء ـ وضحكن جميعاً ـ الان انكشف السر . حين يزورهن احد يسألنه اي انواع الخمور يريد ولكن حضرتي في كل حياتي لم اذق بنت الحان ولا غازلت احدى الحسان فكنت اجنبياً عندهن وكن اجنبيات عندي . الان فرحت

Digitized by Birzeit University Library

لان عندي موضوع للكتابة

فسحبت قلمي ودفتري

ووضعتهما على المائدة واعدت الكرة على البيضات وسألت هذه النبيهة وهي تنتقدني « اعندكم غرف للنوم ام فقط مطعم ؟ فاجابت ليس هذه لوكاندة يا سيدي فقد كانت سابقاً لوكاندة اما الان ف إ أو تمخجلت وعينها علي

عندئذ شعرت بهول الموقف ورأيت المعركة حامية بين البيضات والقلم والوقت والضمير والحسان ورأيت امامي الدفاع او الاسر ، وهو عار عليّ بعد الخمسين فرفعت راسي وثبت نظري عليها كأنني أكلم ابنتي او خادمتي « انا جوعان ، وعلى بابكم مكتوب "مطعم" ولما دخلت الباب سألت هل عندكم طعام فقالت السيدة نعم ، فللاكل دخلت الى هنا » وصورة التعبير هذه (للأكل دخلت) بتقديم المتعلق على الفعل يراد بها الحصر كما تعلمت في البيان منذ ثلاثين سنة ومعنى العبارة حسب الاداب العربية « انني دخلت الى هنا للاكل فقط دون غيره ».

وتلك الفتاة ترقب ملامح وجهي ونبرات صوتي ففهمتني على قدر ما اردت ان تفهمني وقالت اهلاً وسهلاً بك يا سيدي كيف اتيت

فارتاح فكري عندئذ ان المعركة انتهت على سلام — فسألتها كم ثمن الغذاء ؟ قالت يان واحد — نصف ريال امريكي — فنقدتها الثمن ولحظتها تقلبه في يدها كأنها تستعظمه . ففهمت انها غير متعودة على بيع الاكل ، ونظرت في ساعتي فاذا قد مرّ ثلاثة ارباع الساعة وباقي ربع لميعاد الركشاو . فاردت ان اخترع ما يشغلني فسألتها فنجان قهوة كبيراً وللحال كان الفنجان امامي ، قدمته

Digitized by Birzeit University Library

لي بكل ادب وتنحت جانباً فسألتها كم ثمنه ؟ فقالت برصانة كفى يا سيدي ، لا تدفع شيئاً بعد فليس هـذا محلك . قالت ذلك بجد ووقار كاد يوثر في نفسي . عندئذ اردت مجابرتها فقلت ان محلكم نظيف وراقٍ وانا الان مسافر ولكن اذا عدت الى ناغازاكي فسأزوره اولاً ، فتشجعت وقالت ليس عندنا زبن يابان بل كل زبننا انكليز . ورأيت وراء بلور العتبة شبحاً فسألتها من هذا ؟ قالت الركشاو فنهضت حالاً لا كمال السياحة ولم ادفع لها الهدية التي تدفع عادة للخدم وذلك بقصد مني

خرجت وانا افكر في انه هل خرج من هذا المحل احد سالماً غيري ؟ وهل لو دخله ابني يخرج سالماً

ليست هذه الحادثة الوحيدة من نوعها وانما ذكرتها كمثال لما يحدث للمسافر في غربته

٤ — المرسل سبنسر

من المطعم سرنا توا الى الخواجا سبنسر

وهو مرسل امريكي شاب اشقر اللون لطيف المعشر له قرينة تحاكيه رقة ولطفاً ، ولم ارَ اجمل من الاثنين الا ولدهما الابيض وهو دون السنتين من العمر فكان كالملاك هذا جعل يمد يده البيضاء وهو على كتف امه ويقول باي باي . يعني مع السلامة . — فما اعظم الفرق بين المطعم وبين هذا البيت

عن سبنسر اخذت المعلومات الاتية :

في ناغازاكي نحو مئة نفس من الانكلوسكس . وقد اتاها حديثاً كثير من الروس لسبب الاضطرابات في داخلية روسيا

Digitized by Birzeit University Library

معمل متسوباشي

هو اكبر دار لبناء السفن والبواخر في يابان ، وله فروع في كوبي عدد عماله ٣٥٠٠٠ ومساحة ابنيته ١٥ فداناً مربعاً - وعددها ٧ ابنية . وله ثلاثة ارصفة طولها ٣٥٠ قدماً و٥١٠ و٧١٤ تتحرك اكثر الاته بقوة الكهرباء وفيه ١٥٠ مهدة (مطرقة) كهربائية وقد انجز حديثاً اكبر باخرة صنعت في الارض محمولها ٣٣٠٠٠ طن وكل جزء منها صنع في يابان

وفي ناغازاكي معمل قطن فيه ٤٠٠٠ عامل

للحكومة في كيوشو ٤٤٦ مدرسة ابتدائية طلبتها ١٥٣٢٥٠ و٩ متوسطة طلبتها ٤٤٦١ وواحدة طبية طلبتها ٦٠٠ وواحدة تجارية للبنات طالبتها ٣٠٠ و٣ للمرسلين الامريكان وواحدة لمبشري الكاثوليك

٥ - الهيكل الشنتي

بعد فراغي من المعلومات ذهب الزكشاوي الى الهيكل الشنتي واذا بطبل كبير معلق امام الباب فسألته لماذا الطبل ؟ قال يضرب به الكاهن حين يدعو الناس الى الصلاة . ففهمت ان الطبل عندهم بدل الناقوس عند النصارى والمأذنة عند المسلمين

تمتاز ناغازاكي بامور ، منها :

١ — كونها صلة يابان الوحيدة باوربا مدة المقاطعة من ١٦١٦ الى سنة ١٨٥٤ — ٢ كونها مستودع الفحومات للبواخر . تقف بها للتموين ومن الذ مشاهد سفري رؤية ثلاثماية ياباني ينقلون الفحم — ستة الاف طن — من عشرين قارباً الى اكبر باخرة

Digitized by Birzeit University Library

٣ــ مرفأ الامين الهادي ، الحصين طبعاً ٤ قلة الاجانب فيها مع كونها من اشهر الاساكل ٥ اقرب اساكل اليابان الى البر الاسيوي

المقالة الثالثة والعشرون

البحر الداخلي

بين جزر يابان بحر صغير يدعونه " البحر الداخلي " لم يكترث له الجغرا- فيون نظراً لصغره ولكنه استمال نظري اكثر من كل شيء في يابان ، وهو بين جزر يابان كبحر الروم بين القارات الثلاث . طوله نحو ٢٠٠ ميل وعرضه ٥٠ وفيه من الجزر ما لا يحصى ، اهمها

جزيرة اواجي

يعتقد اليابانيون انها بكر الخالقين . تقع هذه الجزيرة في مدخل خليج اوساكا ، يمتد منها لسان نحو كوبي فالى يمين يمينها زقاق ناروتو تجاه مدينة ناغو- شيما ، والى يسارها زقاق يورا تجاه مدينة واكاياما ، عاصمتها بلدة سوموتو في الجنوب الشرقي . نفي اليها الامبراطور جونين سنة ٧١٤

منافع البحر الداخلي

١ انه يجعل محيطه في قبضة الحكومة لتحكمه في اساكلها وبيوتها وشوارعها .

٢ يسهل مواصلات البلاد ، يجتازه الراكب في وقت قصير وفي بعض المواضع نرى البيوت المتقابلة على الجانبين

٣ امين المسالك من كل خطر يهددها لانه كبحيرة كبيرة في وسط البر .

Digitized by Birzeit University Library

رأيت في بعض رفارقه خيران لطيفة يلعب بها الاطفال دون سن الخامسة بالقوا.
رب الصغيرة دون ادنى خطر

٤— يغرس في قلوبهم الطمأنينة من العدو الخارجي لمناعة مدخله . ترى البا.
بانيين على شاطئه وكأنهم يقولون :

لنا بحر يحتله من نجيره منيع يرد الخصم وهو ذليل

٥— يعوض على محيطه من الامطار ما تخسره بسبب سلاسل الجبال المعترضة
بينها وبين البحار الخارجية وبذلك عم البلاد الخصب فكثر عدد الامة وتفاهمت
وسادها الهدوء بخلاف الصينيين الذين انعدم بينهم التفاهم لبعد المسافات
على شطوط هذا البحر كثير من امهات مدن يابان وقد طوقته السكك
الحديدية

بعد نصف ، ساعة

تحوّلت الباخرة شرقاً تجاه الزقاق — بوغاز جبل طارق اليابان — مياه البحر
هادئة جداً كأنها صفيحة من الماس، او مرآة صقيلة تجاه النبراس . نكسو الجبال
على الجانبين الخضرة والزهور ، تحتها المدائن الزاهرة . موجي الى يميننا على جزيرة
شيكوكو ، وشيمونوزاكي الى يسارنا من جزيرة هندو

الان برزت المداخن ، فالمعامل ، فالبيوت ودنت باخرتنا من البر ، فترى
العنوانات فوق الابواب . ولو شئنا لكلمنا سكان تلك البيوت لفرط القرب منهم
شيمونوزاكي ، في كعب هندو ، كجبل طارق في كعب اوربا.
والفرق الوحيد بين الاثنتين ان الخصب هنا اوفر . والبواخر تروح وتغدو
كالاعلام

Digitized by Birzeit University Library

مساء

الان غربت الشمس . لكن لم يغب بغروبها الايناس بل تعزز . انظر الان منظراً من اجمل المناظر الكونية ، اذ تشق كبد الظلماء عشرات الالوف من المصابيح متدرجة على سفوح الجبال كانها سلم يعقوب الموصل الارض بالسماء . اراها تتألق في تلك الحنادس كالكواكب في جوف الجرة . فكأني بها تحيي السكان على الجانب الاخر وبذلك تزيد الايناس في قلوبهم . فالبحر الداخلي مهذب يابان

اليابانيون شعب يسكن آمناً . اذ خصتهم الطبيعة بقسم وافر من النعمة والحبور . وقد شرعوا يستدرون الثروة على صفحات البحار وفي قنن الجبال . فشرع العالم يشعر باهميتهم ويحلهم محلهم في ميادين الحضارة

المقالة الرابعة والعشرون

— في غربي يابان —

اسعدني الحظ بالعودة من فيليبين في اول آب سنة ١٩١٨ وكنت هذه المرة من ركاب الدرجة الاولى . ويحق لي ان انتقل من الباخرة الى السكة الحديدية على حساب الشركة

وبما ان السياحة من اغراضي والبحث والتنقيب من مقاصدي رأيت ان اترك الباخرة في ناغازاكي واركب القطار الى كوبي

١ — في المرفأ ، وصلت الباخرة متأخرة كثيراً واعاقنا البوليس اكثر في فحص الجوازات فلم نتمكن من الخروج من الباخرة الى الليل وكان وقت ميعاد سفر القطار . فخرجت من الباخرة الى المحطة

Digitized by Birzeit University Library

٢ — في المحطة

كان برفقتي ثلاثة يهود من روسيا ، احدهم غانية تلعب في المراسح ، فد- خلنا الاربعة غرفة الناظر نطلب محلات في القطار الى كوبي فحدثت بيننا المدا- عة الاتية :

الناظر — يلزم ان تدفعوا خمس يانات عن كل راكب اجرة سرير للنوم

نحن — لا ندفع لان اوراق القطار بايدينا تجيز لنا الركوب

الناظر — نبيع نكم اوراقكم ركوب القطار العادي وبما انكم تأخرتم الى الليل فعليكم ان تدفعوا اجرة الاسرّة

نحن — لا نريد اسرة ولذا لا ندفع

الناظر — لا محلات ركوب في الدرجة الاولى بدون اسرّة

نحن — وما قولك في الدرجة الثانية

الناظر — اجرة السرير في هذه ثلاثة يانات فقط

فاشرت الى رفاقي الروس ان لا يقبلوا بذلك ولا يدفعوا ، ولكنهم قبلوا ودفعوا ٩ يانات ونزلوا من الدرجة الاولى الى الثانية

ان اليابانيين لا يعتبرون كثيراً جيرانهم الروسيين وعندهم منهم مئات في حالة الذل اما انا فمعروف عندهم افرنسياً ، وللافرنسي اعتبار عظيم في يابان

فالتفت الناظر الي وقال : وانت ؟ قلت له : انا انا ، اعرف حقوقي واطا- لب بها . — فقال الناظر انتزل الى الدرجة الثانية وتدفع ثلاث يانات ؟

انا — لا انزل ولا ادفع فانني فرنسوي واذا انزلتموني الى الدرجة الثانية فيجب انكم انتم تدفعون الفرق

Digitized by Birzeit University Library

الناظر — ضحك وقال : نحن لا ندفع بل نقبض

انا — (بدون ضحك) لا انزل ولا اصعد بل اركب حسب ورقتي

الناظر — واجرة السرير ؟

انا — لا اريد سريراً ولا غطاء بل الركوب بهذه الورقة

الناظر — لا موضع عندنا بدون سرير

انا — اكتب كلامك هنا على الورقة وانا اعرف شغلي غدا

الناظر — لا اكتب

انا — اذا كنت صادقاً فانك تكتب ، والا فدعني اركب حسب ورقتي

عندئذ لانت ملامسه وقال اتبعني فتبعته الى عربة الدرجة الاولى ، واذا فيها اربع كنبات خير من افضل الاسرَّة كان حظي واحدة منها كل الليل

اذا اراد ان يستدل بهذه القصة على اخلاق اليابانيين فهو حر

٣ — موجي

لم يتسنَّ لي مراقبة البلاد على الطريق لحيلولة الظلام ليلاً على انني في الصباح مررت بمحطات باهرة وروج وجنات زاهرة وكلها مكنوسة مرشوشة بالماء . وبوليسها قائم على خدمة المسافرين اتم قيام . وباعة الصحف وارز المطبوخ والسكاير بكثرة في كل منها وكل ذلك دون ادنى جلبة او صياح ، كما هي العادة في كل اقسام يابان

٤ — معمل الفوذ الامبراطوري في ضواحي موجي

يشغل هذا المعمل ٢٢٥ فداناً مربعاً من الارض ، وقد مد في اقسامة ٢٥ ميلاً من خطوط السكك الحديدية لسهولة النقل والانتقال ورأيت في المرفأ

Digitized by Birzeit University Library

امامه مئات من البواخر والسفن برسم الشحن . وكانت المداخن تتطع السحاب وهي كصفوف الجنود في ساحة العرض

الساعة الخامسة ونصف صباحاً بلغنا موجي . وللحال توجهنا الى القارب المعد لعبور الزقاق الى شيمونوزاكي . وفي القارب طابقان ، علوي وسفلي اخترت الاول رغبة في المشاهدة

٤ — اخونا الروسي

في القارب لقيت اخانا الروسي فتطارحنا السلام ، والروسي كالسوري سهل المأخذ

الروسي — كيف بتم لبلتكم ؟

انا — على غاية ما يرام

الروسي — وكم دفعتم ؟

انا — لا شيء

الروسي — اما انا فدفعت تسعة بانات

انا — نعم ونزلتم درجة

الروسي — ونكن محلنا عال

انا — افضل من الدرجة الاولى؟

فاحمرت عينه وهو دليل ضيق الصدر . وقال مـا شغلك ؟ وهو سوءال فضولي : اجبت انني مرسل

انا لا احب المرسلين لانني يهودي

انا — ولكن المرسلين يحبونك

Digitized by Birzeit University Library

اليهودي – لقد زالت الاديان من الارض

انا – ولكن الانسانية والادب لم يزولا

وهو اخر عهدي به

٥ – موجي

بلدة لطيفة سكانها ٥٠ الفاً. تكتنفها المياه والتلال الخضراء فهي بين الزمرد والياقوت. فيها خط عربات كهربائية واحد فقط موازٍ الشاطيء. كما في ناغازاكي وهي تقسم الى ثلاثة اقسام – شمالي وجنوبي وغربي وهـذا الاخير مكون بردم البحر تحيط به ترعة فصار جزيرة

اشتهرت موجي بمقام اوغايا فوكيا يازو والد جيمو تيمو امبراطور اليابان الاول وترد الى موجي فحومات مناجم بوزن وجيكوزن في جزيرة كيو شو. ولم تكن قبل خمس وعشرين سنة سوى ميادين خيالة فبلغت الآن درجة اسكلة ثانية في يابان

شيمونوزاكي – مدينة الجبال

هي اول مدائن هندو. قابضة على مفاتيح البحر وفيها اربعون جبلا وقد خرقت بعضها الشوارع فزادتها عدداً. تنظر شيمونوزاكي باليمين الواحدة بحر يابان الخارجي وبالاخرى البحر الداخلي فهي اخت قسطنطينية

دخلتها الساعة السابعة ونصف وبرحتها الساعة العاشرة وقضيت اكثر المدة في فندق سنيو الشهير اقرأ صحف الاخبار واشتريت الخرط والكارد شأني في كل موضع

شهدت في مدخل المحطة زحاماً لا نظير له في غير نيويورك على ان البوليس

Digitized by Birzeit University Library

صفهم رابع صفاً طويلا فرأيت ان القطار سيقوم قبل دخولي فعدت الى الفندق ودخلت المحطه من باب اخر غير ذاك وبهذه الواسطة فقط امكنني ان ادرك القطار قبل قيامه

ولقد ادهشني سكون القوم وسكوتهم مع كل ذلك الازدحام فكانوا امامي كالاصنام او كالنعاج الوديعة. ولا اظن ان سكان شيمونوزاكي يزيدون على سكان موجي ٥٠ الفاً

٧ — حوادث شيمونوزاكي التاريخية

نشبت فيها معركة دنوزا سنة ١١٦٢ بين عشيرتى التايرا والمينامونو فازت بها الثانية. ولهذه المعركة في تاريخ يابان اهمية تتويج شارلمان في فرنسا وفوز وليم نورمندي في انكلترا. بدأت بها احكام عشيرة مينامونو التي احسنت سياسة البلاد مدة سبعمئة سنة وانتهت بسقوط الشوغون سنة ١٨٦٨

في اثناء هذه المعركة القى الامبراطور انتوكو نفسه في البحر فمات، فشادوا له مقاماً على رأس جبل مطل على المكان حيث غرق

وقد ضربت انكلترا وفرنسا وهولاندا شيمونوزاكي بمدافعها سنة ١٨٦١ بسبب تعنت الشوغون فكان ذلك الضرب من القاضيات على نفوذه

في شيمونوزاكي عقدت المعاهدة مع الصين سنة ١٨٩٥

ودوت حولها صعقات مدافع طوغو سنة ١٩٠٥ وكانت معركة صوشيما بين الاساطيل الروسية واليابانية كمعركة طرف الغار بين اساطيل انكلترا وبين اساطيل فرنسا واسبانيا سنة ١٨٠٥

في شيمونوزاكي منشأ سكة حديد هندو — محور الامبراطورية

Digitized by Birzeit University Library

٨ — مياجيما ، جزيرة القديسين

ثلاثة في يابان لا يجوز للمسافر اهمالها . احدها مياجيما هذه تقابلها — اتسو كوشيما ، جزيرة القديسات

طول الجزيرة خمسة اميال وعرضها ميلان تغطيها الاشجار من الماء الى الماء في وسطها جبل وعند اخمصه هيكل اتشوكوجيما الشهير ، على اسم بنات الاله ساسانو ، وهن ايجيكيشيما هيم ، تاغوري هم ناغنارهم

بنت هذا الهيكل الامبراطورة سويكو ، واعيد الى التيارانوكيومودلي في القرن الثاني عشر . طوله ٨٨٨ قدماً ، وهو يصل الى البحر ، وقد بني بعضه فوق فوق الماء على اعمدة . هكذا جلت فيه لما زرته . بابه في وسط البحر على بعد ٥٢٨ قدماً

وفوق الهيكل قاعة الالف حصير المدعوة سنجوجيكي شيدت سنة ١٨٥٢ تذكاراً لفوز تويوطومي على كوريا . تلاصقها الباغودا ذات الطباق الخمس وقد زرت هذه ايضاً في وسط الايك الزاهي

لما دخلت جزيرة القديسات تنسمت نسيم الابدية : هدوء تام ، لا قعقعة لا صياح ، لا ضجيج ، سكون الابدية ، ووقار الشيوخ ، حول العرش

اسواقها مفعمة بكل انواع البضائع . اكثر تجارها سيدات . الفن الهدوء فصار لهن غريزة : في الجزيرة خمسة الاف نفس

لا موت ولا ولادة في جزيرة القديسات . اذا مرض احد حملوه الى البر حالاً . واذا مات فيها فجأة حملوه حالاً الى البر ليدفن هناك فلا قبر في الجزيرة اذا حملت امرأة نقلوها في الشهر التاسع الى البر . فهم في جزيرة القديسات لا

Digitized by Birzeit University Library

يلدون ولا يموتون بل يكونون كملائكة الله في السماء

دخلتها الساعة الثالثة بعد الظهر في يوم اشتد هجيره فشعرت تحت ظلالها الغياء بنسيم الالهة . فرنمت قائلاً :

في روضها اشهى الشجر بالثمر السامي

لقد كانت الساعة التي قضيتها في جزيرة القديسات من ألذ ساعات الحياة ووددت لو طالت المدة ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه

٩- هيروشيما

قصبة ولاية آكا . موقع هذه المدينة قرب البحر الداخلي تربطها به سكة حديد طولها ثلاثة اميال ونصف عدد سكانها ١٢٥ الفاموفوصون بالدعة واللطف يمر بها نهر اوتاكاوا فيقسمها الى اقسام عديدة لكثرة تشعباته فيها

اهم تلك الاقسام الواقع بين فرعي هون وكيوباشي

في الجزء الشمالي من هذا القسم القلعة . بنيت سنة ١٥٩٤ يحيط بها ميدان فسيح مساحته عشرة افدنة مربعة . خصت تلك الساحة بتدريب الجنود . وحول القلعة خليج ماء ضمنه جنينة زاهية . درت بهذا الخليج والى شماليه سان تي . سراي الحكومة ، وفي جنبات الميدان تماثيل ابطال يابان

في هـذا القسم اهم شوارع المدينة ، ويمر فيه الخط الحديدي الاتي من شيمونوزاكي الى طوكيو

وعند عطفة النهر بيجنو بارك فيه مدافن اسلاف اسانو امراء المدينة الاقدمين ، وفي هـذا البارك قهاو ومطاعم عديدة . ويجاوره الهيكل الشنتي العظيم

Digitized by Birzeit University Library

هيروشيما مركز الفرقة السابعة في الجيش الياباني وبما ان الامبراطور هو القائد العام فقد نزل الى المدينة سنة ٨٩٤، لادارة حركات الحرب الصينية. وكانت سنة ١٩٠٤ و١٩٠٥ مركز حركة حربية مهمة ومركز جمعية الصليب الاحمر

المقالة الخامسة والعشرون

— كوبي —

موقعها على شط البحر الداخلي غربي اوساكا وهي مجموع مدينتين هيوغو وكوبي اطلق اسم الثانية عليهما. ومعنى كوبي « بوابة الله » لان الرسوم فيها كانت تدفع للهيكل

كانت كوبي ثانية اساكل يابان وصارت سنة ١٩١٨ الاولى فهي ليفربول الشرق. يمر فيها اكثر من ثلث صادرات يابان. مساحة مرفأها ٢٧٤١ فداناً مربعاً وهو مكون بسد متين. دخلت المرفأ سنة ١٩١٩ ٦٥٨١ باخره يابانية حمولتها ٢٢٩٧٠٠٠ طن و٥٤٩ باخرة انكليزية حمولتها ١٣٣٧٠٠٠ طن و١٤٠ باخرة المانية حمولتها ١٦٠٠٠٠ طن و٥٥ باخرة امريكية حمولتها ٤٠٠٠ طن ولكن اليوم يدخلها اكثر من ذلك كثيرا

وفيه ثلاثة ارصفة واحد للاسطول واثنان للتجارة. زرت تلك الارصفة فدهشت لوفرة ما عليها من البضائع

كانت كوبي سنة ١٨٦٨ قرية صيادين ففتحت مرفأها للبواخر فبلغت اليوم درجة اسكلة اولى في الشرق عددسكانها اليوم ١٦٠ الف نفس فيها للخط الحديدي محطتان الواحدة في هيوغو والثانية في كوبي وكنت امر في الشارع بينهما مراراً في اليوم لا اذكر مرة لم اصدف قطاراً او قطارين

Digitized by Birzeit University Library

يقسمها الخط الحديدي الى قسمين ساحلي وجبلي : الاول مقر الحركة والثاني فيه افضل بيوت السكن والمدارس والمستشفيات وبيوت الحكومة يضيق هذا القسم شرقاً لدنو الجبال من البحر

في كوبي خط كهرباء واحد ينقسم في كل من طرفيه الى ثلاثة فروع

١- موتوماشي

لا شارع مرصوف في كل يابان غير هذا الشارع . طوله نحو كيلومتر واحد فيه اهم المخازن اليابانية . يحيط من طرفيه شارع صكايماشى الذي نسير فيه عربات الكار

هذا السوق محور حركات المدينة : نظيف هادىء يمر به كثير من عربات الركشاو . اما الاتوموبيلات فهي قليلة جدا في بلاد اليابان . مررت به مرة بعد الغروب فلم اسمع الا قرع القباقيب لانها اكثر ما يحتذيه اليابانيون رجالاً ونساء

٢— النظافة

وان لم تبلغ كوبى درجة كيوتو فما يستحق الذكر ان اسكلة يابان الاولى لا يرى فيها اقذار ولا ركام وذلك لانتباه الحكومة وحرص الامة وقلة البهائم . الا ان نظافة المدينة ووفرة دخلها لا يضمنان نخامتها وحقيقة الحال ان الفخامة والابهة لا محل لهما من الاعراب في كل يابان . بيوتها خشبية خالية من كل زينة او دهون . قليلة الرواشن عديمة الزجاج يستعملون بدله الورق — منخفضة السقوف كالاسطبلات

Digitized by Birzeit University Library

يستثنى من هذا الحكم المباني العمومية والاجنبية والكنائس والحدائق.

في كوبي ١٤٠٠٠ اجنبي ثلثاهم صينيون ونصف، الباقي انكليز

٣ — اقتصاديات

في المدينه ١٨٥ معمل ، اهمها متسوباشي — فرع معمل ناغازاكي . عدد عماله ١٠١٥٨ ذكوراً ٩٨١٠ اناث

وفيها ٢٥٧ شركة تجارية رأسمالها ٥٨٥٠٧٢٩٥ يانا (اليان نصف ريال امريكي) و١١١ مخزناً اجنبياً و٣١ مدرسة ابتدائية طلبتها ٤٠٠٠٠ ، ومدرسة عالية للبنات ومدرسة تجارية و٣ متوسطة وكثير من الكنائس المسيحية و٢٥ ميلاً من خطوط الترامواي

اقمت في كوبي اول مرة ثمانية ايام ولما عدت من فيليبين اقمت بها نحو ٤٠ يوماً فكانت لي فرصة لدرس اليابانيين واليك بعض ما رأيت :

٤ — الهدوء والسكون — كوبي مقر اعظم حركة نقلية في يابان مع ذلك لا يشعر من فيها باقل ضجة او غوغاء بل يستغرب سكون المدينة مع وفرة نقلياتها . يظن الاعمى في شوارعها انها خالية من الناس . . وتخال تجارها نياماً او كسالى ، وتظن سكانها بكماء لا ينطقون . لا يصيح الباعة في شوارعها بل يحملون جرساً يدقونه للتنبيه ، ويضع باعة الخضار والفواكه في اطباقهم لوحات خشبية سوداء كتب عليها اثمان البضائع بالطبشور . وكل شيء يباع عندهم بالعدد . فقلما يستعملون الوزن

سرت يوم كتابة هذه السطور في شوارعها ثمانية كيلومترات والقلم بيدي عادتي لنقد حسب الشعب وكتابة ما اراه . شارع صكايماشي اهم شوارع كوبي .

Digitized by Birzeit University Library

قابلت فيه عشرات الالوف من الناس فلم اسمع لاحد منهم صوتاً . دخلت احد هياكلها ، وفيه قبور عديدة ، كان احدهم منحنياً على احدها يتمتم ويقرع كفيه قرعاً شديداً ولكن لا احد يسمع له صوتاً حتى ولا الساكن في ذلك الضريح

اخيراً وصلت محطة هيوغو والالوف خارجون منها على اثر وصول القطار والجميع سكوت . وكان حوذي يجر عربة امام باب المحطة واخر خارج بعربته من المحطة تحمل قرميداً فتصادمتا وسقط كثير من القرميد على الارض وتدا - خلت الدواليب فوقفت منتظراً الخصومة والصياح . لا وابيك . تقدم كل من الحوذيين الى حيث الدواليب مشتبكة وفرقا بينها وسار الاول في طريقه وعاد الثاني يرفع قرميده عن الارض . كل ذلك دون ان يفوه احدهما بكلمة . ولو حدث مثل ذلك في مصر لشغل البوليس اياماً

الحريق — مخازن سوزوكي

على انه حدث ما هو ابلغ من ذلك واشد غرابة وهو : نمت ذات ليلة باكرا على خلاف عادتي فشعرت بحركة غير اعتيادية حولي — في الفندق الياباني كان الخدم يصعدون وينزلون على السلالم بسرعة وبعضهم فتح الرواشن وجعلوا يتكلمون ففهمت انه حدث امر خارق . فنهضت من مرقدي ودنوت من الروشن فرأيت انوارا غير اعتيادية في الشوارع تحتنا فظننت ان دولة يابان اعلنت الحرب على روسيا وان الاهالي قائمون بمظاهرة وطنية . وبعد قليل انحدرت الى الشارع فرأيت نيراناً عظيمة تلتهم بعض البيوت القريبة منا ، وهولاء الناس يشاهدون وعددهم عشرون الفاً دون ادنى غوغاء او ضجة

وكان كثيرون من الجيران يحملون اثاثهم واشياءهم سكوتاً . والمشاهدون

Digitized by Birzeit University Library

سكوت . والكل سكوت بسكوت . ليس الا صوت السنة اللهيب

وبنات الفندق يحملن سطول الماء ويصعدن الى السطوح يسكبنهـا على الخشب لوقايته من الحريق في مـا لو وقعت عليه احدى الشظايا من السماء . وكان الحريق يتزايد والجميع سكوت : لا صياح ولا نحيب ولا عويل ولا روع كأنهم صور متحركة . ورأيت ربة الفندق جالسة على كرسيها دون ادنى اضطراب والاقوام يتواردون اليها يقدمون لها كارداً ويخاطبونها بادب وينحنون امامهـا للتسليم وينصرفون . وهي تجمع الكاردفي صينية عددت منهاه . كارداً عليها عنوا . ناب مرسليها — واكثرها اصحاب فنادق — فسألتها ما هذا ؟ اجابت ان اصحاب الفنادق يرسلون تحياتهم الينا واستعدادهم لخدمتنا وقبول نزولنا اذا احوج الامر قلت أأذهب اليهم ؟ اجابت لا حاجة الى ذلك بعد وحين اللزوم انا سأرسلك ولبثت ارقب حركة القوم وقد جمعوا الصناديق والرزم حتى كادت تصل السقف — والكل سكوت

واخيراً اشتدت الحرارة بنـا اقرب النار وكدنا نموت خنقاً فالتفتت الي وقالت لقد دنا الخطر فاهرب لحياتك

فحملت حقيبتي وقلت الى اين ؟ قالت اتبع ذلك الرجل . وكان امـامي احـدهم يحمل رزماً تبعته والشوارع ملأى بالوف الحاملين ينقلون الى حيث يأمنون على ارواحهم واموالهم

وكادت السنة اللهيب تلتهب كل كوبي

مع كل ذلك لم تسمع فيها ضجة انما كان الاقوام في الدكاكين يتحدثون دون ادنى انفعال ففهمت انهم يروون خبر الحريق . فلما وصلت المكان المقصود

Digitized by Birzeit University Library

عرف ربه من انا ومن اين فقبلني بلطف ووهبني غرفة ورحب بي

ثم عدت الى النزل لاحاول حمل صندوق كتبي فرأيت النار توقفت عن الامتداد وتغلب البوليس ورجال المطافىء عليها فدنوت منهم ورأيت المياه الوافرة المتدفقة على الحريق من كل جانب واخيراً اخمدوها وسلمت المدينة من شرها. فنمت في مكاني وفي الصباح ذهبت واسترجعت حقيبتي من الفندق الاخر وقد ابى صاحبه ان يقبض مني اجرة — وهي من مآثرهم الحسان

الى الان لم افهم السر في ما حدث

على انني لما قرأت الصحف الانكليزية (في كيبي صحيفتان انكليزيتان يوميتان) اقشعر بدني لهول الحادث. واليك خلاصته :

« هاج الاقوام في كوبي لارتفاع اسعار الارز ارتفاعاً فاحشاً فاجتمع ٢٠ الفاً منهم عند الغروب في ساحة كذا وقام الخطباء يحثونهم على العمل ضد المحتكرين — سوزوكي وشركاه — والساعة العاشرة ليلا سار منهم عشرة الاف يقودهم اربعة وعشرون زعيما، حتى بلغوا مخازن سوزوكي — قرب الفندق الذي كنت فيه — فاحاطوا بالابنية، واضرموا بها النيران وحاولوا دون وصول رجال الشركة اليها، وقطعوا الخراطيم في ايدي البوليس، حتى التهمت النار ٢٣ محلاً، وكانت الاتلاف مليون ونصف يان — سبعمئة وخمسون الف ريال امريكي — وحينئذ اذنوا للبوليس ان يطفىء الحريق لسلامة المحيط. وقد قبضت الحكومة على مئة وخمسين شقياً، ثم زاد عدد المقبوض عليهم الى الاثنتا

كل ذلك وحضرتي لم اشعر بشيء وانا في وسطهم ، ولولا الصحف الانكليزية لجهلت الحادث كل الجهل

٥ — اليابانيات

بدويات المظهر ، تلوح الواحدة منهن كبهيمة لسماجة الثياب وبساطة المظهر ، لايعرفن من الحلى الا اسماءها وليس لهن من الزينة الا بقجة الزنار على الظهر (كما تراها في الصورة) ويكثرن من رش البودرة على الوجه

ولهن عناية خاصة في صف الشعر ونظمه لا نظير لها في كل الارض . ولا تنام السيدة منهن على وسادة حرصاً على شعرها ، فانه يكلفها كثيراً ، بل تتوسد قبقاباً خشبياً صغيراً ليظل شعرها منظماً

اما عن نظافتهن فحدث ولا حرج . كنت انظر كثيراً الى اطواقهن فلم ارَ ادنى وساخة في احداهنَّ . يستحممن كل يوم — على الاقل النصف الاعلى من البدن

لا اثر للتحجب في يابان ، ومـا يحسب عيباً في غير بلد لا ينظر عندهم على الاطلاق . يستحم الرجال والنساء تحت سقف واحد . واذا عرض ان رجلا رأى احداهنَّ تستحم فلا يغضبها وآلها ذلك ، بل لا يذكرونه . كذلك الرجل العاري يجلس ويكلم السيدة وهو عار دون ادنى سترة فلا هو يخجل ولا هي تغضب

دخلت مرة الحمـام ، وحسب عادتي جمعت ساعتي ودراهمي ومجسى ، ووضعت الكل في منديل لاودعه السيدة صاحبة الحمام فلم اجدها في مقعدها ، وذلك المقعد على الدوام عند مدخل الحمام يشرف على قسمي النساء والرجال .

Digitized by Birzeit University Library

فوجهت نظري نحو قسم النساء لانشدها واذا هي — وهي صبية دون الخامسة والعشرين من العمر — عارية تماماً قاعدة على الارض ولها جسم كالفضة . ولما كان مثل ذلك غير مألوف عندي نظراً للتربية السورية غلب عليّ الحياء ، فاسرعت بلفت نظري عنها ووقفت بجانب الخوان انقر عليه لاستلفات نظرها اليّ لكي تقوم وتستتر وتأتي فتستلم مني ودائعي . وكان ظهري موجهاً اليها ووجهي نحو قسم الرجال . وبعد قليل اعدت النظر لاراها قادمة فاذا هي لا تزال كما كانت ، دون ان تبدي ادنى اكتراث ، فعدت الى مثل الاول وكلي خجل — ولم اجسر ان املك نظري منها ، وهي لا يهمها ذلك . اخيراً فهمت ان القوم لا يخجلون فتركتها وشأنها اذ لا استطيع ان اكلم سيدة عارية — وحملت اشيائي معي الى داخل الحمام وشرعت اتحمم واشيائي في المنديل بجانبي حرصاً عليها لان في المنديل كل ما املك ، ولو كلمتها لاجابتني واخذت مني اشيائي دون ادنى غيظ او انكار

وفيما انا اتحمم كانت قد لبست ثيابها واتت الى غرفة الرجال فخرج احدهم وهو في سن الخمسين عاريا تماماً واتى اليها يحدثها وهي تحدثه كاخيها وجعل يدخن سيكارته وهو الى جانبها وانا غاية في الدهشة مما ارى ،

كل الرجال يخلعون ثيابهم ويلبسونها في الحمام امام السيدة صاحبة الحمام دون ادنى اكتراث للامر

وكانت البنات في الباخرة يستحممن صباحاً عاريات الابدان من الاعلى الى الوسط . وكنت اخفض نظري حين امر بهن تأدباً وهن لا يفهمن ماذا اعني وقد ثبت لي انهن لا يقصدن بذلك فساداً انما هي عادات الفوها

Digitized by Birzeit University Library

١١ — الدين

هياكلهم كثيرة تملأ البلاد ولكنها خاوية خالية لا اجتماعات ولا تعبد الا افرادياً. عندهم مذاهب وطوائف لها خصائص وبينها مناظرات قلمية ولكنه لا يلوح عليهم شيء من الورع او التعصب المذهبي. دخل بينهم مبشرو النصرانية وشرعوا ينشرون بينهم ديناً اجنبياً غريباً عن افكارهم كل الغرابة فلم ينكروا عليهم الحرية ولا اضطهدوهم ولا ضيقوا على مدرسة ولا حقروا مستشفى او كنيسة ولا اهانوا مبشراً ولا تبرأوا من متنصر او متنصرة ولا آثروا الوثنيين منهم في الوظائف والمناصب بل اقروا لهم بالحقوق وعاملوهم بالمساواة التامة ولم اسمع ان احداً اهين في كل يابان لسبب دينه مع ان لهم ديانة قومية هي « الشنتو » يدين بها الامبراطور وآله، ولها نحو ١٢٠ الف هيكل و ٥٠ الف كاهن في الامبراطورية ، تليها البوذية وهي ديانة فلسفية سامية يدين بها اكثرهم مع كل ذلك لا قوم اكثر تسامحاً من اليابانيين في امر الدين

ويشكو بعض المتنصرين من عدم تدين المهذبين منهم كما يظهر من احصاء الجامعة الامبراطورية

١ شنتياً وفي جامعة غيرها ٣٠٠ شنتي

١٦ بوذياً وفي جامعة غيرها ٢٥٠ بوذيا

٦٠ مسيحياً وفي جامعة غيرها ٣٠٠ مسيحي

٢٥٠٠ لاديني وفي جامعة غيرها ٩٠٠ لاديني

وهو من اغرب نتائج الاحصاءات الدينية

**

Digitized by Birzeit University Library

٧ — ملابسهم

ملابسهم بدوية تماماً وليسوا كالصينيين

فاولاً لا يعرفون الجوارب على الاطلاق . على ان بعضهن تلبس جورباً يغطي القدم فقط دون الساق

ثانياً ملابس الرجال والنساء واحدة وهو سمج بدوي ولا يحتذون الا القباقيب الخشبية او احذية قش ولا يلبسون شيئاً على الرأس الا ان بعضهم شرع يلبس البرنيطة وتمتاز السيدة بالزنار المبقج على الظهر

ويلبسون فوق الثوب نوعاً من الجبب رجالاً ونساء . واليك صورة احداهن : لم تغط سماجة اثوابها جمال صورتها وعظمة نفسها ويكثرن من حمل المظلة (الشمسية) كما سترى في الرسم

٨ — بساطة المظهر

اشهر ما في الياباني بساطة مظهره : لا يلوح عليه شيء من الادعاء او العنجهية . تمر به بدوياً على القبقاب فتحسبه من رعاع القوم وقد يكون دكتور لاهوت اوعالم بالشريعة . يسلك الياباني حسب الفطرة وقلما يعرف معنى التصنع اذا سألته توقف عن الجواب ليفتكر ، فهو كثير الاحتساب شديد الحرص على الجواب . اذا تكلم فاسمعه ولا تسأله لانك متى سألته احتسب وقد لا يجيب

كنت مرة في اوساكا صحبة شاب متنصر ، كان يملي على مسمعي كل شيء وفي اثناء الحديث سألته كم عدد الفرقة العسكرية — كم فصيلة — فتوقف عن الجواب وقال ان ذلك من اسرار الحرب . وعبثاً حاولت اقناعه انها مسألة علمية يدرسها صبيان المكاتب وقد فهمت انه احتسب لانني سألته

Digitized by Birzeit University Library

الياباني يفهم ابداً اكثر مما تظن ويدرسك قبلما ندرسه ويرمي مرامي صائبة ويحتفظ جداً بقوميته ويحتمل مخالفة الناس له في عوائدهم وعقائدهم ، وعلى الغالب يتجنب التنكيت او الانتقاد ، ويشعر بالاهانة ويكتم ذلك في قلبه

٩ — بيوتهم

بسيط داخلاً وخارجاً ، الرخام والنحيت والزجاج غير معروف في اكثر البيوت ، وتندر البناية الحجرية في يابان الا ما كان للاعمال العمومية . بيتهم تحت سقف واحد . كله خشب بخشب — جدرانه وسقفه وادراجه — يقسمونه غرفاً بحواجز مورقة — الورق بدل الزجاج — وليس في بيوتهم كراسي ولا خوانات ولا وسائد ولا سجاجيد ولا رياش

فرشهم الحصر فقط ويأكلون على الطبلية — تراهم حولها قعوداً القرفصاء كالاعراب

ولكن تلك البيوت السمجة غاية في النظافة ، لا احد يدخل بيتاً مهما يكن عظيما ما لم يخلع حذاءه — قبقابه — ويلبس اخر مختصاً بالبيت . وفي كل بيت داخل الباب رفوف عديدة للاحذية . يخلع الداخل اليه ما في رجليه ويلبس غيره ، وهكذا يصنع حين يخرج من البيت . وهكذا الحال في محلات الصور المتحركة والمتاحف والفنادق حتى في البواخر كما سيأتي

والنتيجة ان الحصر تتقطع تحت اقدامهم ولا تزال تلمع كما في يوم صنعها وجدتها

١٠ — الاقتصاد

من اشد صفات اليابانيين التقتير — فيجوز ان ندعوهم الشعب المقتصد

Digitized by Birzeit University Library

١١ — الاجتماع

يتم الزواج بينهم برضا الوالدين الا اذا بلغ الذكر الثلاثين والانثى الخامسة والعشرين ويتم الطلاق برضا الفريقين او باثبات الطالب موجبا له

عندهم في السنة ٣٧٩٠٠٠ قران و ٦٥٠٠٠ طلاق

ادب التحية عندهم احناء الهام الى مساواة الركبة

ويجثو الخدم امام سادتهم الى الارض فتمس جباههم الثرى . زرت مرة دكتوراً يابانيا فخرجت خادمته العجوز تفتح لي الباب فانحنيت لها مسلما قصد المزاح فاسرعت ورمت بنفسها امامي الى الارض فراعني منها ذلك وفهمت انها فعلت ما فعلت تعويضا عما نالني من الضعة لتسليمي عليها تسليم الكرام وهي خادمة . فندمت على مداعبة تلك العجوز لانني حملتها وقراً

على انني زرت دكتوراً اخر خرجت الي صبية كالقمر فظننتها ابنته وكان عليّ ان احييها بادب لانها ابنة الدكتور . فاسرعت تلك الغانية الفتانة وانطرحت امامي ثلاثا على الارض وكل مرة يمس جبينها الثرى وهو اجدر بمس اليواقيت والجواهر . ففهمت بعملها انها خادمة لا ابنة

فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

١٢ — اولادهم

ليس في يابان اجمل من الصغار وهم يخصونهم بالثياب الزاهيه الالوان . وقد ادهشني في صغارهم كبر الدماغ (كما تراه في الصورة) في كل تجوالي بينهم لم ار اولادهم يتخاصمون . وبالحري لم اسمع اصوات النسيات ينشاتمن

Digitized by Birzeit University Library

٦ — طعامهم

يختلف طعام اليابانيين عن طعام الاوربيين اختلافاً كبيراً. وهو اقرب الاطعمة الى طعام الصين في نوعه وفي كيفية تناوله

فاولاً ليس عندهم خبز ولا يزرعون القمح. يسلقون الارز دون ملح ولا زبدة او سمن. ويستعملونه عوض الخبز عندنا ويشربون الشاي بدون سكر وعلى الغالب يسكبونها فوق الارز. ويكثرون اكل الاسماك مسلوقه، ومكبوسة. سائهم قابضة نيئة تعافها نفس السوري. ولا يعرفون الملاعق والشوكات والسكاكين على الطعام انما يستعملون العيدان كالصينيين يجرفون بها الارز ويحملون قطع اللحم والسمك كما بالملقط ويحتسون المرق حسواً ويتعللون بالثمار ومسلوق الارز المحلى بالسكر. ويصنعون خمرهم من الارز ويسمونه الساكي

ولم ارَ في يابان اثراً للزيتون او الجبن او الدبس او الحمص

سألت مرة احدهم ما اسم الزبدة في لغتكم؟ اجاب لا اسم لها في قاموسنا فنستعمل لها الاسم الانكليزي «بطر». فهمت ان الزبدة غير معروفة عندهم قبلاً. وسألته ما ترجمة المقلي عندكم، فيما لو قلنا بيض مقلي مثلاً؟

اجاب ان كلمة مقلي وفعل قلا لا وجود لها في لغتنا فنستعمل لها الكلمة الانكليزية «فرايد»

صحافهم وصحونهم كلها خشبية اطيفة انما جعلوا يصطنعونها من الزجاج حديثاً

لم ارَ يابانياً او يابانية يأكلان في الشارع على الاطلاق. واذا حملوا الطعام كان مغطى دائماً

Digitized by Birzeit University Library

تباع الصحف الانكليزية اليومية بخمسة عشر سنتاً ولكن اليابانية بسنتين ونصف ومن يشترك بها شهراً يدفع ستين سنساً فقط (السنس الياباني يعدل نصف السنس الامريكي) فقيمة الاشتراك في الصحيفة اليابانية اليومية ستة غروش مصرية في الشهر و٧٢ غرشاً في السنة

على ان ليس الجميع يبتاعونها بل يقرأونها مجاناً في المكاتب والمتاحف وعلى جدران الشوارع ، كنت اراهم كل يوم امام الجدران يقرأون الصحف الملصوقة عليها

طرقهم العمومية من ابلغ مظاهر اقتصادهم، فقد ادهشني تدقيقهم المفرط ليس على القدم الواحدة بل على القيراط الواحد من الارض . يقسمون حقولهم اقساماً صغيرة جداً ويعتنون بكل من تلك الاقسام غاية الاعتناء . اما المسالك بين الحقول فغاية في الغرابة ، وهي آي آيات الحرص عندهم ، ترى الطريق وعرضها لا تزيد عن عرض القدم كالخط الهندسي - من الطريق العمومية الى باب البيت - فتظن انه لو اجتمع كل مهندسي العالم من اقليدس الى دي لسبس لا يمكنهم توفير قيراط واحد منها

ومن مظاهر اقتصادهم ملاهيهم : قصدت ذات ليلة ابدع تياترات طوكيو وقد كست مصابيح الكهرباء جداره من فوق الى الارض ، فظننت ان الرسم ريالان او ثلاثة ، فكم كانت دهشتي لما عرفت ان الرسم لمن يخلع حذاءه سنسين ونصف ومن يلبس فوقها كاوتشوك من عندهم ثلاث سنسات او قرش تعريفه مصري . وهذا عندهم من رجال الدرجة الاولى . ويستعملون الكلام مع الصور المتحركة كما في خيمة عيواظ

Digitized by Birzeit University Library

مثل ذلك لا يسمع في كل العالم الياباني . ولم ارَ ولداً يابانياً وسخاً او عليه شيء من القمل مع انني رأيت مثل ذلك في اولاد اغنياء السوريين ومتنوريهم

هذا بعض ما لاحظته فيهم وللقارىء الحكم في اهليتهم

المقالة السادسة والعشرون

اوساكا — مانشستر الشرق ، او بلد المعامل والترع

١ — جغرافية ، فنيس يابان

في اوربا مدينتان شهيرتان مانشستر انكلترا بمعاملها ، وفنيس ايطاليا بترعها ، جمعت اوساكا يابان الاثنين . فهي بلد المعامل والترع

تقع اوساكا على رأس خليج اوساكا ، على بعد ١٨ ميلاً من كوبي ، وهي اكبر اساكل يابان ، وثانية مدن الامبراطورية ، عدد سكانها مليون ونصف . وهي في شكل مثلث رأسه في البحر وقاعدته في الشمال . طولها ستة اميال ومعظم عرضها خمسة وهي مدينة قديمة العهد ، اتخذها الامبراطور نينشوكو عاصمة له في القرن الرابع وهي مبنية على ضفاف نهر يودوكاوا يتفرع فيها هذا النهر كثيراً فتصير ثلاثين جزيرة عليها ثلاثمئة جسر

٢ — زيارتي اياها

زرت اوساكا ثلاثاً : ففي الاولى كان ترجماني شاباً متنصراً من الوطنيين ، وفي الثانية كان رفيقي اليها احد التجار ، وفي الثالثة اعتمدت على الخارتة بيدي ركبت الكار من كوبي اليها الساعة ١٢ ونصف نهاراً فاسعدني الحظ بشاب متنصر حادثني على الطريق وصحبني الى بيته قرب المحطة واوصلني الى

Digitized by Birzeit University Library

نادي الشبان المسيحيين فاحسن السكرتير استقبالي وعين لي ترجماناً صحبني كل الوقت في المدينه

لما وصلتها انقبض قلبي ايما انقباض لاختلاف الاخبار عن الاخبار

كنت اظن انني قاصد فنيش الشرق ، فاذا انا في قرية كبيرة رديء غائمة ، ضيقة الشوارع همجية الاقوام قاتمة البيوت سمجة المظاهر

أفهذه اوساكا الذائعة الصيت ؟

مهلاً ، فقد تتبدل هذه المظاهر باحسن . لا وابيك ! شارع بعد شارع ، وشارع بعد شارع ، وكلها سواء : طويلة قويمة نظيفة لكنها كثيرة الغبار عديمة الرصف ، ضيقة لا صورة ولا جمال

٣ — المكتبة العمومية

انشأها البارون سومونيمو المثري الشهير . موقعها بين بنك نيبون وفندق اوساكا ، فيها سبعون الف مجلد باللغتين الصينية واليابانية وسبعة الاف مجلد باللغة الانكليزية

لها بناء فخم ذو ثلاثة ادوار مصنوع بالقرميد الاحمر لا يدخله احد ما لم يخلع حذاءه اولاً عند اول السلم او يلبس بلطوف كوتشوك خاص ، فآثرت هذا الثاني وان كلفني بعض الدريهمات لانه اسهل وادعى للكرامة من المشي حافياً

في الطابق الاعلى قاعة كبيرة خاصة بالقوم : كل وكتابه . وهكذا الثانية والثالثة . فسألت رفيقي أمدرسة هنا ؟ قال لا وانما يكثر عندنا القراء والباحثون ورأيت قاعة خاصة بهن ، ومن هنا تملائل

Digitized by Birzeit University Library

هذه هي المكتبة الوحيده التي زرتها في كل اسيا

وهي مع كل ذلك دون المكتبة الخديوية في مصر فخامة وترتيبا. الا انني رأيتها كالثريا بالنسبة الى مكتبة هنغ كنغ ومكتبة كوبي ، تانك المكتبتان يلزمهما شرح طويل لوصف حالهما الغريبة ولا سيما مكتبة هنغ كنغ لظلام داخلها وسماجة خادمها

٤ — القلعة

قلعة اوساكا في شمالي المدينة قرب محطة كوتاماشي للترام الكهربائي الى كيوتو ، وعلى بعد ميلين ونصف من محطة اوميدا الى كوبي . تشغل القلعة مساحة ميل مربع من الارض ، في طرفها الجنوبي المستشفى العسكري يليه الى الشمال ميدان الرماية للتمرين ويحيط بها خليج ماء عميق وهي جبل على جبل ، متينة الجدران ضخمة الحجارة منيعة الابراج . استأذن ترجماني الضابط فأذن لنا وصحبنا بجاويش مسلح الداخل فعبرنا الدهاليز واجتزنا الابواب وشهدنا الابراج وصعدنا الى اعلاها فذكرت هنالك قلعة بعلبك . اطللت على الخليج فذكرت نهر قاديشا تحت الحصرون وارسلت نظري الى المروج الخضراء حوله فذكرت وادي البقاع من قب الياس

اوساكا لا يدرك الطرف لها اخراً والترع والاشجار والمروج ... وشارع هون ماشي الشهير يقطعه شارع نيشو رياشي والى يميني محطة كاتاماشي تليها مئات المعامل غربي المدينة وشماليها . تتطلع مداخنها السحاب ويوءلف دخانها ذلك السحاب فذكرني منظرها قول الرائي :

ودخانهم يصعد الى ابد الابدين

Digitized by Birzeit University Library

حينئذ فهمت سبب قتام المدينة . فقد سود دخان معاملها ارضها وسماءها ، فصارت اكبر مطابخ الكائنات . يوقد فيها يومياً مئة الف قنطار من الفحم

ثم عطفت نظري نحو القلعة نفسها واذا هي مدينة على حدة : فيها المعسكرات والشوارع والمخازن والحقول والجنائن

بناها هايكو هيديوشي سنة ١٥٨٣ وهي اعظم حصون الامبراطورية وامنعها تحل فيها الفرقة الرابعة والعشرون اليابانية . وسمعت ان حجارتها الضخمة جلبت من مكان سحيق

ثم انحدرت منها وركبت الترام مدة ٥٠ دقيقة الى

٥ — المرفأ

وهو من آي الصناعة في يابان . كلف الحكومة اثنين وعشر بن مليون يان وهو من اكمل مرافىء العالم واحكمها صنعاً . مشيت على ارصفته ومسارحه مدة فلم ارَ فيه الحركة العظيمة التي في كوبي . ومنه عدت الى

٦ — مدل آيلاند — الجزيرة الوسطى

وهي بين نهري اوجي ويدو عند جنينة البلدية . ترتفع ارضها سطح ماء النهر بضعة امتار محاطة بصفين من الاشجار . وفيها ميادين العاب للصبيان والبنات كل على حدة . وفي اخرها عند ملتقى النهرين حديقة غناء فيها بركة ماء بديعة يقصدها عشرات الالوف منهم للنزهة والتفرج على الالعاب الرياضية وبقربها مطاعم كثيرة ومعدات للراحة والسرور

***

Digitized by Birzeit University Library

٧ — مدينة السينماتوغراف

في منتصف اوساكا والى الجنوب من مدل ايلاند محل واسع يدعى مدينة السينما وصلته بعد الغروب فاذا المصابيح الكهربائية تكسو جدرانه من فوق الى الارض. لا يفوقها بذلك ولا برودواي نيويرك عند السوق ٤٢

وداخلها جنات وفراديس في جنباتها منهن غزلان وطواويس تحصى امواج البحر ولا يحصين. والكل فرح ومسرور

بائعات المشروبات والثلج المحلى بالسكر كثيرات جدا في يابان ، تجدهن في رأس كل شارع وهن هنا في مدينة السينما غاية في الكثرة يعملن على الدوام لوفرة الزائرين

في مدينة السينما قاعات عديدة لعرض الصور المتحركة تعص بالوف الناس ، صناعها من الصبايا وهن لا ينقصن عن احسن صبايا امريكا مهارة ونظاماً

٨ — نشنيدا بارك

شرقي مدينة السينما وعلى مقربة منها يشبه هذا البارك حديقة الوحوش في مصر. ولكن حمل الاكل ليس فقط مباحاً هنا بل هم يبيعونه فيقصد المكان العائلات مع اولادها — والدخول مباح للجميع مجاناً. تكثر في اقسام البارك الكنبات والمقاعد لراحة الزائرين. وكله حدائق ومروج. زرت هذا المكان ردف الغروب فرأيت مساءه صباحاً ، والناس فيه آمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يروحون فيه ويغدون ساكتين هادئين كعادتهم ولم ارَ فيه قط شيئاً من مظاهر التهتك او التعرض لاحداهن

**

Digitized by Birzeit University Library

٩ — المعارف

في اوساكا مئات من المدارس البدائية والهندسية والزراعية والتجارية والصناعية ، ومدرسة عالية للبنـات ومدرسة مويا الشهيرة للاميركان وكلية كونسناتي وفيها ١٨٠٠ اجنبي و٦٠ مرسلاً انجيلياً لهم ٤٥ كنيسة وطنية و٣٠ قسيساً و١١٠٠ متنصر ، منهم ٦٠ روم ارثوذكس و١٢٠٠ كاثوليك

وفيها ٢٠ بنكاً كبيراً ومئة الف تاجر بالجملة يبيعون ما ثمنه ٢٥٤٠٠٠٠٠٠ يان وبالمفرق ١٠٠٠٠٠٠٠ يان

وفيهـا ٥٥٩ شركة تجارية راسمالها ١٦٤٠٠٠٠٠٠ يان و١١٠ جمعيات اعضاؤها ٢٤٠٠٠ ونادیان لجمعية الشبان المسيحيين فيهما ١٠٥٦ عضواً وفيها متحف نفيس فيه ٧٦٧ من ابدع الرسوم ومكتبة عمومية وعشرات من خطوط الحديد والترام الكهربائي . تتصل بكوبي وكيوتو بخطوط الكار عدا عن السكك الحديدية

ينقسم عندها خط الحديد الغربي الى قسمين يذهبان شرقاً ويلتقيان في ناغويا . — في اوساكا واحدة من امهات صحف يابان وهي :

جيجي اوساكا

فيها ابلغ الاقلام السياسية وامضاها عزيمة — تحمل الاسلاك البرقية افتتاحياتها يومياً الى عواصم اوربا واميركا . وايضاً صحيفة « نيشي واساهي » . وفي طوكيو صحيفة بنفس الاسم « اساهي » وكلتاهما من امهات صحف يابان

عرفت اساهي اوساكا بشدة حملاتها على حكومة تروشي وهي من اعظم العوامل في سقوط وزارته

Digitized by Birzeit University Library

المقالة السابعة والعشرون — كيوتو ، عاصمة الشوغون

قصدتها زاعماً انني ارى مدينة ثانوية في طريقي الى بوكوهاما واذا هي من امهات عواصم يابان . لا يحتاج الغريب الى وقت طويل ليعرف قدرها

١ — مدخلها

اتيتها بعربة الكهرباء من اوساكا ، وصلتها الساعة ٥ ونصف مساء . تختلف الطريق من اوساكا الى كيوتو عنها الى كوبي بقلة المحطة وجفاف الهواء

لم يقف الكار بنا خارج المدينة كما كنت اتصور بل دخل المدينة . وكان اخر ميادين سيره بين ترعتين ، عرض الشقة بينهما ٢٨ خطوة على جانبيها صفوف الاشجار على شطوط الترعتين وعلى كل منهما جسر عرضه ١٨ و ١٠ خطوة

٢ — شوارعها

لا مدينة في يابان تفوت كيوتو في استقامة شوارعها وطولها وهي على نسق ناغازاكي تماماً . اذا وقفت عند نقطة التقاطع ترى الشوارع الى الجهات الاربع لا اخر لها : على استقامة تامة تقل اكثرها الاشجار لكنها في العريضة تمتد على طول الشارع

طول المدينة الاصلي خمسة اميال وعرضها ثلاثة ونصف لكنها تجاوزت ذلك كثيراً . قسم وسطها الى مربعات كرقعة الشطرنج تماماً الا ان ابنيتها خشبية سوداء كقنن الدجاج . وهي كاكثر ابنية يابان الاصلية ذات طابقين : الاول مخزن والثاني مسكن ولا يبلغ الاثنان معاً ارتفاع طابق واحد . وهي مظلمة الدواخل قليلة الفرش والزجاج عديمة الزينة والفخامة

****

Digitized by Birzeit University Library

٣ — جواذب المدينة

١ً — الجمال الطبيعي في محيطها ، ٢ً — اهمية اثارها التاريخية ، ٣ً — تلة هياشي ، ٤ً — كونها داخلية تمثل حقيقة اليابانيين خلوا من العنصر الاجنبي ، ٥ً — مظهرها الديني ولذا دعيت بلد الهياكل

٤ — صناعتها

وان تكن كيوتو في داخلية البلاد فليست دون الاساكل صناعة بل هي ثانية اوساكا في المعامل . اشهر مصنوعاتها

١ — الفوتوغرافيا والتصوير اليدي ، ٢ً — البخور والروائح الذكية ، ٣ً — السجاجيد على انواعها ، ٤ً — الحبال من كل نوع ٥ً — الرخام والغرانيت والمنجورات ٦ً — النقش والطلاء ٧ً — الخار صيني ٨ً — المنسوجات الحريرية ٩ً — التخريم ١٠ً — الاثاث ١١ً — المراوح واللعب والبرانيط ١٢ً — الكتب والدفاتر وهلم جرا

٥ — تاريخ كيوتو

كانت عادة ملوك اليابان القدماء ان لا يملك احد منهم في عاصمة ابيه بل يختار كل عاصمة جديدة ينتصب فيها ولكن الامبراطور كواموا اختار كيوتو سنة ٧٩٤ وسماها هيان جو (مدينة السلام) ومن ثم دعيت كيوتو (العاصمة)

نشبت فيها الحرب الاهلية سنة ١٣٣٣ وظلت الى سنة ١٣٩٠ والتهمتها النيران سنة ١٤٦٧ فتركت اكثرها قاعاً صفصفاً . هكذا كانت لما زارها القديس كزافير المبشر الكاثوليكي الشهير سنة ١٥٤٩ وظل يكرز بها ٣ سنين وترك فيها خلفاءه الى سنة ١٦٢٠ يوم طردتهم الحكومة وكان لهم يومئذ ٢٥ الف متنصر

Digitized by Birzeit University Library

ولكن ايا يازو من عشيرة ميناموتو وطد فيها السلام سنة ١٥٩٨ وجدد كثيراً من بناياتها . وسنة ١٨٦٨ نقل منها عرش الميكادو الى طوكيو

٦ — مدارسها

١ — الجامعة الامبراطورية الثانية فيها خمس كليات و ٣٥٠٠ طالب . كلياتها الطبية والعلمية والهندسة والحقوق والزراعة . وفيها ايضاً كلية للبنات

٢ — مدارس البلدية الخمس وهي التجارة والفنون والنسيج وتربية دود الحرير والعميان

٣ — المدارس الامبراطورية العليا الخمس وهي البنات والمعلمين والهندسة والاعدادية الاولى والثانية

٤ — جامعة دوشيشا ، وهي مدرسة يابانية انشئت باموال امريكية . فيها سبع دوائر منها اثنتان للاناث عدد طلبتها كلها نحو ٢٠٠٠ ، دوائرها هي الاعداديتان العلميتان . اللاهوت . السياسة . الحقوق

٥ — ست مدارس اخرى طلبتها سبعة آلاف

٦ — احدى وستون ابتدائية طلبتها ثلاثون الفاً و ٢٥ مدرسة بستان للاطفال

٧ — كلية للبوذيين يدعونها جامعة فهي ثانية طوكيو علمياً

٧ — الابنية الامبراطورية

بيدي كتابان في هذا الموضوع ، وقد جلت فيها نهاراً كاملاً مقابل في مقابلة مواضيع الدرس . واليك خلاصة ما فيها :

اولاً — القصر الامبراطوري

Digitized by Birzeit University Library

يقع هذا الصرح في قلب القسم الشمالي من المدينة حوله جنان لا نظير لها في يابان . درت بها واخترقتها مرتين ، وهي بشكل مستطيل قائم الزوايا طوله نصف ميل ، يحيط به سور فيه ٩ ابواب . ضمن السور غابات باسقة الاشجار لطيفة الظلال وفيها الابنية الاتية :

١ القصر الامبراطوري في القلب ، محاط بسور حجري متين ، ضمنه صف اشجار متساوية العلو على المحيط

مساحة القصر ٢٨ فداناً مربعاً ، له اربعة ابواب ، وفيه قاعات ١ قاعة شيشن دن . مساحتها ٥٤٠ قدماً توج فيها الامبراطور موتوهيشو ووالده كومي كوكاكو ووراء العرش صورة حكماء الصين الاثنين والثلاثين . ب سيريون دن وهي قسم الامبراطور الخاص وفيها اقسام عديدة . ج تسون غوتن . القصر العادي وفيه ثلاث دوائر للامبراطور وعائلته

د كوغوتو . حيث يقابل الامبراطور اشراف البلاد وهي كثيرة الغرف

ه سنتوغوشو . في الشرق وفيها جنينة بديعة

وقصر الامبراطورة في الشمال

هذا ما في القصر الامبراطوري

٢ — قصر البرنس كوني توميا في الغرب

٣ — قصر البرنس كتسورا نوميا في الشمال

٤ — ادارة الاملاك الامبراطورية

٥ — مدرسة الفنون ، ٦ المكتبة العمومية ، ٧ المرصد الميترولوجي

كل هذه ضمن الحراج المحيطة بالقصر الامبراطوري ، جلت بينها كمن

Digitized by Birzeit University Library

يسير بين مدينة واختها . بني هذا القصر سنة ٧٩٤ واحرق سنة ١٢٢٧ وجدد سنة ١٦٠١ وكمل سنة ١٨٥٦

ثانياً ، قلعة نيجو — او بلدة الشوغون — رئيس يابان الروحي شادها ايا يازو سنة ١٦٠٣ وسكنها خلفاءوه الى سنة ١٨٦٧ واستلمتها الحكومة ١٨٨١ قصدت هذه القلعة ودرت فيها : يحيط بها سور حجري حوله خندق ماء . مساحة ما ضمن السور ثلاثة ملايين قدم مربعة . وفيها من آي الصناعة والفن ما يخلد اسمها في السجلات من ازهار واشجار واطيار وانهار وحيوان وانسان ، على السقوف والجدران واكثرها بالذهب الخالص وبديع الالوان

وفيها الابنية الاتية :

١ً — القصر الاول وفيه : ا) قاعة السفير الامبراطوري نقشها اشجار القنشب ، ب) قاعة الاستقبال الكبرى نقوشها نمورة وخيزران ، ج) قاعة لوتوس نقوشها ازهار دراقن وطيور وخيزران

٢ً — القصر الثاني : غربي الاول وفيه قاعة شكيداي وقاعة روجو حيث السبع الناظر الى كل الجهات ، وقاعة الرمخ

٣ً — القصر الثالث ومساحة ارضه الف قدم مربعة وفيه القاعة العريضة ذات النقوش الصنوبرية

٤ً — القصر الرابع في الشمال . وهذا مقر الشوغون

٨ — المرسل هنافورد الامريكي

عرفت هذا الرجل في سوريا . زارني في حمص سنة ١٩١٢ ، هذا خف الملافاتي وصاح ضاحكاً :

Digitized by Birzeit University Library

ألى هنا يا خباز؟

اجبت : انا في اول الطريق يا مولاي

وكان في ضيافته الاستاذ شيرلي في جامعة دوشيشا وقرينته . قدمني اليهما فسلما عليّ وكتبا الاسم في دفتري فلما قرأت اسم دوشيشا شهقت قائلاً : أهنا دوشيشا ؟ اريد ان ازورها . قال على الرحب والسعة ايها السائح السوري

ولما عدت من فيليبين زرت الجامعة وقابلت مس دنتن الامريكية وهاك حديثها :

— متى اتيت يابان يا سيدتي ؟

دنتن — سنة ١٨٨٨

خباز — وكنت كل المدة في مدرسة البنات ؟

دنتن — نعم

خباز — فانت اذن خبيرة ويحق لي الاخذ عنك

دنتن — لك ما تشاء ايها السائح خباز

خباز — كيف رأيت بنات نيبون ؟

دنتن — لا يفوقهن احد براعة واخلاقاً

خباز — أفيهن كاتبة او صحافية ؟

دنتن — ليس ذلك من اغراضنا

خباز — فما هو غرضك ؟

دنتن — تخريج بنات بيوت مستعدات للامومة

خباز — أفي خريجاتك من تنتخب

دنتن — نعم اذا توفرت فيها الشروط

Digitized by Birzeit University Library

خباز — وما هي تلك الشروط ؟

دنتن — لا اعرفها تماماً ولكنها تقلل عدد المنتخبات

خباز — ما هي اختباراتك في العائلة اليابانية ؟

دنتن — تنحصر اختباراتي في العائلة المسيحية

خباز — احسنت ، فما هي

دنتن — من احسن العائلات في محبة الاولاد وتربيتهم

خباز — أيسيء الرجال معاملتهن ؟

دنتن — كلا ، انما تختلف ظواهر المعاملات

خباز — وما هي تلك الظواهر ؟

دنتن لا يقفون لهن لكن ذلك لا ينافي احترامهن

خباز — أعندك من ستخلفك الرئاسة ؟

دنتن — لست الرئيسة

خباز — فمن هي الرئيسة اذن ؟

دنتن — لا رئيسة انما بل نحن تحت رئاسة الرئيس العام

خباز — اوليس لكل كلية رئيس ؟

دنتن — بل الدكتور هارادا للكل

خباز — كم معلم في الجامعة ؟

دنتن — ١٦١ منهم عشرة اجانب لا غير

خباز — وكم بناء ؟

دنتن — ٧ كبرى منها اثنتان للبنات

Digitized by Birzeit University Library

خباز — من انشأها ، ومتى ؟

دنتن — المعلم يوسف نيشيما سنة ١٨٧٥

خباز — ومتى مات ؟

دنتن — سنة ١٨٨٥ وعمره ٤٨ سنة

فضحكت ضحكة كبيرة فسألتني ماذا اضحكني ؟ قلت عفواً سيدتي ان موت الرجل مما يؤسف عليه ، لكنه مات في سني الحالي . مدرستي غير مستعدة لموتي . ثم تابعت السؤال : كم كنيسة انجيلية في كيوتو ؟

دنتن — نحو ٣٥ مدرسة

خباز — ما رأيك في تدين اليابانيين ؟

دنتن — كثرة هياكلهم تدل على شدة تدينهم

خباز — ولكن الناس يشكون من فتور الشبان

دنتن — هذه شكوى الناس في كل مكان

١٠ — شبان يابان

عاشرت اليوم سبعة شبان فرأيت فيهم من سعة القلب وكرم النفس ما لم ... في غيرهم

لا تظهر عليهم شخصية عظيمة ولكن عظمتهم غير ما يظهر

في ١٥ اب سنة ١٩١٨ — اليوم رأيت في كيوتو امرين غريبين : الاول ... امة على فم الحلاق كيلا يتنفس بوجه الزبون . الثاني برنيطة على رأس ... كديش حذراً من ضربة الشمس

**

Digitized by Birzeit University Library

المقالة الثامنة والعشرون — ناغويا

سدَّت زيارتي ناغويا فراغاً عظيما في اختباراتي ، اذ ارتني يابان قبل ٣٥ سنة لان المدينة بعيدة عن تأثيرات الاجانب فيها ، وليست كغيرها من الاساكل

وصلتها في قطار الليل الساعة الرابعة ونصف فاشتريت خارتتها من المحطة حسب عادتي وخرجت بها اجول في الشوارع . ان اوساكا وكيوتو وناغويا على نسق واحد في الهندسة والشوارع

تحرك الكار الساعة الخامسة ونصف فكنت اول من ركبه الى خارج ناغويا



خمس يابانيات يأكلن

Digitized by Birzeit University Library

١ ــ قلعتها

هذه القلعة من اثار ايا يازو سكنها وابنه وهوشوغون من عشيرة الطوغو كاوا ، وضع الامبراطور يده عليها سنة ١٨٦٨ لما سقط الشوغون

على رأس جناحها النسر الذهبي وهو من اعظم مفاخرهم ، في ظهره ١٧٠٠٠ قطقة ذهب ، قدرت قيمته في معرض فينا سنة ١٨٧٣ بنحو ٣٤٠٠٠٤٠٠٠ ليرة انكليزية

حولها جنائن ومروج كما في القصر الامبراطوري في كيوتو

٢ــ العجوزان

اثناء تجوالي بالمدينة رأيت باباً عليه اسم جمعية الشبان فقصدته رغبة في تسقط الاخبار فلم اجد في المحل سوى عجوز يابانية من بقايا الطوفان . سألتها عن الرئيس فاشارة بيدها اشارة ظننت انها تعني بها انه لم يأت بعد لان الوقت باكرا

فأشرت اليها بيدي ورأسي وعيني ولساني وقلبي انني سأعود ، والله يعلم من منا فهم اخاه

وغب مرور ساعتين عدت الى المكان وقرعت الباب حتى كلّ متني واذا بشيخ هرم خلته زوجها ينشد من جهة الشعر " وعش خاليا " سألته عن بيت الرئيس فاشار بيده اشارة فهمت بها ان البيت فوق النادي وانما بابه في الشارع الثاني . هذا كل ما فهمته من العم او كوشيمو ولم ادر انه على بعد ٣ كيلومترات منا . فهممت بالخروج قاصداً بيت الرئيس ، على انني زيادة في الحرص عدت ونشرت الخارطة امامه على الخوان ، كأنه من سلالة افلاطون وسألته ان يدلني على باب البيت تماماً

Digitized by Birzeit University Library

فحملق بي وعقله خال من الجغرافية خلو عينيه من الشعر ، وكرّر اشارته الاولى فاعطيته قلما ليكتب اسم الشارع فكتب ما لا افهمه وقال (جنكوتو)

فلم يقنعني ذلك بل قبضت على اذياله وارغمته على الخروج معي ليدلني على الباب والا الحقته بجده

فرفرف عينيه الخاليتين من الشعر وبلع ريقه كأنه امام الجزار ، وانتفخت اوداجه كأنه في قبضة عزرائيل وسار على القبقاب حسب عوائد اليابان ودرت وراءه حذراً من قفل الباب ورائي اذا خرجت امامه فسار في الشارع وانا اتبع له من جرادة العيّار

ولما اطمأن على حيـاته ابتسم فظهرت لثته — اذ لا اسنان له — واندفع يحدثني بلغة يابان ففهمت انه لا يفهم انني لا افهمها . فشتمته بالعربية فظن انني اصدق حديثه وامدحه عليه ، فزاد ضحكاً حتى بان زلعومه . عندها قام عليّ ضميري وخشيت منه تعالى اذ ان هذا الاغلف يخدمني مجاناً وانا اشتمه . وللحال مرّ بنا الكار فركبنا وسار بنا طويلاً ولما وقف نزل الشيخ فتبعته ظاناً اننا وصلنا الى جنكوتو . لا وابيك ، فسار وعاد يحدثني وانا لا افهم ما يقص عليّ . واخيراً وصلنا الى باب دار دخلها فتبعته واشار اليّ ان انتظر فلبثت انتظر ، ثم عاد اليّ صحبة استاذ ياباني اسمه :

ك . كيكوشي

ظننته اولا الخادم نظراً لثوبه الوطني وضعة مظهره لكنه لدى الحديث فهمت انه هو لرئيس — ضالتي المنشودة

فتلوت عليه ملاحظاتي في ناغويا وهي :

Digitized by Birzeit University Library

اولاً – اكثر القوم في الشوارع من حدجني بالانظار ففهمت ان الاجانب قلائل عندهم

ثانياً – كانت حركة النقليات قليلة في الشوارع فعلمت ان الاسكلة قلما تشحن للخارج

ثالثاً – المخازن مفعمة بالبضائع دلالة على عمران الارياف حول المدينة

رابعاً – كثيرون من رجالها عراة دلالة على حداثة عهدهم باللباس

خامساً – بعضهن عاريات الى الوسط وهن يطللن على الباب، ففهمت ان المهم عندهن ستر القسم الاسفل من البدن فقط. فلا تعاب السيدة اذا تعرّت الى الوسط

سادساً – فيهم جبابرة طوال القامات دلالة على انهم سلالة الساموراي.

فصدق كيكوشي كل ملاحظاتي

وافادني ان سكان ناغويا نحو ٤٣٢٠٠٠

وفيها كلية طبيه وهندسية وتجارية واكاديمي و ١٠٠٠ متنصر. وان محدثي كيكوشي انشأ مدرسة تجارية على حسابه فيها ٨ معلمين و ١٥٠ طالباً.

فشكرته وانصرفت

٤ – بائعة المرطبات والخضار

خرجت من عند كيكوشي والحارتة مرشدي الوحيد، ودرت في المدينة من اقصاها الشرقي حتى بلغت دكان ثمار ومرطبات فقعدت على بابها اتقي لذعة الحر. وكان في بابها شيخ عاري البدن – هو صاحب الدكان – هذا مل القعود فاستلقى، واظن انه نام قبل ان وصل رأسه الارض، فاشتريت من زوجته كأسة

Digitized by Birzeit University Library

تلج محلى بالسكر، وثنيتها ثم تمددت، ونمت تجاه الباب وكنت اهديتها ٣سنسات فهالها امرها ورأتني حاتم طي . فلما انتبهت من نومي اذا هي والمروحة بيدها فوق رأسي تخدمني وانا نائم وعلى وجهها كل مظاهر الاحترام والخشوع كأنني من عالم الالهة

فشكرتها بقولي « اریاطو اوكوسي » وودعتها بقولي « صاينورا » ومع انها قبيحة الصورة احترمتها للطفها

٥ ـ الحلاقة

وبعد قليل مررت بحلاقة وهي صبية جميلة جداً : كلها حياة ، دكانها على الشارع ، صغيرة جداً ، لكنها ككل شيء في يابان نظيفة مرتبة

وهي اول مرة رأيت بها فتاة تحلق للرجال وقد شمرت عن ساعد كالزبرجد وعقد على وجنتيها الجلنار وحكت عيونها المها وهي لابسة مريولاً ابيض تحت وجه احمر . . . فرأيت ان الوقت مناسب لوضع رفبتي تحت موسها ولسان حالي يقول « خضوعي لكم بالهوى وتذللي »

ولما شرعت تحلق طفقت تحدثني ، حسب آدابهم فاجبتها « واكريماسن » اعني لا افهم . هذا كل ما قلته لها . فصمتت وهي رضية اديبة حرة الشمائل ولما انهت الحلاقة سالتها كم اجابت « جي كو » تعني ١٩ سنة او ١٠ سنسات اريكيه . فدفعت لها الاجرة وهدية ٧سنسات فحنت رأسها امامي دلالة الاحترام وقالت ارياطو كزيماصي (اشكرك كثيراً) وهي حظوتي الكبرى منها

لقد ظننتها اولاً انها مستخدمة ولكنها صاحبة المحل . لو كانت هذه الفتاة في سوريا لتزاحم الشبان في دكانها واثرت في القريب العاجل . على انها

Digitized by Birzeit University Library

هنا لا احد يلتفت اليهـا لانهم الفوا مثل منظرها . ولذا ارى انه يُرفع الحواجز
ثقل الشرور

١٦ــ احسن فطور بارخص ثمن

هنا جعت كثيراً وتعذر علي ايجاد مطعم وكنت قد سرت نحو ٥٠ كيلو - متراً . اخيراً ذكرت انني قرأت على احد الابواب قرب المحطة كلمة « مطعم » بالانكليزية ومتى كتب بالانكليزية كان ذلك دليلاً على ان الطعام اوربي

قصدت المكان واذا بفتاة رشيقة القوام بديعة الهندام فصيحة الكلام ما عليها ملام قدمت لي غدا مؤلفاً من خمسة انواع واحد منها كغدا هنغ كنغ . قلت في نفسي ليس كثيراً على هذا الغداء خمسة ريالات او عشرة . لان هـذه السيدة تساوي عشرين كاباً من صاحب الوجه الاسود هناك . ولما سألتهـا كم المطلوب لم اصدق سمعي اذ قالت « يان وربع يا خواجا » او ٦٠ سنسة امريكية هذا شأن كل بلاد يابان ــ ارخص بلاد من جهة الاجانب

٧ ــ المحطة

دخلتها والمطر ينهمل فاذا هي تموج بالامم والوقوف فيها اكثر من القعود وقد غصت غرف الانتظار بالكبار والصغار وكلهم سكوت، كأن على رؤوسهم الطير . هي صفة آل نيبون ولا سيما النساء لا تسمع لهن صوتاً انمـا المنادي يأتي كلما وصل قطار ويخبر بالجهة التي يقصدها فينهض العازمون على تلك الجهة وينصرفون سكوتاً كما كانوا

ناغويا ملتقى الخطوط الحديدية القادمة من الشرق . ولذا كانت قطراتها متواصلة . والحركة فيها تحكي الحركة في مدن الولايات المتحدة الا انها في ناغويا وكل يابان اقل ضوضاء منها في امريكا . اليابانيون موصوفون بالسكينة وهدوء الروح

المقالة التاسعة والعشرون — يوكوهاما

يوكوهاما اول اساكل يابان ورأس الخطوط الحديدية . وهي عروس الشرق ومفتاح الباسيفيك

وتقسم المدينة الى قسمين ساحلي وجبلي ، فالساحلي مقر الحركة ومدار الاهمية ، فيه دوائر الحكومة والفنادق ووكالات الدول والشركات البحرية كما في موجي تماماً . وتتفرع فيه قناة اصلها من البحر تركت للمواصلات . وفي الجبلي المنازه والمد تشفيات وبيوت السكن ويسمونه البلف

١ — تاريخها

قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت يوكوهاما قرية يأوي اليها الصيادون ليلاً ويبرحونها نهاراً لاستئناف صيدهم غير حالمين بما اعدته الاقدار لقريتهم من زاهرات المستقبل . ظلوا على تلك الحال حتى فاجأتهم ، ويابان معهم ، مدافع الكوموردور باري سنة ١٨٥٣ ، وقد مر بك شرح الحكاية

في يوكوهاما عقد اول مؤتمر بين يابان وامريكا . وشهد اولئك الصيادون الحفاوة والاكرام اللتين قابلت بهما حكومة الامبراطور الاجانب البيض الطوال . ولاول مرة رنت في اذانهم الموسيقى الامريكية ورأوا بعيونهم ما تلا

Digitized by Birzeit University Library

ذلك من باهرات النتائج اذ فتحت اساكل يابان للتمدن الحديث. ومثلت دورها في عالم السياسة والاقتصاد والادب

وكان نموها مرافقاً تقدم يابان الحديث فبلغ عدد سكانها اليوم نحو نصف مليون وكان يومئذ ١٠٠٠٠ نفس

٢٠ — المرفأ

وبما ان مرفأها معرض لثورات الباسيفيك بنوا له سدين طولها ١٢٠٠٠ قدم بينهما ٦٥ قدما. فكان ضمنهما حوض امين فيه ثلاثة ارصفة طول الاول ٥١٥ قدماً وعرضه ٨٠ وعمقه ١٨ ، وطول الثاني ٤٨١ قدماً وعرضه ٦٣ وعمقه ٢١ ، وطول الثالث ٣٧٦ قدماً وعرضه ٥٠ وعمقه ٢٦

٢ — صادراتها وواردانها

٢٧١٨١٣٥٤٠	حرير خام	٥٨٠٨١٦٩	شاي ومأكولات
٢٧٣٤٠٩٨٧	معادن ومصنوعاتها	٩٠٠١٩٠٠	منسوجات
٣٩٠٦١٤٥٧	حبوب ودقيق	٤٩٤٩٩٨٤	لعب
١١٢٠٠٦٩٨	ثياب وحلى	٣٩٩١٥٦٣	سكر وحلويات
٨٥٩٩٢٨٣	مصنوعات قنب	٣٥٤٩٨٧٣	زيوت
٧٧٢٦٣٩٢	مشروبات	١٠٧٠٤٩٧	جلد وشعر وفرون الخ
٨٦٩٦٣١٠	عقاقير طبية وعلاجات	٣٩٧٧٨٠٥	ورق
٥٤٨٦٤٩٦	ساعات واجزاءوها	١٨٧٠٨٩٥	خزف وزجاج
٤٩٧،٦٥٣،٠٥٨	المجموع		

Digitized by Birzeit University Library

واردات

٦٠٤٣٩٤٥٥	شتى	٥٦١٤٦٣٤٩	قطن
٣٨٩٩٥٩٥٩	حديد وفولاذ	٢٤٢٤٣٠٧٤	عقاقير
١٢٥٠٧٨٣٣	حبوب وكعك	٨٧٧٥٣٥١٢	نحاس ورصاص زنك
٢٨٧٤٧١٨	خزف زجاج	٧٣٨٤٧٧٨	عربات وساعات
٦١٠٦١٨٨	ورق	٥٤٦٨٥٥٩	زيت شحم وشمع
٤٩٩٣٣٩٦	معادن ومصنوعاتها	٤٤٦٣٨٢٣	جلد وشعر وقرون الخ
٤٢٥٢٥٦٥	سكر وحلويات	٤٠٤٦٠٢٨	ركاز معادن
٥٥٤٧٩٢٧	حبوب ومأكولات	٤٦٣٩٥٥٦	اصواف ومنسوجات

المجموع ٢٠٩ ٧٣٧ ٦٨٣

٤ ــ مشاهدها

في بوكوهاما ملتقى الركبان من كل فج سحيق . في فنادقها وشوارعها ومطاعمها وكنائسها وادارات شركاتها يلتقي الامريكي والاوربي والافريقي والاوسترالي والاسيوي كل يوم . في كل باخرة يرد اليها الالوف وتبرحها الالوف ولا سيما في مدة الحرب العظمى وقد سدت في وجوه المسافرين المسالك فتحول التيار نحوها . فرحى الحل والترحال دائرة فيها ليل نهار . والجموع كمجاري الانهار وصفير القطار وطنطنة الكار وهدير البواخر وحركة النقل كسلسلة الزمان

٥ ــ شرق الشرق وغرب الغرب

هي اقصى الشرق الاقصى واقصى الغرب الاقصى . فالمسير منها الى الغرب شرقاً ومن الغرب اليها غرباً فاذا طار منها انسان بسرعة البرق الى امريكا اليوم

Digitized by Birzeit University Library

يصلها البارحة لان يومها متقدم على يوم امريكا

٦ ــ حالتها الاجتماعية

فيها خمسة الاف اجنبي يدفعون جزءاً من اربعين من مكوسها ولهم فيها :
١ كلية القديس يوسف ٢ معهدي البنات ومدرستان للمعلمين و ٢٠ كنيسة انجيلية فيها ٦٠٠٠ متنصر

وفيها حديقة كبيرة تجاه غرفة التجارة تجاورها دوائر الحكومة والقنصليات وبلاف غاردن في القسم الجبلي فيه ناد للالعاب الرياضية . وفيها كثير من محلات الصور المتحركة

٧ ــ شوارعها

اذا اعرضنا عن بعض الشوارع حول يوكوهاما بارك كاساهي ماشي ونيبون دوري فليس في يوكوهاما شوارع تستحق الذكر . واكثر ازقتها لا صورة ولا جمال . وليس لها فخامة المدن بالرغم من مركزها الاقتصادي وليست شريكة اخواتها نظافة لكن فيها فنادق من الطبقة الأولى اشهرها غراند هوتال على الرصيف وكلوب هوتال ودي فرانس

شارع اساهي

يبدأ من دار الجمرك . الى يساره دار الحكومة . وبعد قليل غرفة التجارة . فحديقة البلدية والمجلس البلدي وجسر يناتو باشى في هذا الشارع نادي الشبان المسيحيين وهو بناء جميل ذو ثلاثة ادوار فيه مطعم وحمامات وغرف قراءة وملاعب وقاعة للخطابة . في هذا النادي كنت اقضي اكثر اوقاتي مدة اقامتي في يوكوهاما . يوكوهاما ارخص من كوبي واسهل معيشة

Digitized by Birzeit University Library

٨ — مجمع العشاق

انا في فندق روسي يتقاطر اليه اجناس الاسيويين مع يهود روسيا في غرفتي ثلاثة كلهم بولشفيك روس ، واكثر النزل روس يتهافتون على الصحف تهافت الجياع على القصاع

ويعز عليهم كسر المانيا . ويكرهون القيصر وآل رومانوف . وهم اذلاء في يابان كالسجناء . لا يؤذن لهم بدخول روسيا ولا بالعودة الى امريكا . حين يهم احدهم ان يخاطبني بالسياسة كان رفيقه يضغط على يده احتساباً ليسكت . فهم اعداء الحلفاء

السياسي الاحمق

لم ارَ التعصب مجسماً بعد مصر الا هنا . كان احدهم يهرف بالسياسة الى ان قال انتهت انكلترا ولم يبق منها شيء

فدنوت منه وقلت له

فمن تقدم في فلسطين ٤٠٠ كيلومتر ؟ وفي العراق ١٥٠٠ كيلومتر ؟ ومن صد الالمان في الميدان الغربي ؟ ومن احتل اركنجل ؟ ومن انتزع كل مستعمرات المانيا ؟ ثم قلت له انك سترى عاجلاً دمار المانيا . فسكت وقومه خوفاً

المقالة الثلاثون — طوكيو ، عاصمة اليابان

هي الاولى في مدن اسيا والخامسة في مدن العالم . طولها ثمانية اميال ونصف وعرضها نحو سبعة ، عدد سكانها ثلاثة ملايين نفس

جلت فيها مرة مع الدكتور اويومورا الواعظ الياباني الشهير فكنا نتنقل

Digitized by Birzeit University Library

من كار الى كار ولا نزال في وسط المدينة . فسألته : واين تنتهي طوكيو؟ اجاب باسماً « لا اعلم هل ابدا تنتهي »

زرتها اول مرة في الكار من يوكوهاما وكنت اظن ان محطة اومباشي — حيث وقف الكار — هي بداية المدينة . على انني عرفت بعد ذلك انني مررنا بخمس محطات قبلها وكل تلك المحطات هي طوكيو

حالما خرجت من اومباشي قصدت نادي الشبان المسيحيين وقدمت التوصية التي بيدي لسكرتير الجمعية مستر دافيس فاعطاني شاباً يابانياً يصحبني بالتجوال اسمه كيتازاوا . واليك خلاصة سياحتي

١ — قلب طوكيو

هي عبارة عن بقعة في وسط المدينة مساحتها ميلان مربعان فيها الاشياء الاتي ذكرها

اولاً القصر الامبراطوري تحيط به المروج حوله سور حجري يطوقه خليج ماء ويقسم القصر الامبراطوري الى قسمين هومارو ، القلعة الرئيسية ، ونيشينو-مارو ، القلعة الغربية

يحظر على العوام الدخول اليه

ووراء القصر كثير من البنايات الامبراطورية ، منها :

ثانيا — نظارة العدلية

ثالثاً — البرلمان ، مجلس النواب

رابعاً — المدرسة الاعدادية الكبرى يزيد طلبتها على ثلاثة الاف

خامساً — نظارة الحربية

Digitized by Birzeit University Library

سادساً — قلم المطبوعات الرسمي

سابعاً — مدرسة الحقوق الكبرى

ثامناً — هيبيا بارك — وهو كعبة الحقوقيين والمخبرين السياسيين بل كعبة طوكيو برمتها. تبلغ مساحته ٤٤ فداناً مربعاً فيه كثير من المطاعم والاندية والدوائر. طول مماشيه اربعة اميال. وفيه مقاصف ومصايف وحدائق وميادين العاب وبحيرة ماء كبيرة ودكة لجوقة الموسيقى. وبقربه مركز التقويم فيه مليون مشترك

دعوت هذه البقعة قلب طوكيو لانها منها بمنزلة القلب

٢ — دماغ طوكيو

على بعد ميلين من قلب طوكيو الى الشرق الشمالي وفيها :

اولاً — الجامعة الامبراطورية في وسط مروج فسيحة تكسوها النضارة والاشجار. تفرقت في جنباتها الابنية الشامخة

واليك بيان اقسام الجامعة وعدد طلبتها :

طلبة كلية الحقوق

٧٦ مستعدون ١١٦٠ دارسو الشريعة ٥٣٠ دارسو السياسة ١٦٤ دارسو التجارة ١٤١ دارسو الاقتصاد — المجموع ٢٠٧١

طلبة كلية الطب

٢٣ مستعدون ٦٠ صيدليون ٣٠ احرار ٧٠٤ طبيون — المجموع ٨٧٢

طلبة كلية الهندسة

مستعدون ١١١ هندسة مدنية ١٢٧ هندسة ميكانيكية ٣٢ هندسة

Digitized by Birzeit University Library

بحرية ٥ هندسة الاسطول ٣٠ هندسة فنية ١٠٦ هندسة كهربائية ٥٣
هندسة بناء ٧٣ هندسة كيمية مركبة ٨٣ هندسة تعدين وانفجار ٥٢
هندسة تعدين — المجموع ٧٤٣

طلبة كلية الفنون

١٦٢ فلسفة ٤٤ آداب ١٢٢ تاريخ ٥٣ تعليم ٩٥ مستقلون — المجموع ٥١٨

طلبة الكلية العلمية

٣٨ مستعدون ٢٠ رياضيات ٧ فلك ٢١ طبيعيات ٣٤ تحليل ٣٦ كيميا ١٤
حيوان ١٢ نبات ٢٨ جيولوجيا ٣ معادن ٧ مستقلون - المجموع ٢٢٠

طلبة الكلية الزراعية

٣٤ زراعة ١٩٣ كيميا زراعة ٤٩ غابات ٨٧ بيطرة ١٥ صيد ٢ مستقلون
١١١ غابات ١٢٤ زراعة — المجموع ٧٦٣

ويزيد مجموع الطلبة على ٥٠٠ طالب

مساحة اراضي الجامعة خمسة وثمانون فداناً مربعاً ليس فيها فراغ الا ساحات اللعب الرسمية وحتى هذه مروج سندسية

اما كلية الزراعة فهي خارج المدينة ولها ارض مساحتها مئة وخمسون فداناً مربعاً. تنفق الحكومة على الجامعة سنوياً مئة واربعون الف ليرة انكليزية. عدد العاملين فيها نحو ٢٥٠. يحضر الامبراطور او من ينوب منابه حفلتها السنوية

Digitized by Birzeit University Library

رئيس هـذه الجامعة البارون كانيجيرو ياما خريج جامعة يال في نيو هافن كنيكتيكت . فيها مكتبة تحتوي على ٣٢٩٣٠٠ مجلد . و ٢٧٧٦٤٠٠ مجلد باللغة الانكليزية . فيها خمس قاعات للمطالعة

ثانياً المستشفى الامبراطوري التابع للجامعة ويقع شرقيها فيه نحو ٧٠٠ سرير

ثالثاً شينيو بازو . بحيرة ماء طولها نحو ١٢٠٠ قدم بعرض ٤٠٠

رابعاً اوينو بارلا . وهو جنة دانية القطوف فسيحة المروج ظليلة الاشجار كثيرة المقاصف والهياكل والدوائر . ومنها :

المتحف الامبراطوري شيد سنة ١٨٧٢ ويقسم الى اربعة اقسام :

ا) قسم الفنون الجميلة . من تصاوير ومصنوعات الخ

ب) قسم الصنائع والمهن فيه كل انواع الاقمشة والخزف والنجور الخ

ج) الاركيولوجي ، الاثار القديمة

د) التاريخ الطبيعي للنبات والحيوان والانسان والجماد

وفي اوينو بارك ايضاً جنينة الوحوش ومدرسة الفنون واكاديميا الموسيقى والمكتبة الاهلية وهيكل بوذا

دعوت هذا القسم دماغ طوكيو والسبب ظاهر

٣ طرة طوكيو

خرجت صباح ١٩ ايار سنة ١٩١٨ اجوس خلايا الديار وقلمي بيدي ، وكانت وجهتي شمالي العاصمة واذا بقسم يرتفع عن الشارع كأنه جبل في وسط المدينة . فصعدت اليه مع الصاعدين ظاناً انه يختص بالحكومة ، واذا هو حي من احياء العاصمة فجعلت اجول فيه حتى بلغت سوراً حديدياً ضمنه جنائن

Digitized by Birzeit University Library

زاهرة وبنايتان بلغتا قلب الجو كأنهما جبلان على رأس جبل وعلى رأس كل منهما صليب طول الآدمي. فقلت في نفسي اثار اخواننا الجزويت ، فاقدس معهم اليوم . فما كان اعظم دهشتي لما دخلت احداهما فاذا هي كنيسة الروم الارثوذكس الروسية . كان فيها ستون من طلبة المكتب البحري الياباني والخوري يشرح لهم ما يختص بالكنيسة

فرحب بي الخوري وقادني صحبتهم الى القبه العليا وهو ما كنت ارغبه ، درجات القبة مئة مصنوعة بحجر الغرانيت فالخشب الصقيل ، ومساحة ارضها ١٤٤ قدماً مربعة ولها اربعة اقواس على الاربع جهات

في القوس الاول ثلاثة اجراس متفاوتة الحجم ، وفي الثاني ثلاثة كذلك اصغرها اكبر من الثلاثة الاولى وفي الثالث جرسان اصغرهما اكبر من اكبر المار ذكرها وفي الرابع جرس واحد اكبر من مجموع الكل ، وفي وسط القبة جرس لم ارَ مثله في حياتي ولا تصورت جرساً بهذا الحجم ، عليه من النقوش والكتابات الشيء الكثير

واظن انه لو رن هذا الجرس لاهتزت له العاصمة وظن اهلوها ان قد نفخ في الصور وبعث في القبور ، ولا بدع فهذا الجرس صنو جرس موسكو او اخوه

امام ذلك الجرس وقفت افكر ، ودخلت دماغ روسيا ، ورايت خيالها الشيوكرانيكي

ملك العالم تحت ادارة الله

واطللت من القبة — من الجهات الاربع — كأنني في الغمام ، فلم ارَ لطوكيو نهاية ولا من جهة دلالة على سعتها

Digitized by Birzeit University Library

ماذا في طوكيو

في كل عاصمة ثلاثة مواضيع كبرى للنظر هي : الحكومة والامة والاجانب

الحكومة اليابانية

هي افضل الحكومات، وارقاها فانها « حكومة الامة بالامة للامة »

حكومة يابان ساهرة على رعاياها . تراقب انفاذ قوانينها الصحية والادبية والاقتصادية . بوليسها في رأس كل شارع يمثل دولته بيقظته واستعداده . يخدم الكبير والصغير ويحسن الى القاصر والغريب

مراراً عديدة كان يرافقني ليخدمني ويهديني

محاكم يابان مفتوحة الابواب لتأييد العدالة وتعزيز الامن ، سيفها مصلت للدفاع عن مصلحة الامة وكرامتها

استخدمت المستشارين من كل امة : امدتهم بالرواتب الكبيرة واطلقت ايديهم وشجعتهم مع ان جارتها الصين واختها تركيا قضتا العمر في مشاكسة الاجانب . فبالطبع مصير يابان غير مصير تينك المملكتين .

الامة اليابانية

كان شغل الصحف الشاغل في اثناء زيارتي العاصمة لاول مرة في ١٨ ايار مسألة البارون كوتو ناظر الخارجية

انتقدت الصحف سياسة حكومتها الخارجية انتقاداً مرا ، وبالطبع مرى ذلك الانتقاد ناظر الخارجية ، فساءه ذلك وصرح في احدى المآدب بازوم « كم الصحافة » فاحتج على ذلك مخبرو نادي كازومي ، فاقفل الناظر في وجوه هؤلاء غرفة الاخبار السياسية ، فماذا كانت النتيجة ؟

Digitized by Birzeit University Library

لو حدث مثل ذلك في تركيا لتسابقت بقية الاندية لتمليق الحكومة
ولكن في يابان لا يسمع امر هكذا. فاسمع ما جرى

في الليل اجتمع كل نقابات الاخبار السياسية في طوكيو ، كلٌ على حدة
ووقعت كل نقابة قرارها وعينت نائبها

واجتمع اولئك النواب في اليوم التالي في احد مطاعم هيبيا بارك ، ودام الاجتماع ست ساعات قسموا اعمالهم الى قسمين ، قرأ في القسم الاول النواب التفويض بيدهم ووقعوا في القسم الثاني القرار الاتي

« اجمعت اندية الصحافة والاخبار والسياسة في طوكيو على إنكار عمل البارون كيوتو بتدخله في حرية الصحافة ومسه المبدأ الدستوري الضروري لحياة الامة »

وقرروا عقد اجتماع عمومي يدعون اليه جميع الصحافيين في الامبراطورية للقيام بعمل اجماعي ضد الوزير

وكانت كبار الصحف توبيخ بمقالاتها الضافية

فجاء في اساهي طوكيو « شمس الصباح » ما نصه

« تمثل الصحافة الرأي العام ، فمن واجباتهـا اعلان شعور الامة ، ونشر آرائها وافكارها ، فليست هي آلة في يد الحكومة ، ولا يجوز اعتبارها او معاملتها كذلك ، فمن العبث توهم الحكام وهم البارون كيوتو ناظر الخارجية ، بقفلة غرفة الاخبار في وجوه مخبري كازوي ، زاعما ان يعاملهم كمستخدمين »

وقالت جيجي اكثر من ذلك كثيرًا

وكان اهم مواضيع الصحافة في زيارتي الثانية في اواخر صيف ١٩١٨

Digitized by Birzeit University Library

اسعار الارز

تصاعدت اسعار الارز كثيراً في الصيف فهاج الاهلون على المحتكرين في كوبي وناغويا وكيوتو ويوكوهاما وغيرها. وكانت الصحف تروي الاخبار اليومية على علاتها فرأى ناظر الداخلية الدكتور مدزومو ان نشر اخبار الهياج كالنفخ في النار يزيدها ضراماً — فابلغ الصحافة في ١٢ آب ان تكف عن نشر اخبار الهياج

فماذا كانت النتيجة ؟

في طوكيو نقابتان وهما شنجو كاي وسايو كاي. تمثل الاولى الصحافة والثانية الحزب الدستوري فاجتمع اعضاء شنجو كاي في ١٥ آب وابلغوا الوزارة القرار الآتي :

« ان قرار ناظر الداخلية بمنع الصحافة عن نشر اخبار الهياج الحاصل في يابان بسبب غلاء الارز هو تدخل خطر في حرية الصحافة وخطوة سيئة لم يسبق لها نظيم فيلتمس نادي شنجو ان يلغي الناظر قراره قبل الساعة ٣ من مساء ١٦ الجاري

وحمل القرار ثلاثة من الزعماء وهم

لوشيو عن صحيفة جو — متوياما عن اساهي طوكيو كوريو صحيفة يوروز

وعلقت على ذلك الصحف، تعليقات شديدة اللهجة ورأت اساهي وجيجي انه قد حان الوقت لقلب وزارة تروشي لان تأديب الناظر وحده لا يكفي. واليك ما جاء في اساهي اوساكا

« لا وزارة غير وزارة تروشي تجرأت على حرية الصحافة، متعامية عن

Digitized by Birzeit University Library

اهميتها. تناصر الحكومة الحرة صحافتها ، بل تستنجدها ، اما الحكومة المستبدة فتقاومها. فعمل وزارة تروشي رجوع الى الاستبداد. ان اطفاء النور وترك الامة في ظلام الجهل يزيدها توهماً فيتسع نطاق الهياج. اما نشر الاخبار فيساعد على معرفة الداء ويمكن الحكومة من مداواته واستئصاله. فتستغرب اساهي ظن الحكومة انه بوسيلة كهذه يستتب الامن في البلاد وهو عمل مناف روح الدستور الضامن حرية الصحافة وهو سبب آخر لعدم ثقتنا بوزارة تروشي

وكتبت جيجي ومونيشي اكثر من ذلك كثيراً

ولم تأزف الساعة ٣ مساء ١٦ آب حتى اعلنت الوزارة خضوعها لقرار الامة ، ومع ذلك سقطت الوزارة سريعاً

كلف الامبراطور الكونت سايونجي الشهير في تشكيل وزارة جديدة فعاد اليه بعد اسبوع يعتذر عن ذلك وينصح جلالته ان يعهد بتأليف وزارة للدكتور هارا رئيس الاحرار

وهكذا كان. ولا يزال هارا رئيس الوزارة حتى اليوم

درست امة يابان بشوارعها ، شوارع الامة كصحفها مرآة اخلاقها. فماذا رأيت في شوارع طوكيو ؟ — النظافة والاستقامة والسكينة

ربيت في سوريا والفت شوارعها ، وقطنت في مصر بضعة اعوام ، ورأيت فيها ما رأيت. ومررت بهندستان والصين وعثرت على شيء من شوئونهما فكانت شوارع يابان مخالفة لكل ذلك

ان طالت او قصرت فهي مستقيمة واذا دارت دار على زاوية قائمة فدلني ذلك على الاقتصاد ، المساواة ، النظام في يابان. مدينة فيها ثلاثة ملايين نفس

لا تسمع فيها ضوضاء بلدة سورية او مصرية . تجول فيها وفي ضواحيها فلا ترى شيئاً من الاقذار . ذلك دليل الذوق والشرف والاجتهاد . لا يرفع باعة الصحف بها صوتاً بل يرن كل جرساً صغيراً بيده لاستلفات الانظار اليه

ولا ينطق باعة الفواكه انما يكتبون اسعار الثمار على نوحات خشب في وسط اطباق الثمار فتتكلم هذه عنهم وهم صامتون

حضرت يوم كتابة هذه المقالة ثلاثة اجتماعات في طوكيو :

الاول في كنيسة متودست ، واعظمها الدكتور ابينو ، واليك وصفها .

الكنيسة نظيفة جدا ، دخل العابدون بكل هدوء ورصانة وقعدوا على المقاعد وهم سكوت — بخلاف ما كان في كنيسة هنغ كنغ الصينية ، وكلهم تقريباً بالثياب البدوية سواء في ذلك شبانهم وسيداتهم

حضرت اجتماعات كثيرة في مشارق الارض ومغاربها فلم اشهد اجتماعا اكثر وقاراً وانتظاما من ذلك الاجتماع الوطني الياباني

نهض صف المرنمين ، وعدده عشرون ، ثلاثة اخماسهم سيدات ، تقودهم سيدة على الارغن ، فرنم الجميع ترنيما يابانيا الالفاظ امريكي النغم حسن الايقاع فلم يكونوا دون صفوف الترنيم الامريكية اتقاناً وادباً

وبعد الاجتماع خرج القوم كما دخلوا — صامتين

الثاني في هيبيا بارك . اجتماع عمومي مدني لسمع موسيقى جوقة الاسطول كان في هذا الاجتماع ثلاثة الاف الوقوف فيهم اكثر من القعود . راقبتهم اكثر من ساعة فلم ارَ ادنى اخلال بالنظام

الثالث في اوينو بارك — في المتحف والحدائق حوله ، رأيت هناك

Digitized by Birzeit University Library

عشرات الالوف من اليابانيين رجالاً ونساءً واطفالاً — وكلهم ، كلهم هدوء وانتظام . لم يمد احدهم يده الى معروضات المتحف ولا رفعت فتاة ولا صبي صوتاً

الاجانب في طوكيو

الاجانب في طوكيو ثلاثة انواع : ١ السفارات — ٢ التجار — ٣ المرسلون . عدد الجميع ١٠ الاف واكثرهم من الطبقات الراقية يتكلمون الانكليزية

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فلي كلمة في

اللغة الانكليزية في يابان

من غرائب الامور نفوذ اللغة الانكليزية في يابان . تنشر الحكومة مناشيرها بالانكليزية وكذلك تفعل الشركات الكبرى والغرف التجارية وتكتب نقودها باللغتين اليابانية والانكليزية وتعلم كل العلوم في كلياتها واكاديمياتها بالانكليزية . فلماذا ؟

الامر واضح . ان حكومة يابان حكيمة ، فقد رأت نفسها محاطة بامم ثلاث : الانكليز شرقي الاتلانتيك ، الولايات المتحدة شرقي الباسفيك ، الاسترالبون شرقي الهندي فرأت ان تكون رابعتهم

كنا في تركيا نهان مضطهدين لاننا ندرس الانكليزية — لخير الامة — اذ كنا نسلح ابناءنا وبناتنا بتلك اللغة ليتمكنوا من فتح طريقهم في معترك الحياة وقد شاركتنا يابان بهذا الغرض

كتب ناظر المعارف في يابان اسكرتير جمعية الشبان يقول « اجلب معلمين امريكان لتدريس اللغة الانكليزية وليكونوا مسيحيين »

Digitized by Birzeit University Library

٧ — المعارف في طوكيو

يعنى استاذ الجغرافيا بذكر المدن ذات الجامعات ، لان الجامعة اهم من المدينة ، ولما مررت بهندستان هنأت اهاليها لان عندهم ١١ جامعة ، فاذا يقول القارىء اذا سمع :

ان في طوكيو وحدها ١٢ جامعة واليك اسماءها :

١ً الجامعة الامبراطورية طلبتها ٥٢٠٠ — ٢ً جامعة واسيدا طلبتها ٥٠٠٠ — ٣ً جامعة كيو ٤ً جامعة طويو ٥ً جامعة نيبون ٦ً جامعة مي جيء ٧ً جامعة جيو ٨ً جامعة الزراعة ٩ً جامعة كوكا أن ١٠ً جامعة سن سوء ١١ً جامعة دكيو ١٢ً جامعة خوصى للحقوق

ثم ان ليس كلها بدرجة واحدة ولكن ألا يري القارىء ان ذلك هو جدير بالاعتبار . فان ثلاثاً منها على الاقل تستحق اسم جامعة . ولا يوجد اعظم من ذلك في برلين ولا لندن ولا نيويورك

في طوكيو عشرون صحيفة يومية و٥٩ اسبوعية وشهرية وعشرون سفارة وعشرون بنكاً كبيراً وخمسون الف متنصر و١٥٠ كنيسة انجيلية

المقالة الحادية والثلاثون

حديث الدكتور ابينو والواعظ اويمورا

قصدت الدكتور احمل اليه كتاب توصية من الدكتور دافيس فبلغت بيته الساعة ٥ مساء فشاركته وامرأته في شرب الشاي

الرجل بسيط المظهر ربع القامة غليظ الحاجبين عالي الجبهة كث اللحية

Digitized by Birzeit University Library

كبير الدماغ برّاق العينين عريض المنكبين يشبه كثيراً المعلم اسعد الشدودي السوري. وهو في العقد السابع من العمر متضلع من اللغة الانكليزية

زوجته نبيهة لطيفة تحسن الانكليزية مضياف بشوشة

بيته صغير نظيف شرقي الفرش هادىء لا اولاد فيه لان اولاد الدكتور وهم اربعة — شابان وشابتان — في الكليات وليس في البيت سوى العجوزين وخادمتهما وهي ثالثة الاثافي

خباز — اين درست يا دكتور ؟

ايينو — في دوشيشا

خباز — من سبق بالتنصر انت ام السيدة ؟

ايينو — تنصر كلانا قبل الزواج

خباز — وماذا كنت قبلاً ؟

ايينو — كنت بوذيا

خباز — ما هي اديان يابان؟

ايينو — ثلاثة : البوذية والشنتية والكنفوشية

خباز — وايها افضل ؟

ايينو — البوذية لانها فلسفية عميقة

خباز — وما قولك في الكنفوشية ؟

ايينو — انما هي اداب اجتماعية

خباز — والشنتية ؟

ايينو — كغيرها من اديان الهمجية : قومية

Digitized by Birzeit University Library

خباز — أنظن ان يابان ستنتصر ؟

ابينو — من كل بد

خباز - أيدل على ذلك تدرج الكنيسة حالياً ؟

ابينو — يشكو كثيرون تفشي روح الفتور في البلاد

خباز — أمستقلة كنيسك ؟

ابينو — نعم

خباز - كم عضويتها ؟

ابينو — ستمئة هنا وخمسمئة متغربون

خباز — أيضطهد اليابانيون من يخالفهم في دينه ؟

ابينو — كلا البتة ، ان مثل ذلك لا يسمع في يابان

خباز — أفي الطبقات العليا متنصرون ؟

ابينو — نعم واكثرهم مهذبون

خباز — وما شأن الاناث في الامة ؟

ابينو — اخذن يشاركن الذكور ببركة التعليم

خباز — أفيهن كاتبات ومؤلفات ؟

ابينو — نعم

خباز — وكيف يتم الزواج ؟

ابينو — برضا الوالدين

خباز — ايرغب شعبكم في العلم لذاته او لمنافعه المادية ؟

ابينو — شعبنا فقير . يرغب في العلم لمنافعه المادية

Digitized by Birzeit University Library

خباز — أيمكنك ان تذكر لي اختراعاً يابانياً ؟

ابينو — كلاً

خباز — اكثرت جرائدنا السورية على اثر الحرب الروسية اليابانية من نشر المقالات الضافية في انتشار الدين الاسلامي في يابان وان الميكادو مزمع ان يعتنق ذلك الدين ويجعله دين الامبراطورية فهل في ذلك شيء من الصحة ؟

ابينو — ان كاتب تلك المقالة من قومك يجهل شرائعنا فاننا لا نسمح لمعددي الزوجات ان يدخلوا يابان ولذلك لا يمكن ان يوجد في بلدنا ولا مسلم واحد

خباز — أليس عندكم معددو زوجات

ابينو — قطعياً

خباز — وهل اخذتم ذلك عن المسيحية ؟

ابينو — انها شريعتنا قبل المسيحية

خباز — وماذا يعمل الشهوانيون

ابينو — يقتنون السراري

خباز — أيعتقد اليابانيون بخلود النفس ؟

ابينو — يعتقدون بالتقمص وانت تعرفه

خباز — اوصحيح ان الاميرال طوغو مسيحي ؟

ابينو — سمعت انه كتب اسمه في احدى جمعيات لندن المسيحية . ولكني لم ار شيئاً من مسيحيته

خباز — ولماذا انتحر الجنرال نوجي

Digitized by Birzeit University Library

ابينو — لاظهار حبه للميكادو

خباز — وما رأي الصحافة في عمله ؟

ابينو — الوثنية مدحته والمسيحية بالعكس

خباز — قرأت كثيراً في صحفكم عن اعتصاب الطلبة فما علة ذلك

ابينو — يعتصب الطلبة الصينيون لاسباب سياسية . واليابانيون لغير اسباب

وفي الختام سألني عن بلدي فاخبرته وودعته شاكراً



صبية يابانية تحمل مظلة

Digitized by Birzeit University Library

٢ــ الدكتور اويومورا

عرفت في يوكوهاما استاذاً من امريكا اسمه مستر اومس . حدثته في امر يابان وسألته مساعدتي في درس ديانة الشنتو فسلمني كتاب توصية لتلميذه القديم اويومورا في طوكيو فقصدت المذكور وبيته تجاه بيت الاميرال طوغو تماماً

اوصافه : قصير القامة ضخم الجثة كبير الرأس قوي العارضة نبيل عالي الهمة شجاع كبير النفس واسع الاطلاع . زرته بعد الظهر وشربت معه الشاي . ولم ار له زوجة ، وعنه اخذت الحديث الآتي :

خباز ما هي كنيسة سيدي اويومورا ؟

ايومورا — مثودست

خباز — كم عضو عندك ؟

ج — الف ومائتان

خباز — متى بدأت بخدمتها ؟

ج — منذ ٣٧ سنة

خباز — وكم كانوا حينئذ ؟

ج — صفراً

خباز — كم متنصر تربح سنوياً ؟

ج — بين ٤٠ و ٨٠

خباز — افيها صحافيات ؟

هنا اسرع الى المكتبة وأتى بثلاثة اعداد مجلات وقال « هذه مجلة

Digitized by Birzeit University Library

الزوجات ، وهذه مجلة الصبايا ، وهـذه مجلة الحدثات .وكاتبة الثلاث احدى اعضاء كنيستي »

خباز ـ اوعندك صحافيون ؟

فبادر ايضاً الى المكتبة واتى بعدد مجلة كبير وقال « يطبع احد اعضاء كنيستي من هذه المجلة ٣٠ الفاً شهرياً »

خباز ـ ألك في خدمة الكنيسة مساعدون ؟

ج ـ لي مساعد ومساعدة

خباز ـ كم عدد كنائس طوكيو الانجيلية

ج ـ مئة وخمسون

خباز ـ وكم عدد كل من الطوائف ؟

ج ـ الزوم ٦٠٠٠ والكاثوليك ١٠٠٠٠ والبروتستان ٣٠٠٠٠

خباز ـ أبينهم شيء من المنازعات ؟

ج ـ كلا ولا بينهم وبين الوثنيين

خباز ... اية المذاهب انجح في طوكيو ؟

ج ـ كما في كتابك تماماً

خباز ـ اتيتك لدرس الديانة الشنتية ، فهل تذكر لي كتاباً انكليزياً بهذا الموضوع

ج ـ كتاب الشنتو في مكتبة السياج تأليف اوستن

فذهبت حالاً واشتريته وقرأته ثلاثاً ولخصته في ما يلي

وارى ان اقول كلمتي في ايومورا : اظن انه اعظم يابانيٍ قابلته .ألحّ عليّ ان

Digitized by Birzeit University Library

اكل معه وجال بي العاصمة . سألني ان اصحبه في زيارة الاميرال ظوغو فأبيت لعدم اهتمامي في الامر ولكني شكرته على ذلك



طفل ياباني

Digitized by Birzeit University Library

٣ — الشنتو ، طريق الالهة

« حدود »

ـ كامي : كلمة يابانية تفيد الرفعة والعظمة ، فتطلق على الجبل والقائد والملك وهي اسم اله عندهم وترجمتها الى العربية القدير او العلي

٢ـ ميتاما هي روح الاله

٣ـ شكينة هي نفس شكينا عند اليهود ومعناها : الساكن في

٤ـ شنتاي ، جسد الاله وقد يكون ذلك الجسد سيفاً او مرآة او سطلا الخ

٥ـ كامي ، اقنوم الاله وهو مجموع ميتامى وشنتاي

٦ـ يومي ، دار الالهة شريرة كانت ام صالحة

٧ـ الاصنام لا اصل لها في الشنتو

٨ـ العدد لا فرق فيه بين المفرق والجمع ـ مثال ذلك كاوا اسم نهر في اليابانية وكامي اسم اله فاذا قلت كامي او كاوا احتملت الترجمة الكلمات الاتية :

اله النهر ـ اله الانهار ـ الهة النهر ـ آلهة الانهار

٩ـ اهم اوصاف آلهة الشنتو الحس ، والسمو الخارق ، وغب درسها درساً مدققاً يمكن ضمها في صفين رئيسيين : الاول ما نتج عن تأليه الطبيعة والثاني ما نتج عن تأليه اشخاص تاريخيين . وتقسم الالهة عندهم الى ثلاثة صفوف :

١) معارف : كالشمس والقمر

٢) ونكرات : كالخصب

٣) اجناس : كالجشر

Digitized by Birzeit University Library

واعظم المتهم ثلاثة

١ــ اما ترسو وهي الشمس او اله الشمس

٢ــ اهونا موشي وهي الارض او اله الارض

٣ــ اوكي موشي وهي القوت او اله القوت

خلاصة الشنتو امران :

١ــ حيوية الكون ــ الصوفيه

٢ــ اصل الملوك الالهي . وهي ميثولوجيا كل امة

الميثولوجيا الاولى

في البدء كان الهة كثيرون لا اهمية لهم واسم احدهم « امي يدزورو هي آمي نو ساجي ري كوني يدزورو شو كي كوني نو ساجيري كوني يدزورو تصو كي كوني ساجي دي »

١ ــ الخلق

امرت جماعة الالهة ايزاناجي وايزانامي ان ينظما العالم السفلي فوقفا الخالقان على جسر السماوات العوام وقالا ألا بلد تحت ؟ ومدا صولجان السماء المرصع بسبزان به غور الفراغ فعثرا به على الاوقيانوس فتجمدت الفقاقيع المكونة عند رأس الرمح وكونت جزيرة اوغوروجيما ومعنى الاسم " المتجمدة "

٢ــ قران الخالقين

ونزل الخالقان فخلاها ودعواها عمود منتصف الكائنات . وشادا عليها منزلاً طوله ثماني قامات (لاحظ ان المقياس عندهم قامات)

وخاطب ايزاناجي ايزانامي قائلاً : دعينا ندور حول عمود منتصف

Digitized by Birzeit University Library

الكائنات « الجزيرة » من جهتين متقابلتين : انا من اليمين وانت من اليسار. وحيث نلتقي نعقد الزواج فاجابته ايزانامي الى ذلك. فلما التقيا صاحت « يا له من عريس جميل حظيت به » فاجابها هو « يا لها من عروس بديعة لقيتها » ثم قال : « من سوء حظ الانثى ان تتقدم في الكلام »

فكان نتاج قرانهما مولوداً علقياً اتم الثلاث ولم ينتصب فوضعاه في قارب من قصب الخيزران وسيّراه في قلب البحار

حاشية ــ يعتقد الفيليبيون ان اصلهم من القصب

٣ ــ مواليد الخالقين : وولدت ايزانامي طغمات الالهة ومنها :

١ــ ايها تسو كوشي بيكو ــ امير صخور الارض او الهها

٢ــ اوهو يكو ــ امير البيت العظيم

٣ــ امي نوبيكو ماري ــ موزع المياه السموي . اله المطر

٤ــ اله المستنقعات ٥ــ اله الرياح والعواصف ٦ــ اله الاشجار والنباتات ٧ــ الاهة البحار الثلاثة وهي البحر الاعلى والبحر الادنى والبحر الاوسط. ٨ ــ اله الجبال والاودية ٩ــ الاهة القوت ١٠ــ كالوتشي اله النار واحترقت ايزانامي بولادة هذ الاخير فلزمت فراشها مدة ثم ماتت. فخرج من شفائها ما لا يحصى من الالهة

وغضب ايزانامي على صغيره كاكوتشي لانه كان سبب موت امه فاستل سيفه وذبحه فنشأ عن موته الهان : ١ ــ تامن ميكانسوشي اله الرعود والصواعق

٢ــ فيتسو نوشي اله البراكين

واختلف علما اللاهوت في تكون الشمس والقمر فذهب بعضهم الى

Digitized by Birzeit University Library

انهما من اولاد الاخرين وذهب اخرون الى انهما تكوّنا من طهر ايزاناجي لدى عودته من يومي واليك الحكاية :

٤ــ سفر ايزاناجي الى يومي

لما ماتت ايزانامي ذهبت الى يومي — دار الالهة — فتبعها ايزاناجي زوجها الى هناك .واذ كانت قد اكلت من طعام الاخرة تعذر عليها اجابة رغبته بالعودة الى الدنيا .ونهته عن النظر اليها فلم تسعه الا مخالفتها .فرآها واذا هي جيفة منتنة فساءتها اهانته اياها .فاتبعته بنساء يومي القبيحات وغيرهن من مولدات السقام اللائي يكثر وجودهنّ في يومي .وهي نفسها تحولت الى شنتاي — موت — فنفض عن قدميه كثيراً من الالاهات الردية ، ولما بلغ ايفن ــ باب يومي ــ فاه بعبارة الطلاق ولما بلغ الدنيا اغتسل في البحر لنزع ما علق به من يومي ، فصدر عن ذلك الهة كثيرون ومنها على قول بعضهم القمران

٥ــ الميثولوجيا الثانية ، منازعات الالهة

وعين الخالق ابنه سوسانو وو سيداً على البحار ، وهو اله الزوابع .على انه آثر ان يلحق بامه الى يومي فاذن له ابوه بذلك .وقبلما برح صعد الى السماء لتوديع اخيه اما ترسو ، فارتجت الجبال واضطربت الانهار لما اجتاز حدوده . وتسلحت اماترسو حذراً من شره فتقلدت سيفها وحملت قوسها ورفست صخور الارض بقدمها فغارت في الصخور الى الفخذ ودعت اخاها للبراز فاعتذر لها بان زيارته حبية وتأكيد ذلك اقترح عليها ان يلدا اولاداً بابواز كل منهما سيوفاً وجواهر يتقلدها الاخر

كان احد مواليدهما ماسايا آكتسو كاشي ، جد الاسرة الامبراطورية ،

Digitized by Birzeit University Library

وسبعة آخرون هم اسلاف اشراف يابان . ولكن طبيعة اله العواصف لم تتغير . فعطل حقول الارز لاخته ودنس القاعة المكرسة للحفلات واطلق المهر الابلق فدخل غرفة النسيج التي تحوك بها اماترسو ملابسها

فاحتملت اخته منه كل تلك الاهانات الا هذه . وعندئذ احتجبت غضبا

(حاشية ـ الشمس تحتجب اوقات العواصف)

فخافت الظلمات بالعالمين وبدت دلائل شؤم عديدة ودمدمت الالهة الشريرة في الفضاء كالنحل

فاجتمع كبراء الالهة في قعر النهر السموي الجاف ـ عالم المجرة ـ للنظر في اتخاذ الوسائل اللازمة لحمل اماترسو على البزوغ لمسرة العالمين فغرموا سوسانو زو الفـ، مائدة وطردوه من السماء

ولكنه قبل انحداره الى يومي نزل الى الارض متغيرا وانقذ اندروميدا من التنين (اسطورة ماري جرجس) وتزوج منها فولدت له كثيرين ـ وهي بنيدا الاهة الارز . وبعد طرده من السماء برزت اماترسو

الميثولوجيا الثالثة ، الاسرة الامبراطورية

وكان من جملة اولاد اماترسو اهونامو تشي ـ اله الارض . اساء الى هـذا اخوته الثمانون ولكن ارنبة كان قد احسن اليها كافأته خيرا فانحدر الى يومي وتزوج من ابنة ساسانو وو خاله (اله الزوابع) فكلفه خاله بامر شاق فاتمه بمساعدة زوجته التي هرب بهـا « قصة يعقوب مع خاله لابان » وصرف اهونامو تشي همه الى اصلاح الارض وتنظيمهـا ، وساعده في ذلك ميتاماه ـ او روحه ،

Digitized by Birzeit University Library

واله اخر قدم اسمه سيكونا يبكونا الذي صحبه من وراء البحار وعلم الناس فن الطب والاستقطار

وولد اهونامونشي الهة كثيرين : منهم اله الحصاد والاهة القوت وهي احدى الثلاث العظام

وسنة ١٧٩٣٠٣٧ قبل المسيح ارادت امانرسو ان تؤسس ملكوتاً في الارض لحفيدها « نينجي » فبذلت جهوداً عنيفة في تجفيفها اذ كان قد غمرها بالماء آلهة الاشرار (حكاية الطوفان)

واصحبت نينجي بآلهين لمعونته هما ناكي ميكاشوشي اله الرعد وفتسونوشي اله النار . فهذا السبيل لملك نينجي بابهة عظيمة ومجد . وكان نزوله على جبل في جزيرة كيوشو . فتزوج ابنة اله الجبل واسمها « كوتاهانا ساكوياهم » الاهة البراعة والزهور ورفض اختها « يها ناعم هم » الاهة الصخور الطويلة . فغضبت هذه ولعنت البشرية داعية عليها ان تكون حياتها كالبراعم قصيرة الامد سريعة الذبول وهو سبب قصر الحياة . وولدت كونوهانا لنينجي « ثلاثة بنين اكبرهم هونو هونو سوسري ـ السمّاك ـ واخوه هوهو دي ـ الصيّاد ـ فاقترح السمّاك على اخيه مبادلة المهنة فاعطاه هذا قوسه واخذ صنارته فلم ينجحا . فعاد كل الى صناعته وكان هوهودومى قد فقد صنارة اخيه في البحر فكسر سيفه وصنعه صنارات كومها امام اخيه في صينية فأبى هذا الا صنارته . فنزل هوهو دومى الى البحر ليندب سوء حظه فظهر له اله البحار ودعاه الى زيارة مدينته ذات الابراج والاسوار فاتحدر هوهودومى اليها وجلس على شجرة خيار الشنبر فوق البر فاتت نوتوياهم ابنة اله البحار لتستقي فرأت ظله في ماء البئر فاخبرت

Digitized by Birzeit University Library

اباها « انهـا رأت شاباً جميلاً » على صفحات الماء فاسرع اخوها توبوناماهيكو « لابان » ودعاه بتجمل بالغ . ولما عرف بما جرى له مع اخيه جمع اسماك البحار (رعاياه المطيعة) ووجد الصنارة فردها اليه قائلاً خذهـا الى اخيك وقل له صنارة الفقر والمذلة لك ولنسلك الى الابد . وهذا هو سبب فقر الصيادين

وتزوج هوهودمي ابنة اله البحار واقام معها ثلاثاً وبعد ذلك تاق الى وطنه الاعلى فصعد الى الشاطىء وبنى بيتين واحد للسكن والثاني للولادة . وقبلما سقفه اتت زوجته تويوتاهم راكبة سلحفاة كبيرة وللحال دخلت بيت الولادة ونهته عن النظر اليها فلم تسعه الا مخالفتهـا واذا بها قد تحولت الى دلفين طوله ثمان قامات فساءتها نظرته مساءة عظيمة فبرحت بيته وتركت مولودها لرعاية اختها وطمست في اللجج . ومن ثم انقطعت المواصلات بين البر والبحر

وتعددت المنازعات بين هوهودومي واخيه فاستعان عليه برجلين جلبهما من عند حميه وهما اله المد واله الجزر فأفاض اولهما المياه . فاستغاث هنوسوسري باخيه فامر هذا صانع الجزر أن يرد المياه الى محلهـا ومن ثم خضع هنوسوسري لاخيه ووعده انه وذريته يكونون خدماً ومساخر ، وكان احد احفاد هوهودومي

جيمونيمو ، امبراطور يابان الاول

وهو اصغر اخوته الاربعة ، سار في الخامسة والاربعين من عمره من كيوشو وذلك سنة ٦٦٧ قبل المسيح ، وسنة ١٧٩٢٤٧٠ لنزول نينيجى الى الارض .

وفاز جيمونيمو باتخاذ عاصمة له سنة ٦٦٠ قبل المسيح وهو بدء الاسرة الامبراطورية الحاضرة وملكها الحالي « سو هيتو » وهو الحلقة المئة والثانية والعشرون من جيمونيو

Digitized by Birzeit University Library

وكان في يابان قديماً منزلة سامية للمرأة ، واعظم الهتهم اناث ، وكان موٴرخو الصين يدعون يابان « بلد الامبراطوريات » لكثرة ما تبوأ العرش منهن . ولكن بدخول التمدن الصيني اليها سفلت منزلتها على انهم لما قبلوا التمدن الغربي الحديث شرعوا يعودون الى صبغتها الاصلية : احترام المرأة

انتهى الجزء الاول

Digitized by Birzeit University Library

خارتة السفر

امام القارىء الحبيب خارتة مراحلي في الجزء الاول وهي من مصر الى طوكيو يابان

بدأت الرحلة الاولى من : بورت سعيد في البحر الاحمر الى : جيبوتي في الحبشة وانتهت في : كولمبو سيلان . مدة السفر ١٥ يوماً بحراً

والرحلة الثانية بدأت من كولمبو بالسكة الحديدية الى بر الهند مارةً بمدراس وانتهت بالوصول الى مدينة كلكتا . مدة السفر ٧ ايام براً

الرحلة الثالثة — بدأت من كلكتا الى بورما ، رانكرن ، وعطفت الى زقاق ملقا مارة بپينانغ وسنغابور وانتهت بالوصول الى هنغ كنغ في الصين . مدة السفر ٢١ يوماً براً .

الرحلة الرابعة — من هنغ كنغ الى يابان مارة بشنغهاي وناغازاكي الى كوبي . مدة السفر ٩ ايام بحراً

الرحلة الخامسة — في عواصم يابان براً وهي تبتدىء من موجي وهيروشيما مارةً بكوبي ، اوساكا ، كيوتو ، يوكوهاما ، طوكيو . مدة السفر ٦ ايام في القطار الحديدي متنقلاً

وبها ينتهي المجلد الاول

Digitized by Birzeit University Library

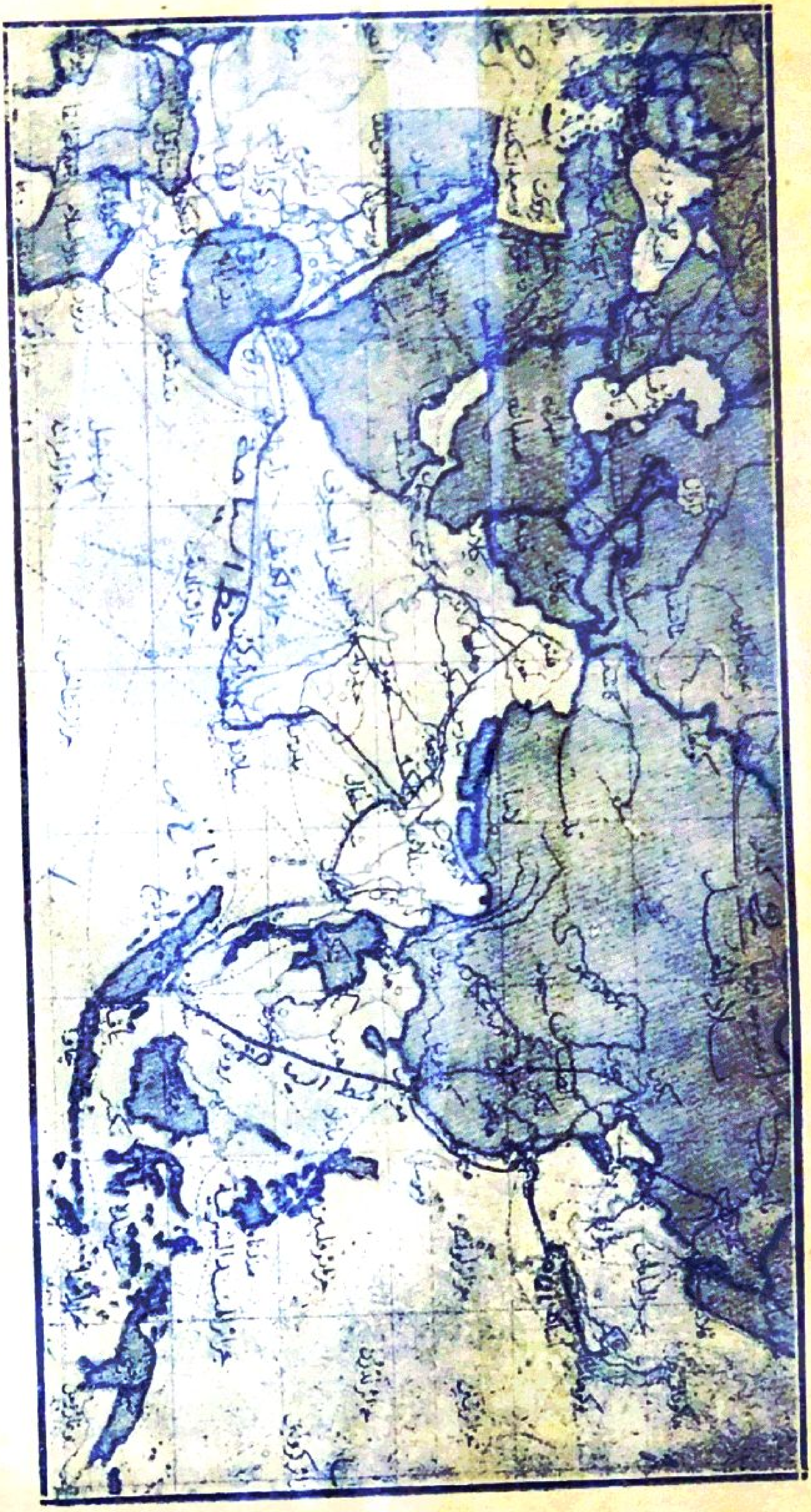

خارطة السفر ٧٠

فهرس الجزء الاول

المقالة الاولى	بدء السفر	صفحة ٧
" الثانية	بورت سعيد	١٣
" الثالثة	قنال السويس وفعال انكلترا	٢١
" الرابعة	مجمع البحرين	٣٠
" الخامسة	على صفحات الماء	٣٨
" السادسة	سيلان كولمبو	٤٧
" السابعة	هندستان	٥٧
" الثامنة	مدراس	٦٨
" التاسعة	امارة بنغال	٧٥
" العاشرة	كلكتا	٨٣
" الحادية عشرة	بورما	٩٣
" الثانية عشرة	رانكون — عروس الشرق	٩٨
" الثالثة عشرة	بلد التنك ، ملقا	١٠٤
" الرابعة عشرة	سنغابور — المأزق الحرج	١١١
" الخامسة عشرة	فكتوريا ، بلد الغرائب	١٢٣
" السادسة عشرة	الصين	١٣١
" السابعة عشرة	حديث القس ينغ ت بارك	١٤١
" الثامنة عشرة	قصة سو الحزينة	١٤٨

Digitized by Birzeit University Library

المقالة التاسعة عشرة	على قمة هنغ كنغ	صفحة ١٥٢
« العشرون	شنغهاي	١٥٦
« الحادية والعشرون	المجوسية — عبادة النيران	١٧١
« الثانية والعشرون	حملة نيبت	١٧٧
« الثالثة والعشرون	ناغازاكي	٢٠٧
« الرابعة والعشرون	البحر الداخلي	٢١٦
« الرابعة والعشرون	في غربي يابان	٢١٨
« الخامسة والعشرون	كوبي	٢٢٦
« السادسةوالعشرون	اوساكا، مانشستر الشرق او بلدالمعامل والترع	٢٤٠
« السابعة والعشرون	كيوتو ، عاصمة الشوغون	٢٤٦
« الثامنة والعشرون	ناغويا	٢٥٤
« التاسعة والعشرون	يوكوهاما	٢٦٠
« الثلاثون	طوكيو ، عاصمة اليابان	٢٠٤
« الحادية والثلاثون	حديث الدكتور ابينو والواعظ اويمورا	٢٧٦

اصلاح خطأ

سقط خطأ في صفحة ١٧٧ السطر السابع « المقالة العشرون » والصحيح « الثانية والعشرون » وفي صفحة ٢١٦ السطر الثالث « المقالة الثالثة والعشرون والصحيح « الرابعة والعشرون »

وقد سقط بعض اغلاط مطبعية لا تخفى على القاريء اللبيب

Digitized by Birzeit University Library